أبونا قنواتى

مشوار العمر



الإشراف
د. ريچيس مورلون
هانى لبيب

الإخراج
سمير أبو داوود

الأب چورچ شحاته قنواتي

الدومنيكاني

١٩٠٥ - ١٩٩٤

الأب چورچ شحاته قنواتي

مشوار العمر

بإشراف

الأب ريجيس مورلون
مدير معهد الدراسات الشرقية للآباء الدومنيكان

و

هاني لبيب

القاهرة

معهد الدراسات الشرقية للآباء الدومينيكان

المركز العربي للصحافة

١٩٩٨

الطبعة الأولى ١٩٩٨

الناشران :
. معهد الدراسات الشرقية للآباء الدومنيكان
القاهرة، ص. ب. ١٨، العباسية – هاتف: ٤٨٢٥٥٠٩
. المركز العربي للصحافة – سمير أبو داوود
٣٢ قصر النيل، القاهرة – هاتف: ٣٩٢١٩١٥ – ٣٩٢٤٣٠٩

رقم الإيداع بدار الكتب : ١١٢٢١ / ١٩٩٨
الترقيم الدولى ISBN : 977-19-1771-1

طبع بدار نوبار للطباعة – القاهرة

الفهرس

تصدير للأستاذ الدكتور محمود حمدي زقزوق

بسم الله الرحمن الرحيم

القاهرة في ١٨ مارس ١٩٩٥م

لقد كان الأب الدكتور چورچ قنواتي أحد المعالم الثقافية في مصر في النصف الثاني من القرن العشرين. ولا يستطيع مؤرخ للثقافة في مصر في تلك الفترة أن يتجاهل چورچ قنواتي وجهوده في مجالات عديدة. فقد أسهم في خدمة الثقافة العربية، وأبرز في كتاباته مدى إسهام المثقفين المسيحيين - من شعراء وأطباء وصيادلة ومؤرخين وفلاسفة ولاهوتيين - في الحضارة العربية الإسلامية بوصفهم نسيجاً متلاحماً مع هذه الحضارة. وأسهم في قضايا الفكر الإسلامي من خلال كتابه «في فلسفة الفكر الديني في الإسلام»، وخدم الفلسفة الإسلامية ببحوثه عن ابن سينا وغيره من فلاسفة المسلمين، وتحقيق العديد من النصوص الفلسفية الهامة.

وكان للأب چورچ قنواتي جهوده المعروفة في مجال الحوار الإسلامي المسيحي وذلك بالمشاركة الفعالة في جمعية الإخاء الديني في مصر على مدى سنوات طويلة، وبإبرازه في بعض مؤلفاته للأسس المشتركة بين الديانتين الإسلامية والمسيحية والكشف عن مواطن الالتقاء في ميادين الحياة بين أتباع هاتين الديانتين. فقد كان يعتقد «أن هنا مفتاح فهمنا كيف عاش المسيحيون في وئام تام مع إخوانهم المسلمين،.. وساهموا بطريقة طبيعية ومستمرة في تشييد الحضارة العربية وإبقائها»[1] وكان الأب قنواتي يهدف من وراء ذلك كله تعميق أواصر الأخوّة والصداقة والاحترام المتبادل والفهم المشترك بين أبناء مصر مسيحيين ومسلمين.

وقدم الأب قنواتي خدمة جليلة للباحثين المصريين بصفة خاصة، والباحثين العرب بصفة عامة، عن طريق المساعدات العلمية الجمة التي كان يقدمها لهم من خلال

---

(١) انظر: كتاب «المسيحية والحضارة العربية» للأب الدكتور چورچ شحاتة قنواتي، القاهرة، دار الثقافة، الطبعة الثانية، ١٩٩٢، ص ٣٣ .

مكتبة معهد الدراسات الشرقية للآباء الدومينيكان، يشرح لهم ما استغلق عليهم، ويرشدهم إلى المراجع التي تعينهم في بحوثهم، ويترجم لهم نصوصاً تفتح لهم آفاقاً جديدة في دراساتهم.

وقد اشتهر چورچ قنواتي بالسماحة ودماثة الخلق، تختلف معه في الرأي أحياناً ولكن هذا لا ينعكس سلباً على سلوكه بأي حال من الأحوال. ومن هنا فإننا إذا قلنا بأن هناك صفتين أساسيتين: هما السماحة وحبّ الآخرين تُميزان چورچ قنواتي، فنحن بذلك لا نعدو قول الحق، ولا نجاوز الواقع الذي يعرفه الجميع ممن كانت لهم صلة عميقة أو حتى سطحية بچورچ قنواتي.

لقد تزاملنا لسنوات في لجنة الفلسفة والاجتماع في المجلس الأعلى للثقافة، وفي مناسبات عديدة في القاهرة، كما تزاملنا في المؤتمر الكبير الذي عقد في «سانت جبريل» في ضواحي العاصمة النمساوية «ڤيينا» عام ١٩٩٠ حول «الإنسان في المسيحية والإسلام». وهناك رأيت مدى التقدير الذي يحظى به الرجل في الأوساط العلمية والدينية. وكم كان سعيداً بما قدمه الباحثون المسلمون في هذا المؤتمر من بحوث وآراء. ولم يمنعه المرض وبطء الحركة في سنواته الأخيرة عن المشاركة في الأنشطة الثقافية العديدة. وكم كنت أشفق عليه، ولكنه كان ذا إرادة حديدية أعانته على أن يتغلب على كل المعوقات.

ومهما اختلف المرء مع چورچ قنواتي في الرأي أو في العقيدة فإن ذلك لا يقلل بأي حال من الأحوال من التقدير والاحترام لهذا العالم الجليل الذي كرس حياته كلها من أجل خدمة الإنسانية.

ويسعدني كمُسلم أن أقدم هذا الكتاب عن چورچ قنواتي، إحياءً لذكراه، وإشادةً بجهوده، وتقديراً لما أسداه من خدمات جليلة نحو دينه ووطنه وثقافة هذا الوطن.

أ. د. محمود حمدي زقزوق
وزير الأوقاف
عميد كلية أصول الدين، جامعة الأزهر (سابقاً)
رئيس الجمعية الفلسفية المصرية

المقدمة

هذا الكتاب جديد وهام عن الأب چورچ شحاتة قنواتي.

أما كونه جديداً فلأنه الأول الذي يُخَصص حول الأب قنواتي، فرغم فكر الرجل ومواقفه.. افتقدنا كتاباً واحداً كُتب عنه. وأما كونه هاماً فلأنّ صاحبه عَالِم على قدر كبير من الوعي، وأيضاً التأثير لأكثر من نصف قرن على مُتلقّيه وتلامذته وأتباعه، وقد كتبنا هذا الكتاب لإظهار الأرضية المشتركة – التي يقف عليها الأب قنواتي – بين كل من الديانتين / الحضارتين المسيحية والإسلامية.. هذه الأرضية التي كانت نقطة انطلاق له.. لتبرز كثيراً من صفاته الطيّبة.

فهو رجل الدين / الراهب / المثقف الذي أدرك ماهية المثقف ودوره الحقيقي في زمن تُقاس فيه الثقافة والمثقفين بمعايير مختلفة عن المعيار المعروف والمفهوم، وليُظهر، أيضاً، أهمية وجود شخصية الأب قنواتي في حياتنا الفكرية / الثقافية / الدينية / الحضارية.. هذه الشخصية المتسامحة والمحبة للخدمة بأبعد حدودها..

حقاً، إنها شخصية غير عادية.. أسس مكتبة لا يمكن تصور محتوياتها، لا من حيث عدد الكتب والمعاجم والموسوعات فقط، لكن أيضاً من حيث النسخ النادرة والقيمة لأمهات الكتب بطبعاتها الأولى.

أما عن الصعوبات التي واجهتنا فهي قلة المادة ونُدرتها عن الأب چورچ قنواتي اللهم إلا من بعض الحوارات القليلة، فحجم المكتوب عنه لا

يُقارن بمُحصّلة إنتاجه الفكري وبضخامة شخصيته العلمية.. والغريب، أننا في هذا الصدد وجدنا عدداً – لا بأس به – من المقالات (عن) الأب قنواتي تحتوى على فقرات مُكررة بالنص في كثير منها.. مع تغيير مقدمة المقال وخاتمته !! وبهذا لا تُضيف جديداً بما لا يرقي بها إلى قمة فكر الأب قنواتي.

* * *

ولذلك اعتمدنا في كثير من المصادر على أعماله وكتبه ومحاضراته ومقالاته، وقد استفدنا بعديد من مقالاته غير المنشورة وأوراقه التي استطعنا العثور على بعضها من خلال معهد الدراسات الشرقية للآباء الدومينيكان بالقاهرة، ثم بعض الأعمال القليلة المتميزة التي كُتبت عنه (سواء مقالات أو حوارات معه) والتي أشرنا إليها في الهوامش، وقبل هذا كله الأب ريچيس مورلون Régis Morelon كمصدر مُلازم لفكر الأب قنواتي وإسهامه الفكري / الثقافي في كثير من السنوات.

* * *

لهذا حاولنا جاهدين أن تكون محتويات الكتاب مقسمة إلى قسمين:

فنجد القسم الأول يحتوي على أربعة فصول، تبدأ في الفصل الأول عن نشأة الأب قنواتي ودراسته، ودرجاته العلمية ومكانته الدولية.. مع إسهاماته الفكرية وآرائه في الغزو الفكري والتداخل الحضاري. ويدور الفصل الثاني حول علاقته بالعلم والفلسفة، والتي تتبعنا جذورها منذ دراسته الأولى للكيمياء وعلاقتها بكتاباته، والتي مهدت لدراساته

الفلسفية، وعلاقته بالفلاسفة المسلمين بعد ذلك، وعن اشكالية العلاقة بين الفلسفة والدين من مختلف المستويات. ويمهد للفصل الثالث بين الديانة المسيحية والحضارة العربية لتلك الفكرة التي بدأت منذ تأسيس معهد الدراسات الشرقية في بداية الأربعينيات، وعن علاقة الأب قنواتي بالحضارة الإسلامية من جانب، وبالحوار المسيحي / الإسلامي من جانب آخر.. بالإضافة إلى علاقته بالفكر الديني المعاصر. وننتهي في هذا القسم إلى نهاية مسيرة... مسيرة رجل / عالم / مُفكر ديني واعٍ ومتميز، مع ببليوجرافيا وافية لأعماله.

وحين نصل إلى القسم الثاني نجده يحتوي على وثائق لم تُنشر للأب قنواتي، وعلى سبيل المثال:

- الإيمان المشترك بالله بين المسيحية والإسلام.
- طب البغدادي.

وأيضاً، يحتوي على ملاحق في حياة الأب قنواتي ورثائه مع وجود صور نادرة.

ويتضمن الجزء الآخر كتابات عن الأب قنواتي باللغات الأجنبية المختلفة، وهي تُعبّر عن مدى أهمية هذه الشخصية التي لعبت دوراً إنسانياً وعالمياً.

* * *

ولا يفوتني أن أشكر كل من:

د. مصطفى عبد الغني، الكاتب والناقد بالأهرام، لملاحظاته التي أفادتني كثيراً.

الأب الدكتور إيميليو بلاتي Emilio Platti لجهوده وراء إخراج هذا الكتاب.

والأستاذ عماد عزت لجهده الكبير في كتابة المخطوطة على الكومبيوتر بشكل مُتميّز.

وإذا كان الأب قنواتي لم يأخذ في حياته المردود الفكري الذي يليق به..، فأرجو أن أكون قد وفقت هنا في إلقاء بعض *الضوء* على هذه الشخصية الخصبة العظيمة عرفاناً بدوره الكبير..

فإلى روح الأب چورچ قنواتي.. أهدي هذه الكلمات والسطور..

هاني لبيب

القاهرة - صيف ١٩٩٥

القسم الأول

دراسات في ضوء الوثائق

هاني لبيب

الفصل الأول : الأب چورچ قنواتي... من هو ؟
الفصل الثاني : چورچ قنواتي بين العلم والفلسفة
الفصل الثالث : الأب قنواتي بين الديانة المسيحية والحضارة العربية
الفصل الرابع : چورچ قنواتي.. نهاية مسيرة

الفصل الأول

الأب چورچ قنواتي ... من هو ؟

١ - ١ مدخل
١ - ٢ نشأته.. دراسته
كيف دخل إلى الرهبنة ؟
لماذا اختار الجزائر ؟
العودة إلى القاهرة
١ - ٣ درجاته العلمية
تلاقي الثقافات في شخصيته
٢ - ١ مكانته الدولية
٢ - ٢ إسهاماته الفكرية
٣ - ١ الغزو الفكري / الثقافي
عالِم حوار الثقافات
٣ - ٢ التداخل الحضاري

١ - ١ مدخل

مفتاح حياته أنه رجل دين مسيحي، يعيش في حضارة عربية إسلامية، لذا لم يقف عند حدود اللاهوت المسيحي، وإنما جعل من هذا العلم عنواناً للحضارة التي ينتسب إليها ويفخر بها، تلك الحضارة الإسلامية التي تُمثل عقلانية الأمة التي أنجبت چورج قنواتي..

هذه هي كلمة الكاتب محمد عمارة[١] عن الراهب الدومينيكاني چورج شحاتة قنواتي.

إنه الإنسان.. العالم.. المفكر الذي بذل حياته في سبيل العلم والحضارة ودعم قيم التَّنوير، من أجل خدمة المُثل العليا والقيم الإنسانية السامية، فقد جاوز حدود دينه المسيحي إلى مصر كلها، ثم تعداها إلى الهوية العربية، ثم تعداها إلى الأفق الإسلامي، وأجتاز هذا كله إلى الأفق الإنساني العالمي.

إنه الراهب المصري الشهير الذي تخصص في الفلسفة الإسلامية حتى صار من بين أبرز علماء العالم في الحضارة العربية الإسلامية، ووجهاً ثقافياً - من ثمرات حضارتنا - نعتز به. فهو الأب الدومينيكاني الذي يتوهج قلبه ببهجة الاكتشاف، وعقله بلذة المعرفة، بالإضافة إلى انتمائه لهذه الرهبنة - أي الدومينيكان - أو الحركة الروحية[٢] التي تستند إلى العلم وإلى العقل وإلى الإيمان، والتي بدأت منذ ما يقرب

---

(١) انظر: مجلة «القاهرة»، القاهرة، العدد ١٣٩ - يونيو ١٩٩٤. المؤلف، ملف چورج قنواتي: *الراهب الفيلسوف الإسلامي*. ص ١٦٧.

(٢) انظر: جريدة «وطني»، القاهرة، ٦ سبتمبر ١٩٥٩، مراد وهبة، *راهب ومؤتمر وتراث عربي*.

من ثمانية قرون من الزمان، وهي نسبة إلى القديس دومينيك[٣] (St. Dominique [1170-1221]) التي أسسها في أوائل القرن الثالث عشر الميلادي.

وتُعَد رهبنة الدومينيكان من إحدى الرهبنات الكاثوليكية - المنتشرة في أرجاء العالم كله من خلال الأديرة الكثيرة - والتي تعتمد على النظام الديمقراطي، فالرهبان أنفسهم هم الذين يختارون رؤساءهم بالأنتخاب، ولكل منطقة رئيس أقليمي، أمّا الرئيس العام فهو موجود في روما، لذلك فالدير (مؤسسة كاثوليكية) لا جنسية له حيث أنه خاضع للفاتيكان، وعلى الرغم من أنها رهبنة ويغلب عليها الطابع الروحي فإننا نجد بعضهم يضيف إلى هذا المجال الاهتمام بمجالات أخرى من بينها البحوث الدينية الثقافية، مع التعمق في الدراسات اللاهوتية والفلسفية، والاهتمام بالعلوم التي تتصل بهذين المجالين، والدراسة عند رهبنة الدومينيكان من مقومات حياة الرهبان الروحية والعقلية، وكثيراً ما أنجبت علماء متفوقين على مر العصور في الفلسفة واللاهوت والتاريخ.

وأنطلقت فكرة إنشاء مركز للدومينيكان في مصر[٤] من البداية بين أساتذة معهد الكتاب المقدس * للآباء الدومينيكان في القدس، والذي أسسه الأب لاجرانج (P. Lagrange [1855-1938]) سنة ١٨٩٠ لتحقيق دراسات واسعة عن الكتاب المقدس بأسلوب علمي دقيق، ونقد أدبي ينظر إلى كافة النواحي اللغوية / الاجتماعية / الجغرافية / التاريخية والدينية للكتاب المقدس.. مع الاستعانة بكافة العلوم التي من شأنها أن تنير الدراسات الكتابية كدراسات اللغات القديمة وعادات الشعوب وتاريخ البلدان. وحيث أن مصر لعبت دوراً هاماً في الأحداث الكتابية، تعلّم بعض الآباء الباحثين اللغة الهيروغليفية لاكتشاف كنوز مصر القديمة.

---

(٣) انظر: مجلة «رسالة الكنيسة»، القاهرة - العدد الثاني، ١٩٨٧، چورچ عجايبي وألفي شند، *حوار مع الأب قنواتي*.

(٤) انظر: كتاب «القديس عبد الأحد مؤسس الرهبنة الدومنكية» للأب خليل قوجحصارلي الدومنكي، روما ١٩٩٠، ص ١١٩.

* L'École Biblique de Jérusalem .

من هنا نشأت فكرة تأسيس دير دومينيكاني في القاهرة خاضع مباشرة لسلطة الرئيس العام ليكون مقر للأساتذة والطلاب يتصرفون منه إلى دراساتهم وبحوثهم.

وعلى هذا النحو، أنشئ الدير الجديد عام ١٩٢٨ وأُلحِقَ به عدد من الأخوة كانت مهمتهم، إلى جانب تهيئة الجو الملائم لاستقبال الأخوة القادمين من القدس، أداء خدمات مختلفة للكنائس المحلية والرهبانيات المتعددة. وبعد خبرة استمرت خمس سنوات شيد الأخوة ديراً واسعاً في منطقة العباسية (الدير الحالي) مُزَوداً بغرف للأخوة وللضيوف وبكنيسة صغيرة ومكتبة وسائر المرافق الحيوية اللازمة.

استطاع الأب قنواتي أن يَعبُر حدود الثقافة القومية الضيقة إلى أفق الثقافة العالمية الواسعة حيث بَنَى بأعماله الفكرية صرحاً عالياً منيراً لأجيال قادمة من خلال دوره في مجال ثقافتنا المصرية / العربية وديننا المسيحي أو الإسلامي.

فكان دائرة معارف حية متحركة في شتى فروع المعرفة، فتهافتت عليه جامعات العالم، وتسابقت لاستضافته ومنحه درجة الدكتوراه الفخرية، كعَلَم عملاق من أعلام الفكر والمعرفة والثقافة، وكنز ثمين من كنوز مصر في محراب العلم. ورائد عظيم وضع بصماته البارزة على مسار فكرنا بروح غربية واعية.

١ - ٢ نشأته.. دراسته

ولد چورچ شحاتة قنواتي في السادس من يونيو سنة ١٩٠٥، في الإسكندرية، لعائلة مسيحية عريقة تنتمي إلى الطائفة اليونانية الأرثوذكسية، وهي عائلة غنية هاجرت من حمص بسوريا إلى مصر. وكان والده شحاتة بك قنواتي مديرا عاما للخازن بإدارة الميناء في الإسكندرية، وهي وظيفة تتبع النظام الخديوي للحكومة المصرية - وهو مركز مرموق في ذلك الوقت - وكان والده مثقف يُجيد التحدث باللغة الأنجليزية

والفرنسية، وكان يقرأ مجلة «الهلال» ومجلة «المقتطف» التي يمتلك مجموعتها بالكامل *.

وچورچ قنواتي هو السادس لثمان أخوات (٥) هم بحسب الترتيب: أنطوان – أدوار – ألكساندر – إميل – ألفريد – ثم چورچ – كاترين – لوريس، فكان هو أصغر الأولاد.

في ذلك الوقت، أدخله والده أشهر مدارس الإسكندرية وهي مدرسة الفرير – مثل بقية أخوته في مستوى التعليم – فأتم بها دراسته الأولية، إذ حصل فيها على البكالوريا الفرنسي سنة ١٩٢٢، ولم يتجاوز عمره وقتها السادسة عشر عاماً، وكان في قمة ولعه باللغة الفرنسية، وشديد الحب للدراسة وتَعلُم الكثير والكثير.

التحق بعد ذلك بكلية الصيدلة في جامعة القديس يوسف اليسوعية ببيروت ودرس فيها لمدة أربع سنوات، فحصل منها على شهادة الصيدلة للفصل الدراسي الأول في ٢٦ يونيو سنة ١٩٢٦، ولم يكتف بذلك بل أكمل مسيرته في جامعة ليون بفرنسا (Université de Lyon)، وحصل منها على دبلومة الهندسة الكيميائية في يوليو سنة ١٩٢٨، ثم عاد الأب قنواتي إلى الإسكندرية، وظل يعمل هناك في معمل للتحاليل لمدة ست سنوات مع أثنين من أخويه الطبيبين، وذلك بين عامي (١٩٢٨ – ١٩٣٤).

---

* انتقلت المجموعة كلها بعد ذلك إلى مكتبة الدير حتى اليوم.

(٥) انظر: جريدة «الأهرام إيدو Al-Ahram Hebdo»، القاهرة، ١٥ – ٢١ مارس ١٩٩٥ – العدد ٢٧، المؤلف، ص ٢١.

كيف دخل إلى الرهبنة ؟

وفي هذه الأثناء بدأ الأب قنواتي يرسم مسار حياته، واستقر على الدخول في الرهبنة[٦]، وكان على اتصال بالأب چوسان (P. Antonin JAUSSEN [1871-1962]) من الناحية الفكرية والأب بولانچيه (P. Marie-Dominique BOULANGER [1885-1961]) من الناحية الروحية، وهما من رهبنة الدومينيكان. وكانت أختيه الصغيرتين متفهمتين موقف أخيهم تجاه انضمامه للكنيسة الكاثوليكية (الطقس اللاتيني) وذلك لنشأتهم في مدارس الراهبات، فتقبلتا الأمر وساعدتاه، ووقفتا بجانبه حتى التحق برهبنة الدومينيكان في باريس، وارتدى الزّي الرهباني[٧] يوم ٤ مايو ١٩٣٤ بدير كوبلوڤي (Coublevie) ومنه بدأ الاستعداد للرهبنة، وذلك في دير أميان (Amiens) وتهيأ لهذا الطريق سنة ١٩٣٥ في أقليم الدومينيكان بباريس.

ويَذكر أنه في فرنسا سأله مدير الآباء :

- لماذا دخلت الدير ؟

فأجاب بما معناه الحوار المسيحي الإسلامي.. !!

والطريف أن هذا كان سنة ١٩٣٣ - أي منذ ما يقرب من اثنين وستين سنة، وهذا فكر الأب قنواتي - وأضاف : (يجب التعمق في الفلسفة الإسلامية والتخصص فيها، والالتحاق بالجامعة الحكومية ويصبح هناك حوار).[٨]

---

(٦) وقد استقر الأب قنواتي على ذلك بعد أن تكلم مع يوسف كرم في البداية وأبدى له رغبة في أن يتخصص في الفلسفة، فكلّم له يوسف كرم أحد الآباء الدومينيكان في القاهرة، فراسلهم حتى حضر الأب أوميز OMEZ - الذي أسس مركز الحوار مع الشيوعيين - وجعل عائلة الأب قنواتي تقتنع برهبنة ابنهم الصغير.

انظر : «الحوار الأخير للأب قنواتي» باللغة العامية في القسم الثاني للكتاب (الملاحق).

(٧) وجد صعوبة في البداية من خلال بعض التوترات العائلية، سواء للرهبنة في حد ذاتها أو للإتجاه للكاثوليكية. (أنظر : الحوار الأخير للأب قنواتي، مصدر سابق).

(٨) المصدر السابق.

ومن خلال هذا الاتجاه درس الفلسفة في دير للدراسات في سولشوار دوكان (Le Saulchoir de Kain) ببلچيكا من سنة ١٩٣٥ إلى سنة ١٩٣٧، ثم درس علم اللاهوت وحصل فيه على الدكتوراه سنة ١٩٤١ من جامعة الدومينيكان (Université des Dominicains)، ورحل بعد ذلك إلى الجزائر ليظل هناك من ٢٧ أكتوبر ١٩٤١ إلى ١٩ أغسطس ١٩٤٤، وكانت فترة مثمرة جداً وهامة، وعلى وجه الأخص، بالنسبة للاتجاه التطبيقي للعمل المستقبلي للأب قنواتي.

لماذا إختار الجزائر ؟

ولم يكن اختيار هذا المكان من قبيل الصدفة.. بل بعد تردد ومفاوضات مع لويس ماسينيون (Louis MASSIGNON [1883-1962]) ومع الرئيس الإقليمي والأب شونو (P. CHENU [1895-1990])، انتهت باختيار الجزائر بدلاً عن تونس، وفيها وجد الأب جورس (P. GORCE [1898-1979]) حيث عمل على دراسة ليسانس الآداب قسم اللغة العربية، وقد اشترك الأب قنواتي هناك في أنشطة مختلفة للأخوة بالدير، وتحمل مسئولية تحرير مجلة «افريقيا الدومينيكانية L'Afrique Dominicaine»، وهي مجلة صغيرة تصدر كل شهرين، واحتفظ طيلة حياته بذكرى جميلة وهي اتصاله مع فريق كشافة « Saint Do d'Alger ».

وفي صيف ١٩٤٢ بدأ التعاون مع لويس جارديه (Louis GARDET [1904-1986])، الفيلسوف الفرنسي المشهور، والذي استمر حتى موت هذا الفيلسوف.

وكانت أول إقامة للأب قنواتي في «الأبيض سيدي – شيخ El-Abiodh Sidi Cheikh» بجنوب الجزائر (٩ يونيو – ١٥ سبتمبر سنة ١٩٤٢)، بالقرب من لويس جارديه، حيث مكث جارديه لفترات طويلة في دير الدومينيكان بالجزائر أثناء السنة الدراسية ١٩٤٤/٤٣، ومنذ أول لقاء لهما – أي الأب قنواتي وجارديه – عملا معاً على ترجمة وشرح وحصر الأعمال الكاملة عن التصوف وعلم الكلام الإسلامي باللغة الفرنسية حتى تتعمق معرفتهم بهذه العلوم من الداخل.

وكان نتيجة ذلك كله نشر أشهر عمل مشترك لهما (مقدمة في علم الكلام الإسلامي) في باريس سنة ١٩٤٨، وتمت ترجمته بعد ذلك إلى العربية في ثلاثة أجزاء تحت عنوان (فلسفة الفكر الديني).

وقد أثر هذا الاتصال الممتد مع جمعية الأبيض (El-Abiodh) روحياً في الأب قنواتي الذي ظلّ طيلة حياته مُشاراً إليه بروحانية الأب شارل دو فوكو (P. Charles De Foucauld [1858-1916])، وهذا أحد الأسباب التي جعلته وفياً حتى النهاية في صداقته مع أخوة وأخوات يسوع الصغار.

وأخذ الأب قنواتي يُجري كثير من الاتصالات في الجزائر حتى أنه كان يذهب ليقابل مُفتي الجزائر الكبير، وكان يذهب إلى هيئة الأستاذية لجامعة يوصوفيا بمراكش في المغرب، وأيضاً برئيس المدرسة العليا (جامعة القرويين)، وبمجموعة عديدة من الشباب المفكرين المسلمين حتى أنه كان يُلقي بعض الملاحظات على لهجة العربية لبعضهم من بين الذين تخرجوا في الأزهر الشريف.!!

وأيضاً كان يذهب إلى تونس حيث تعامل مع «معهد الآداب العربية الرفيعة Institut des Belles Lettres Arabes (Ibla)» ومديره الأب دي ميرسيمان (P. André Demeerseman [1901-1993])، وأجرى رحلة بحثية للمغرب وقابل هناك تراس Terrasse مدير معهد الدراسات المغربية العليا، وكذلك معلمي المعهد.

العودة إلى القاهرة

في عام ١٩٤٤ عيّن شارل كوينتز (Charles Kuentz [1895-1979]) مدير الـ Ifao* الأب قنواتي مندوب مصر للمعهد في الجزائر بفضل تأييد الأب برتران كرييـر (P. Bertrand Carrière [1883-1957])، عضو المجلس الاستشاري المؤقت في الجزائر، والذي أسسه الجنرال دي جول (De Gaulle) في سبتمبر سنة ١٩٤٣. أتاح - هذا التعيين - للأب قنواتي الحصول على درجة وظيفية يعمل من خلالها لمدة ثلاثة أسابيع

* المعهد الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة L'Institut Français d'Archéologie Orientale du Caire.

في المغرب، ثم العودة إلى القاهرة على طائرة فرنسية قبل نهاية الحرب العالمية الثانية في ١٩ أغسطس سنة ١٩٤٤.

وعاد إلى القاهرة في العام نفسه، والتحق بعد عودته بالمعهد الفرنسي للآثار الشرقية. ولشغف الأب قنواتي الشديد بالدراسة والعلم، وعلى وجه الخصوص الفلسفة، سافر من جديد إلى كندا حيث حصل على الدكتوراه من جامعة مونتريال سنة ١٩٥٠.

وقد انتهت رحلات الأب قنواتي العلمية الكثيرة بالعودة إلى مصر مرة أخرى، ليستأنف فيها رسالته التي آثرها، وهو *الحوار المسيحي / الإسلامي*، فانتهى به الأمر إلى دير الدومينيكان، حيث أخلص له طيلة حياته.

١ - ٣ درجاته العلمية

جمع الأب قنواتي بين الثقافة العلمية والثقافة الفكرية فضلاً عن الثقافة الدينية حتى أصبح - بحق - سفيرنا الفكري في أرجاء العالم، فاحتل في تاريخنا العلمي / الفكري / العقيدي مكانة رفيعة وبارزة، كعَلَم من أبرز أعلام التَّنوير.

كان يُجيد عدداً من اللغات منها: اللاتينية، الفرنسية، الأنجليزية، الألمانية، الإيطالية، اليونانية، الفارسية، إجادة تامة ومطلقة، كأحد أبنائها. كما كان يعرف الكثير عن اللغات الأخرى وعلى سبيل المثال: العبرية، التركية، السريانية، القبطية بالإضافة إلى اللغة العربية بنحوها وبلاغتها، وبسبب إدراكه لكل هذه اللغات مهدت أمامه طريق المعرفة لقراءة أمَهات الكتب والمعاجم والموسوعات في شتى ألوان الثقافة بلغاتها الأصلية، حتى أنه عُرفَ كشعلة نشاط في مصر وخارجها، ولن يكون بإمكان أحد إذا أراد التأريخ لحركة العلم العربي أو الفكر العربي المعاصر أن يغفل مجهودات هذا الرجل الذي ملأ بقاع الأرض علماً ونوراً وثقافة، والذي أصبح المرجع الثابت للعديد من المشكلات الفكرية أو الدراسات العربية والإسلامية.

ورغم ذلك، فقد كان بعيداً عن الأضواء والشهرة، لإيمانه بقاعدة العمل في صمت دون صخب شأنه شأن الجيل الذي انتمى إليه من الرواد والمفكرين غير أنه كان يحظى بشهرة واسعة في العالم كله، وعلى وجه الخصوص، أنه ظلَّ على صلة مستمرة بأكبر الهيئات العلمية العالمية الكبرى وبأكبر المكتبات الأكاديمية والرابطات الفكرية حتى رحيله لإيمانه الراسخ بكسر الفواصل بين الأمم والشعوب، ونادى بأن الإنسان في أي مكان لا بد أن يكون إنساناً عالمياً، فلا وصاية على الفكر ولا حجر على الثقافة.

كان حريصاً على حضور المؤتمرات التي توجه له دعوة بحضورها في كل مُدن العالم وأرجائه أشد الحرص، فأعطى لمصر صورة مُشرَقة أمام العالم كله كأحد أكبر الشخصيات المسيحية ثقافة وعلم وتواضع وشفافية.

ولم يكن الأب قنواتي صاحب دكتوراه في اللاهوت والفلسفة فقط، ولكن بسبب شهرته الأكاديمية منحته جامعة لوڤان (L'Université de Louvain) في بلچيكا درجة الدكتوراه الفخرية سنة ١٩٧٨، وأيضاً منحته الجامعة الكاثوليكية في واشنطن (L'Université Catholique de Washington) درجة الدكتوراه الفخرية سنة ١٩٨٤، إلى جانب أن الجمعية المُنظَّمة لمؤتمر أوتاوا (Ottawa) لتاريخ الفلسفة في القرون الوسطى قد منحته عضويتها الشرفية.

تلاقي الثقافات في شخصيته

في شخصية الأب قنواتي تعانقت الثقافات الشرقية والغربية وتلاقت، وشهد على ذلك كثير من رموز فكرنا المعاصر وثقافتنا الحديثة، وعلى سبيل المثال لا الحصر: يوسف كرم، طه حسين، توفيق الحكيم، أحمد أمين، عباس العقاد، سلامة موسى، لويس عوض، بالإضافة لكثير من أساتذة الجامعات الذين كانوا يرسلون طلابهم إليه لبحوثهم ودراساتهم الأكاديمية.

لقد كان حقاً مفكراً قضى أكثر من نصف قرن من الزمان ينشر العلم والفكر والثقافة، بعد أن وضع يده على مواطن القوة والضعف في فكرنا العربي القديم

والحديث، فأدرك دوره الحقيقي نحو هذا الفكر. اتصل بكل من طه حسين وإبراهيم بيومي مدكور واتفق ثلاثتهم على نشر التراث العربي.. لإيمان الأب قنواتي العميق بأن الغرب في حاجة إلى أن يفهم هذا التراث العربي.[(٩)]

لذلك ليس من قبيل المصادفة أن يحصل الأب قنواتي - كنز مصر الثمين - على وسام العلوم والفنون من الطبقة الأولى في ٢٧ يناير سنة ١٩٧٧، من الرئيس المصري الراحل أنور السادات تقديراً لجهوده في سبيل خدمة الفلسفة الإسلامية... كما أنه أول كاتب عربي ينال جائزة نادي البحر الأبيض المتوسط (Prix Méditerranée) في باليرمو - إيطاليا سنة ١٩٨٣.

٢ - ١ مكانته الدولية

كان الأب قنواتي يملك مكانة فكرية رفيعة - بعد أن أضاف إلى مجاله الديني الروحي المجال الثقافي النظري - مما أهله ليشترك في الحياة العامة، بأن يكون عضواً في عدد من الهيئات الكبرى والمجالس العلمية والثقافية المصرية منها والدولية، وعلى سبيل المثال لا الحصر:

- لجنة ابن سينا (٤٢٨ هـ)[(١٠)] سنة ١٩٤٩ م.
- المجمع العلمي المصري سنة ١٩٥١.
- المجلس الأعلى للثقافة سنة ١٩٦١ (لجنة الفلسفة ولجنة الاجتماع).
- المجلس البابوي للحوار المسيحي / الإسلامي سنة ١٩٦٣ (الفاتيكان).
- مستشار في سكرتارية المجمع الخاص بالمؤمنين غير المسيحيين في الفاتيكان سنة ١٩٦٥ (حيث اشترك في المجمع الفاتيكاني الثاني من خلال اللجنة التي

---

(٩) انظر: جريدة «وطني»، مصدر سابق.

(١٠) أخذت تواريخ الوفاة بالسنين الهجرية من «معجم المؤلفين» لعمر رضا كحالة، ١ - ١٥، دمشق، مطبعة الترقي، ١٩٥٧ - ١٩٦١.

صنعت النصوص المعبرة عن نظرة الكنيسة الكاثوليكية إلى الإسلام والمسلمين).

- المجلس البابوي للثقافة سنة ١٩٨٢ (الفاتيكان).
- لجنة تاريخ العلوم.
- اللجنة الدولية لنشر مؤلفات ابن رشد (٥٩٥ هـ).
- المجمع الدولي للدراسات الفلسفية بجامعة لوفان.

وقد اكتسب الأب قنواتي شهرة فلسفية دولية دعمتها نشاطاته المتواصلة، ومشاركته المستمرة للمؤتمرات العالمية، مما جعل له علاقات وطيدة بأبرز المشتغلين بالفلسفة في مختلف جامعات العالم الأوروبية والأمريكية.. وتوج علاقاته وعضوياته في النهاية بأن أصبح أول عربي يُعَيَّن في (المجلس البابوي للثقافة) الذي أسسه البابا يوحنا بولس الثاني JEAN-PAUL II سنة ١٩٨٤، ليُمثّل المنطقة العربية والإسلامية فيه، بهدف تدعيم الحوار مع الثقافات المختلفة. وفي البداية ضَمَّ المجلس في عضويته إثني عشر عضواً، أصبحوا الآن أربعة عشر عضواً من المشتغلين بالشئون الثقافية من: الولايات المتحدة الأمريكية - فرنسا - ألمانيا - انجلترا - ايطاليا - بولندا - البرازيل - اليابان - نيجيريا. بالإضافة إلى ليوبولد سنجور، الرئيس السنغالي الأسبق وأيضاً راهبة من الهند.

ويعقد المجلس دورته كل عام في شهر يناير وذلك لتبادل الشئون الثقافية، وتنشيط الاتصال / الحركة الثقافية في مختلف دول العالم عن طريق المحاضرات واللقاءات الثقافية إلى غير ذلك. وعلى سبيل المثال: تُنَظَّم لقاءات ثقافية سنوية في مختلف الدول مثل نيجيريا - مصر...

ويصدر عن المجلس مجلة فصلية بأربع لغات هي مجلة (الكنيسة والثقافة).. تعمل على تغطية الأخبار الثقافية في مختلف بلدان العالم بواسطة مراسلين محليين.

لقد كان أستاذاً من جيل الأساتذة الكبار، وفيلسوفاً من جيل كبار الفلاسفة، وعملاقاً من جيل العمالقة في فكرنا العربي الحديث.

٢ - ٢ اسهاماته الفكرية

وبسبب مكانة الأب قنواتي العلمية.. نجد أن كثيراً من أشهر جامعات العالم قد سبقت لدعوته لحضور المؤتمرات وإلقاء البحوث والمشاركة في مناقشتها لقدراته الفكرية / العلمية، فعمل أستاذاً زائراً في هذه الجامعات والمعاهد العليا والمتخصصة:

- جامعة مونتريال، Institut d'Études Médiévales, Montréal (1950, 1952, 1954 et 1956).
- جامعة لوڤان Université de Louvain (1959 et 1964).
- معهد الدراسات العربية - القاهرة سنة ١٩٦١.
- جـامـعـة الإسكندرية (من سنة ١٩٥٥ إلى سنة ١٩٧٨)، تدريس تاريخ الصيدلة.
- Université Angelicum et Urbaniana, Rome (1963-1965)، عن الإسلاميات.
- Los Angeles, Near Eastern Center (1967-1977).
- Université de San Francisco (1975).

بالإضافة إلى ذلك قام بإلقاء المحاضرات في كثير من الجامعات والمعاهد المتخصصة الكبرى، منها:

- المعهد العربي الأسباني. والمعهد المصري بمدريد (في فبراير سنة ١٩٥٦ وأكتوبر سنة ١٩٥٧).
- معهد الدراسات الإسلامية بمدريد سنة ١٩٦٢.
- جامعة سان تومازو - روما سنة ١٩٦٣-١٩٦٤ (عن الفلسفة العربية والإسلامية).
- تولوز Toulouse، تونس، المغرب، الرباط سنة ١٩٦٤.

وشارك الأب قنواتي أيضاً في كثير من البعثات والمؤتمرات العلمية والأكاديمية، وعلى سبيل المثال لا الحصر نذكر الآتي:

- أوفدته الإدارة الثقافية لجامعة الدول العربية والمنظمة العربية للتربية والعلوم والثقافة للبحث في مجالات علمية دقيقة - لا يستطيع أن يقوم بها غيره لصبره الذي لا حد له ونشاطه الجم وخبرته بأعظم المكتبات العلمية - من خلال بعثة علمية لتحقيق مخطوطات فيلسوف المشرق العربي ابن سينا سنة ١٩٤٩ بأسطنبول. وفي بعثتها لطهران سنة ١٩٥٤، وأيضاً لتحقيق مخطوطات فيلسوف المغرب العربي ابن رشد.
- شارك في مؤتمر المستشرقين بتركيا سنة ١٩٥١، وفي ميونخ سنة ١٩٥٧.
- شارك في مؤتمر ابن سينا ببغداد في مارس سنة ١٩٥٢، وفي إبريل من العام نفسه شارك في مؤتمر الصيادلة العرب بالقاهرة.
- شارك في مؤتمر تاريخ الأديان بروما - إيطاليا سنة ١٩٥٥.
- في سنة ١٩٥٨ حضر أيام الدراسات بقرية توملیلین بمراكش، وشارك أيضاً في المؤتمر الدولي لفلسفة القرون الوسطى بلوفان، وفي العام نفسه شارك في المؤتمر الفلسفي الدولي بڤينيسيا - إيطاليا.
- شارك في المحادثات الفلسفية العربية بكولونيا - ألمانيا سنة ١٩٥٩.
- شارك في مؤتمر الصيادلة العرب في فبراير سنة ١٩٦٠.
- شارك في محادثات الفلاسفة العرب ببيروت في مايو سنة ١٩٦١.
- شارك في مؤتمر الدراسات العربية بقرطبة - أسبانيا في مايو سنة ١٩٦٢، وأيضاً قام بإلقاء العديد من المحاضرات في معهد الدراسات الإسلامية بالعاصمة الأسبانية مدريد.
- شارك في مؤتمر فلسفة القرون الوسطى في يوليو سنة ١٩٦٤.
- شارك في مؤتمر عن البيروني (٤٤٠ هـ) في طهران سنة ١٩٧٢.
- شارك في مؤتمر التشريع الإسلامي والأخلاق والقانون سنة ١٩٧٣.

٢ - ١ الغزو الفكري / الثقافي

عالِم حوار الثقافات

عاش الأب قنواتي ابناً باراً لمصر ورسولاً للحوار بين الحضارات، إذ كان يعد هذا الحوار عنصراً أساسياً، فكان يدرس كل جوانب الحوار الثقافي الذي تم في الماضي بين الحضارة الغربية (الأوروبية) والحضارة الشرقية (العربية) بكل مقوماتها، وبذلك خدم الحوار الحضاري ذاته في العصر الحديث.. إيماناً منه أن كل إبداع حضاري جديد يعتمد على جذور الماضي الضاربة في عمق التاريخ.. وبَحَثَ في تاريخ الحضارة العربية والحضارة الأوروبية والعلاقة بينهما.

فالحضارة البشرية لا تنموا ولا تزدهر إلا من خلال التفاعل بين الحضارات، ومن خلال حوارها وتبادلها من جانب، وأيضاً تأثيرها وتأثرها المتبادلين من الجانب الآخر.. لأن الحضارة العالمية في جوهرها متعددة ومتنوعة بحيث أن تعددها ضرورة ليست بين الحضارات المختلفة فقط، بل لتزيد كل حضارة عمقاً وغنى لاستيعابها العناصر المختلفة التي أسهمت في تكوينها.

فكان الأب قنواتي نموذجاً حياً وحلقة متصلة مثمرة في هذا الحوار الحضاري بين الشرق والغرب.. يحمل قيم الشرق وروحانياته ومناهج الغرب وعلمه.. فصار جسراً بين: الشرق / الغرب، المسيحية / الإسلام، الأصالة / المعاصرة..

مما جعله يقدم شهادة أمام العالم كله لأهمية الحوار بين الحضارات الإنسانية المشتركة التي تضرب جذورها في عمق التاريخ البشري، وتمتد أطرافها إلى كل أقطار المعمورة كوحدات تستكمل بعضها بعضاً، ذلك لأن العلاقة بين الشرق والغرب علاقة حوار حضاري متصل وممتد عبر القرون والأجيال، فتارةً يأخذ الغرب من الشرق وتارةً أخرى يأخذ الشرق من الغرب..

وكما كان يردد دائماً: «إن الحوار الحضاري هو أهم مميزات شعوب البحر المتوسط ضد تيار الرجعية والظلامية التي تحاول أن تنفث في قلوب أبناء جيلنا روح التجمد والتقوقع على الذات وقطع الحوار الحضاري».

لذلك رأي الأب قنواتي أن الغزو الفكري / الثقافي (١١) أسطورة كبرى، فلا خوف على ثقافتنا العربية أو شخصيتنا العربية من الانفتاح على ثقافات الأمم الأخرى، وإن ما يسمونه خطأ بالغزو الفكري هو قضية لا أساس لها أبداً، وأعتبرها إهانة لكياننا وشخصيتنا، فنحن لسنا أطفالاً معدومي الثقافة بفضل عقائدنا الدينية وتراثنا الهائل الذي تكوَّن على مر القرون، وأيضاً، بفضل توالي الثقافات (الفرعونية، اليونانية، المسيحية، الإسلامية، المصرية الحديثة) علينا...

لقد أصبحنا تلقائياً من حاملي ثقافة، تجري في شراييننا كالدماء.. تُكيّف عقولنا وترهف عواطفنا. فالإنسان القوي يستطيع هضم وتمثيل جميع أنواع الطعام، ونحن لسنا مجرد آلات ميكانيكية.. فنحن ننتقي ونختار، نُجرّب.. نرفض أو نستجيب بملء إرادتنا، بمعنى القابلية لجذب ما يستحق القبول ودمجه بطريقة حيوية في كياننا المصري... على هذا النحو كان الأب قنواتي يرى الغزو الفكري.

وكما يقول بالحرف الواحد: «إنَّ الإنسان مخلوق اجتماعي.. فقل لي بمن تجتمع؟ أقول لك من أنت !!». وكانت الحكمة المأثورة عند القدماء تقول «أخشَ رجل كتاب واحد» أما الأب قنواتي فيقول «أخشَ رجل ثقافة واحدة».

فالدعوة إلى محاربة الغزو الثقافي دعوة باطلة، وناتجة عن مُركّبات النقص والخوف والتقوقع، فَسرُ انتعاش الحضارة العربية في بغداد خلال القرون الوسطى يعود للترجمة النشطة للتراث اليوناني القديم. هذا التراث الذي انقضَّ عليه العلماء بنهم شديد.. فتمثلوا وأعطوه ثماراً يانعة، هي أخلص ما أنتجت الحضارة العربية على مر العصور، أما الآن فنستطيع أن نقول: إنَ جميع الذين ساهموا في إنماء الثقافة العربية.. اكتسبوا إتقانهم للعمل الفني والإبداع والخلق الأدبي عبر دراستهم للثقافات الأخرى.

---

(١١) انظر: مجلة «القاهرة»، مصدر سابق.
انظر أيضاً: جريدة «الوفد»، القاهرة، ٢١ سبتمبر ١٩٨٩، *مع الأب چورچ قنواتي*.
وانظر أيضاً: مجلة «آخر ساعة». القاهرة، ٩ فبراير ١٩٩٤، *ورحل الأب الدكتور چورچ قنواتي*.

لذلك يجب ألا ننصت إلى الزعيق المُضلل لأصحاب التقوقع والانكماشية الخانقة، ولا يكتفوا بما يُنقل لهم من تراث لا يستقيم إلا إذا تشبع بروح العصر.

ومن هذا المنطلق تعرض الأب قنواتي أيضاً للحديث عن أزمتنا الثقافية(١٢) الحادة، وقد أعادها إلى الحالة الاقتصادية والسياسية. فكبار مفكرينا مهتمون بالقضايا السياسية، على وجه الخصوص، وكيفية الخلاص من آثار الاستعمار.. وإن كان الشرق - حتى الآن - لم يستطع أن ينسجم مع الحداثة أو التكنولوچيا المعبأة، فلا يكفي أن نأخذ الأشياء كما هي دون فهم أو وعي بتفاصيلها وأسرارها، وبالتالي، فإن أزمتنا الفكرية / الثقافية متعلقة بعدم فهم أدوات العصر، وعدم وجود النظرة النقدية للأشياء لأننا نأخذها كمُسلّمات.. بل نتعامل مع الشعارات دون تحفظ.

وهذه الأزمة تتعلق، أيضاً، بضُعف مثقفينا تجاه إتقان اللغات الغربية على اختلافها.. فلا انفتاح على العصر ولا محاولة للتعرّف على أزمات تم تسويتها في بلادٍ أخرى اجتازت هذه المرحلة التي نمُر بها الآن. فعدم الاتصال الفكري بالثقافات الأخرى - من وجهة نظر الأب قنواتي - أدى إلى نوع من الضعف والضمور عند المفكرين.. وكما يقول: «أعتقد أن الحل في الخروج من هذه الأزمة لا يكون إلا بالعمل الجاد، وبالحل الذي استخدمه الغرب في اجتياز إزماته مع خلق المناخ العلمي والاجتماعي لصالح الحل.. بالإضافة إلى مراعاة خصوصية الثقافة العربية، وما يتصل بهذه الخصوصية من توابع، فلا بديل لنا من مواكبة التقدم واستلهام روح العصر».

فالثقافات امتزاج واحتواء..

وكما يقول چاك ماريتان (Jacques Maritain [1882-1973]): «بقليل من الماء هنا وقليل من الماء هناك نستطيع أن نجعل منه نهراً».

---

(١٢) انظر: مجلة «الإذاعة والتلفزيون»، القاهرة، ٤ يناير ١٩٩٢. چورج *قنواتي وحوار الأديان*.

إنَّ أزمتنا الفكرية في حقيقتها تتصل بمسئولية المثقفين بالدرجة الأولى كما تتصل بحرية الرأي والنشر والإبداع، فلا حجر على فكر أو عقل من جهة الفلسفة والأفكار حتى لو خالفت أية توجهات أخرى، إن المشكلة الثقافية التي تعانيها الثقافة العربية هي العصر الساحق بتقنياته المتزايدة وتراكمه المعرفي وثورة الاتصالات فيه.. والتي جعلت العزلة مستحيلة والتقوقع مرفوضاً لأن المنظومة العالمية في تقارب، والعلم هو سيد عصره، وثوراته الانقلابية المتسارعة في المعرفة والاتصال والثقافة جعلت غده مختلفاً كل الاختلاف عن حاضره وأمسه.
فقد بات كل المستحيل أن نواجه الغد بثقافة الأمس.

ويرى الأب قنواتي أن هناك ثلاث فجوات تحول بين الثقافة العربية وثقافة العصر..
الأولى: تتمثل بين التحرك العربي والتحرك العالمي من فارق هائل.
والثانية: عجز المعرفة والمعلومات وعدم إمكانية نقل التقنية (وهي تتعلق بالأولى).
أما الثالثة: تتعلق بنظم المعلومات وطرق استخدامها.. فالكم الهائل من المعرفة أصبح يدعو إلى ثورة ليست أقل خطراً من الثورة الألكترونية.

فالفجوة هنا مساحة زمنية.. وهي أيضاً تحدٍ حضاري حاسم يمثله مجتمع المعلومات الذي أفرزته الثورة الألكترونية في عالمنا المعاصر.. وهذه الثورة ليست إلا التلاقي الخصب بين التقنيات الثلاث: الجانب الإلكتروني والميكنة الذاتية الإلكترونية وثورة الاتصالات.

والخطر الحقيقي هنا لا يكمن في التخلف الثقافي فحسب، فلو تركنا العالم وحدنا دون الأخذ والعطاء لنمنا ونامت المشكلة، ولكن المشكلة الحقيقية هي أن الثقافة الغربية تعتمد على مقدرتنا في قوتها.. فتفرض التنميط على الثقافات كلها، لذلك فثقافات العالم الثالث كلها مهددة بالخطر، والاستقلالية هي السبيل الوحيد لإيجاد الطريق عبر متحولات متشابكة في الذات القومية التي هي خطوط التراث ومعطيات العصر ورؤى المستقبل القومي.

٣ - ٢ التداخل الحضاري

وكان للأب قنواتي رأياً خاصاً في التداخل الحضاري الثقافي [١٢] من خلال محاور الثقافة الفكرية ومنطلقاتها التطبيقية، فعظمة الثقافات في أنها تفسح المجال لما لا ينتهي من التفاسير للكون وللحياة، ولا تعتبر نفسها التفسير الأوحد..

والعالم الثالث ليس له ثقافة واحدة بل ثقافات متعددة، وكلها مهددة بأن يبتلعها تنين الغرب لتسطيح هذه الثقافة وطمس معالمها.

والنظرة إلى العالم من الزاوية الثقافية هي النظرة الوحيدة التي تعيد إليه التوازن، وتفتح له آفاق التفاهم، وقد أضاع العرب العديد من الفرص للقاء مع الثقافات الأخرى، في حين أن الثقافة هي التي تساعد على الإمساك بعبقرية الشعب وضبطها وتفسيرها، وقارة إفريقيا تفتقد إلى الوسيلة.. لذلك كان الكشف عن الهوية الضائعة صعباً، وكان هذا الكشف يقتضي تحويل التراث الثقافي المرئي والمسموع إلى تراث مكتوب، ولا يمكن أن تصبح الثقافة الإفريقية قوة تحرير وتماسك واعية للشخصية الإفريقية بدون ذلك، ولا عجب بعد التنكر لوجود الإنسان أن تنكر له ثقافة.

أما بالنسبة للحضارات فليس هناك حضارة قائمة بذاتها، وكل الحضارات تمتزج، فحضارة البحر المتوسط دخلت فيها حضارة اليونان، وكانوا في قمة الحضارة، ثم الرومان الذين أتوا بالنظام الإداري الحربي. ثم جاءت إمبراطورية القرون الوسطى بعد ذلك. كانت أمواج من الحضارات، بل حوار حضاري لخدمة العصر والحياة مَثَّلته البوذية حين أثرت في بعض العقائد المسيحية والإسلامية، بالإضافة إلى أن هناك تأثيرات تأتي من اندماج الأشخاص والأمم؛ فالأمم لا تعيش في غُرف مغلقة.

---

(١٢) المصدر السابق.

وليس أدل على ذلك من شخصية عميد الأدب العربي الدكتور طه حسين الذي كوّن بنفسه شخصية جديدة جمعت بين المحلية والعالمية.

فالحضارة العربية الإسلامية شئ حتمي ما دام هناك عرب ومسلمون.. لا بد أن تكون هذه الحضارة قائمة.

وعن مصادر الثقافة الدينية للإنسان المسيحي وأهميتها [١٤] يقول الأب قنواتي:

«الثقافة أسلوب (أو أساليب) حياة، بمعنى أن نفهم الحياة، وكيف نحياها ؟ فالعلاقة الحيّة مع المسيح تُثَقِّف.. والكتاب المقدس هو خير كتاب مُثَقِّف.. تجد فيه الحكمة والحياة إذا قرأته بعمق وتأمل، وأيضاً سير القديسين بتعاليمهم وأقوالهم مصدرا وافرا للثقافة لما تحتويه من خبرات معاشة تعطي مبادئ إنسانية وإجتماعية / دينية مصبوغة بوحي الروح القدس وتراث الآباء القديسين.. وكل هذه المصادر سهلة المنال ومتوفرة باللغة العربية الآن».

إن إنسان القرن العشرين لا يستطيع أن يكتفي بالعلوم الجزئية كالرياضيات والطبيعة وغيرهما.. لأن هذه العلوم تقف عند تحليل عناصر الأشياء لكنها لا تفسّر معناها، والإنسان كائن عاقل لا بد ان يعي معنى الحياة وماهيّتها: مصير الإنسان، معنى الخير، وجود الله.. إلى غير ذلك، فتلك المسائل تشرحها وتفسّرها العلوم الفلسفية والدينية. والذين يتساءلون عن الفائدة من وراء دراسة العلوم الدينية والفلسفية مُخطئون، ولا يستطيعون أن يجيبوا عن معنى الحياة، ولماذا يحيون ؟!!

---

(١٤) انظر: مجلة «رسالة الكنيسة». مصدر سابق – العدد الثاني، ص ٥٨.

الفصل الثاني

چورچ قنواتي بين العلم والفلسفة

١ - ١ بدايات

١ - ٢ الكيمياء والكتابة

٢ - ١ الراهب الفيلسوف الفريد

٢ - ٢ الأب قنواتي والفلاسفة المسلمون

أبو حامد الغزالي

خصوصية الفلاسفة العرب

ابن سينا والمسيحية

٢ - ٣ الفلسفة والدين

العلاقة بين الفلسفة والعلم والدين

التصوف الإسلامي

٣ - ١ رأيه في بعض العلماء والفلاسفة:

يوسف كرم، توما الإكويني، الكندي والفارابي وابن سينا، الرازي، طه حسين، سلامة موسى، أحمد لطفي السيد، زكي نجيب محمود، عبد الحليم محمود

١ - ١ بدايات

ولد الأب چورچ قنواتي سنة ١٩٠٥ .. في العام الذي ولد فيه الدكتور زكي نجيب محمود ، وأيضاً العام نفسه الذي رحل فيه الإمام محمد عبده !! ولم تكن من المصادفة أن يولد الأب قنواتي - رجل الفكر من الطراز الأول - في العام نفسه الذي يشهد مولد ورحيل أثنين من كبار رجال التنوير في العصر الحديث.

كانت مسيرة الأب قنواتي تمثل نموذجاً مُتفرّداً في ثقافتنا المعاصرة، فهو : العالِم، الفيلسوف، رجل الدين والمفكر الذي دخل تاريخ العلم والفلسفة من أوسع أبوابهما ، حيث استطاع أن يُجيد - بمهارة فائقة - هذا الربط المتواصل والمتتابع بين العلوم التجريبية وبين الفلسفة والعلوم اللاهوتية، ليبرز دور مصر الحضاري في تشكيل العقل والوجدان المسيحي / الإسلامي.

أسهم في تحقيق كتب الفلسفة الإسلامية بدقة منهجه وأسلوبه كواحد من أبرز علماء الفلسفة الإسلامية وتاريخ الطب والصيدلة عند العرب، فكان رسولاً أميناً لنقل الفلسفة الإسلامية في أحسن صورها وأروعها إلى منتديات العالم الثقافية وجامعاته ودور بحثه، وأيضاً من خلال تحقيقه لأروع كتب التراث التي أهداها للمكتبة الإسلامية عن ابن سينا وابن رشد .

فبذل جهداً يندر أن نجد مثله عند الباحثين في دراسته لمؤلفات ابن سينا ، وبذل نفس الجهد بحيوية في دراسته لمؤلفات ابن رشد ، بالإضافة إلى مشاركاته في العديد من البحوث والتحقيقات حول الفارابي (٣٣٩ هـ) والسهروردي وغيرهما من أعلام الفلسفة الإسلامية، فضلاً عن قضايا هذه الفلسفة ومشكلاتها الميتافيزيقية وعلاقاتها الفكرية والتاريخية بالفلسفة القديمة من جهة، والفلسفة المسيحية الوسيطة من جهة أخرى.

ولشغفه الكبير بها - أي الفلسفة - قدم لها الكثير والكثير، وعلى وجه الخصوص، للفلسفة المقارنة مما أهّله لكتابة الفصل الخاص بالفلسفة الإسلامية وعلم الكلام الإسلامي والتصوف في موسوعة «تراث الإسلام».

ويُعَد الأب قنواتي من أشهر المتأملين المتفكرين الذين اعتنقوا تقارب الحضارات وتواصل الفلسفات.. ولمس هذا الكثير ممن نهلوا من معرفته وتخصصوا في دراسة فلسفة العصور الوسطى والفلسفة الإسلامية، فقد حقق المدخل في كتاب «الشفاء» لابن سينا، والقسم الأول من «إلهيات الشفاء» وكتاب «النفس» مُتتّبعاً نفس منهج كبار المستشرقين، وعلى سبيل المثال: الأب موريس بويج (P. Maurice Bouyges [m. 1951]) الذي قضى حياته في تحقيق مجموعة من كتب التراث الفلسفي العربي مثل تفسير ابن رشد لكتاب «ما بعد الطبيعة» لأرسطو، ومونك S. Munk في تحقيقه لكتاب «دلالة الحائرين» للفيلسوف الأندلسي موسى بن ميمون (٦٠٥ هـ).

لذلك لم يكن الحوار مع الأب قنواتي حوار علم وفلسفة وتاريخ وثقافة فحسب، بل كان حواراً أشمل وأعمّ الاتجاهات واسع الأفق، يقفز من جانب علمي إلى جانب فلسفي إلى جانب إنساني إلى الفكاهة الخفيفة المرحة التي لا تتعارض مع ما يتمتع به من روح الراهب وهيبة العالم، ففي ذاته تلك الإنسانية التي تُذيب الفوارق والاختلافات والفواصل بفضل الفلسفة التي تُمكّن الذي يعشقها ويعمل بها من التعايش مع الآخر بالرغم من الاختلافات معه، ومن الحوار مع المتفق معه ومع المغاير له.

وتتلمذ الأب قنواتي على يد كبار المفكرين من الشرق والغرب الذين حققوا هذا الحوار بين العقل والإيمان على مستوى فكري رفيع، وعلى سبيل المثال ابن سينا وابن رشد في الشرق والقديس أغسطينوس (St. Augustin [354-430]) والقديس توما الأكويني (St. Thomas d'Aquin [1224-1274]) في الغرب.

وعلى الرغم من إعجاب الأب قنواتي البالغ بالمفكرين القُدامى فإنه كان واعياً بأنهم لم يقولوا الكلمة الأخيرة في المعرفة البشرية، وأنهم مرحلة من سلسلة التطور الفكري والتقدم الحضاري، وكان يعتقد أن الفلسفة بدأت عند اليونان، ثم استكملها العرب وأضافوا إليها من إبداعاتهم، ثم تلقفها الغرب المسيحي وقطع بها شوطاً انتهى إلى الفلسفة المعاصرة، ودائماً ما كرر الأب قنواتي في أحاديثه بما اعترف به مؤرخو الفكر المسيحي الوسيط عن إسهام الفلسفة العربية بأرض الإسلام في تكوين الفكر الفلسفي واللاهوتي للغرب الوسيط.

وكان الأب قنواتي يعتز جداً بأفكار أرسطو [١] (ARISTOTE [384-322 av. J.-C.])، ويفضل ابن سينا على ابن رشد في بعض جوانب علمه وفلسفته، وكان يرى أن أبا بكر الرازي (٣١١ هـ) من أفضل الأطباء العرب، وأهتم الأب قنواتي بكل من أرسطو وأبي بكر الرازي من العصر القديم، ثم بالقديس توما الأكويني في العصر الوسيط، ويوسف كرم وطه حسين في العصر الحديث.

وكان الأب قنواتي – الفيلسوف المسلم [٢] بتعبير الشيخ مصطفى عبد الرازق – حينما قال: إنني ممن يجعلون موسى بن ميمون فيلسوف من فلاسفة الإسلام، وبتعبير محمد عبد الكريم الشهرستاني في كتابه «المِلل والنِحَل» حين يقول: والمتأخرون من فلاسفة الإسلام مثل يعقوب بن إسحاق الكندي (٢٥٢ هـ) وحنين بن إسحاق (٢٦٤ هـ).

هذا كله لنؤكد به على هوية هؤلاء العظماء من جانب وعلى سمو هذا الوعي في الحضارة العربية الإسلامية كحضارة عالمية إنسانية من جانب آخر، وعلى وعي كبير بروافدها ومنابعها ومصاباتها ممن أخذت وممن أعطت، وعلى وعي كبير بذاتها وبغيرها.. حيث أنها لا تعرف الحدود، ولا تُقيم السدود بين كل ما يمكن أن يصب في صالح الإنسانية عامة من أنهار علم ومعرفة.

فالحضارة والثقافة والعلوم والفنون على مختلف الأشكال والألوان لا يملكها شعب دون شعب آخر، أو جنس دون جنس آخر، أو دين دون دين آخر، فلا ثقافة بغير دين ولا دين بدون ثقافة، وإن تيار التنوير هو الأساس للحياة الحضارية الحقيقية.

---

(١) انظر: مجلة «القاهرة»، المؤلف، مصدر سابق.

(٢) المصدر السابق، ص ١٤٩.

١ - ٢ الكيمياء والكتابة

اهتم الأب قنواتي بالصيدلة والكيمياء منذ زمن بعيد - والذي بدأها بمعمل صغير أقامه مع أخيه الأكبر في منزلهما بالإسكندرية - واشتغل بها فترة طويلة، فالتخصص في دراسة تاريخ العلوم من طب وصيدلة إنما تلتزم بدراسات تجريبية كتلك الدراسات التي توافرت عند الأب قنواتي بمقتضى دراسته الجامعية في الصيدلة ببيروت، أو دبلومة الكيمياء من فرنسا.. بالإضافة إلى أن ممارساته لمهنة الصيدلة والكيمياء أفادته فائدة لا حد لها في مجال التأليف عن الطب والصيدلة عند العرب، لأن البحث في الجانب التاريخي للتراث العربي والإسلامي يحتاج إلى قدر كبير من الثقافة حتى يمكنه المقارنة بين النظريات القديمة والجديدة، لذلك ظهرت دراساته آية في العمق والدقة بسبب خبراته الطويلة.

وقد قام منذ عام ١٩٥٥ بتدريس تاريخ الصيدلة في كلية الصيدلة جامعة الإسكندرية، حيث نشر في هذا المجال مجموعة من الدراسات الرائدة والمستفيضة، من بينها على سبيل المثال: الكيمياء عند ابن سينا، أدوية العين عند حنين بن اسحاق، تاريخ الصيدلة عند العرب بالاشتراك مع كل من الدكتور عبد العظيم صابر والدكتور عبد الحليم منتصر بتكليف من «لجنة إحياء التراث الطبي والصيدلي» بجامعة الدول العربية. وتحقيق النص العربي لتلخيصات ابن رشد لرسائل طبية لجالينوس (Claude GALIEN [129-199]) بالاشتراك مع الدكتور سعيد زايد.

بالإضافة إلى أشهر كتبه عن «تاريخ الصيدلة والعقاقير في العصر القديم والعصر الوسيط»، والذي صدر منذ أكثر من ربع قرن، وهو عبارة عن مجموعة من المحاضرات كان قد ألقاها بكلية الصيدلة جامعة الإسكندرية، ويُعد من الكتب الرائدة بكل ما تحمله كلمة الريادة من معانٍ ومدلولات.

وتحدث فيه بأسلوب علمي رصين عن فوائد تاريخ الصيدلة، العقاقير، الطب،

السحر، الأدوية السحرية والصيدلة في بابل وسوحد، والصيدلة بالعقاقير في مصر القديمة، وأبقراط والمدرسة الطبية وجالينوس.. وختم في النهاية بالصيدلة والعقاقير عند العرب، وعلى وجه الخصوص أبي بكر الرازي.

وأسهم أيضاً في كتابة مقالة عن كتاب «الجواهر والأحجار» للبيروني، وذلك بمناسبة انعقاد مؤتمر باسمه في باكستان، وكتب أيضاً الفصل الخاص بتاريخ العلوم في الإسلام في الكتاب الضخم الذي أصدرته جامعة كمبريدج - أنجلترا - تحت عنوان «تاريخ الإسلام». بالإضافة إلى دراسته الشهيرة عن «طب البغدادي»[٣] (٦٥١هـ).

٢ - ١ الراهب الفيلسوف الفريد

اهتم الأب قنواتي بالفلسفة الإسلامية اهتماماً خاصاً حيث عشق الفلسفة وقرأها وهو حديث السن، فقرأ لماسينيون ولماريتان، وأبهره كل منهما حيث تكلموا على نشر الحقيقة في العالم، وإمكانية التفاهم مع الآخر.

وكان ماسينيون شخصية عملاقة يعرف الإسلام جيداً، ومتفتحا له بدرجة كبيرة، ويكن للمسلمين تقدير خاص[٤]، وأيضاً ماريتان الذي أخذ من أرسطو كل ما يمكن أخذه، وآمن الأب قنواتي بأنه لكي يستطيع فَهم الإسلام الصحيح يجب عليه دراسة الدين المسيحي بعمق ثم الاتجاه إلى الإسلاميات، وقد أتضح له بعد دراسة فلسفة القرون الوسطى أن توما الأكويني ذكر ابن سينا مئات المرات بكل الاحترام والتقدير.

---

(٣) انظر: جريدة «الأهرام إيدو Al-Ahram Hebdo»، مصدر سابق.

(٤) حسبما يتذكر الأب قنواتي أن ماسينيون حدث له شئ ما في بغداد، وقد كفلته عائلة هناك، ومنذ ذلك الوقت شعر بعمق الإسلام وسماحته. انظر: الحوار الأخير للأب قنواتي. مصدر سابق.

وأخذ الأب قنواتي رسالته للدكتوراه عن ابن سينا وعن الخلق عند توما الأكويني واتصاله بالفلاسفة العرب.. وكل هذا دعم دراساته للفلاسفة العرب. فعمل على ترجمة «المحصل للمتقدمين» للرازي مع الأب جوسان بالإسكندرية ترجمة حرفية، ومن هنا اتضح له – أي الأب قنواتي – اتجاهه في دراسة الفلسفة الإسلامية والاهتمام بها، وجاءت الحرب العالمية الثانية سنة ١٩٣٩، وأستقر الأب قنواتي في الجزائر حيث تقابل مع ليڤي بروڤنسال Lévi Provençal في المركز الإسلامي بكلية الآداب، وأخذ معه بعض الدروس في الفقه الإسلامي.

قابل في ذلك الوقت المونسينيور * مرسيه Mercier رئيس الآباء البيض Les Pères Blancs في الصحراء (مركزهم الرئيسي)، وطلب من الأب قنواتي ولويس جارديه ترجمة كتاب في التصوف الإسلامي، ثم طلب منهم بعد ذلك ترجمة كتاب رسالة الباجوري (١٢٧٦ هـ) «شرح الجوهرة المفيد في علم التوحيد» إلى اللغة الفرنسية، ثم طلب أيضاً منهم كتاب آخر، فاشتركوا معاً في أحد أعظم مؤلفاتهما: مقدمة في علم الكلام الإسلامي (Introduction à la théologie musulmane)، سنة ١٩٤٨. وبعده كتاب ملخص عن التصوف الإسلامي تحت عنوان: (L'initiation à la mystique musulmane).

بالإضافة إلى بعض المقالات الفلسفية التي نشرها الأب قنواتي في المجلة التي تصدُر عن «النادي التوماوي ** Cercle thomiste». ومن هذا الوقت اهتم الأب قنواتي بكل ما هو إسلامي وتخصص في مشروعه الفكري (الفلسفة الإسلامية) حتى انتهاء مسيرة حياته لإيمانه الشديد أن المسلمين هم أقرب الناس له، مع وجود تقارب بين الأديان (المسيحية والإسلام)، لذلك اهتم بالإسلاميات.

---

* Monseigneur درجة كهنوتية كاثوليكية، وهي بمثابة أسقف.

** النادي التوماوي – نسبة للقديس توما الأكويني – أسسه الأب بولانچيه سنة ١٩٤٤ لتعليم الفلسفة التوماوية لبعض الشباب المتحمس.

وكان الأب قنواتي (٥) يردد دائماً: «إن المسيحيين لم يفهموا الإسلام جيداً قبل ذلك، وعادة يخاف المسيحيين من المسلمين».

ويَذكُر الأب قنواتي أنه سأل ذات مرة الكاتب الإسلامي الدكتور محمد عمارة في هذا الشأن، فأخبره بما معناه أنه قد وصل إليه كتاب من (جماعة الكنائس) يقول: أن العدو الأول هو الإسلام.. !! ويواصل الدكتور عمارة: والمسيحيين هنا يميلون إلى المسيحيين الغربيين، لذلك يجب التغلب على هذا التيار.. .

لهذا طلب الأب قنواتي تدريس الدين المسيحي للمسلمين والدين الإسلامي للمسيحيين، وطالب المدارس اللاهوتية المسيحية في أوروبا بإدخال الدروس الخاصة بالإسلام في مناهجهم لما تحتويه من مشكلات إسلامية لاهوتية (٦) - على حد تعبيره - تهمهم وعلى سبيل المثال: صفات الله والقضاء والقدر.

٢ - ٢ الأب قنواتي والفلاسفة المسلمين

تأثر الأب قنواتي كثيراً بالفلاسفة المسلمين بعد معايشته لبعضهم ولفكرهم ولفلسفتهم.. فمن الجانب التاريخي بدأت علاقاته بالفلاسفة المسلمين من خلال الكتب، مثل الدكتور إبراهيم بيومي مدكور - صديق رحلته الفكرية الذي سافر معه لكثير من المؤتمرات الفلسفية - ورسالته عن الفارابي.

طلب رئيس المعهد الفرنسي للآثار الشرقية من الأب قنواتي عند عودته للقاهرة عمل إحصاء لكل الكتب العربية التي نُشرت بين عامي ١٩٤٢ و١٩٤٤، وعند ذهابه لدار الكتب تعرّف هناك على فؤاد سيد (أمين قسم المخطوطات) وهو شخصية متفتحة

(٥) انظر: الحوار الأخير للأب قنواتي، مصدر سابق.

(٦) المصدر السابق.

جداً، وبدوره عرفه على محمود الخضيري الذي كان يشغل في ذلك الوقت سكرتير شيخ الجامع الأزهر سنة ١٩٤٥ وسنة ١٩٤٦، وتعرف عليه وعلى مكتبته الغنية، وبسبب تواجده – أي الخضيري – في باريس لمدة عشر سنوات لإنجاز رسالته عن نصير الدين الطوسي (٦٧٢ هـ) فكان على دراية بجميع الكتب الاستشراقية باللغتين الفرنسية والألمانية.

وتعرف بعد ذلك على فؤاد الأهواني، واشتركوا سوياً في ترجمة كتاب «النفس» لأرسطو الذي ترجمه الأهواني للإنجليزية وراجع الأب قنواتي النص اليوناني. ثم تعرف بعد ذلك على عثمان أمين أستاذ الفلسفة الحديثة المتحمس جداً لديكارت (René Descartes [1596-1650]) وللثقافة الغربية.

وتعرف أيضاً على الدكتور عبد الرحمن بدوي الذي عَرَفه أولاً بكتبه في الفلسفة، ومؤلفه الكبير في الفلسفة الإسلامية من جزءين. وتعرف على الشيخ أبي الوفا التفتازاني في مدينة الإسكندرية، وكثيراً ما سافرا معاً في مؤتمرات الفلسفة في كل من: بغداد وطهران وباريس.

وتعرف أيضاً على الشيخ محمد يوسف موسى الذي كان يُعَلّم تاريخ الأخلاق في كلية أصول الدين بالأزهر، وكان يدرس في فرنسا، وقد أخذ رسالته عن ابن رشد.

تعرف أيضاً على الشيخ محمد فتح الله بدران الذي حَضَّرَ رسالته عن كتاب «المِلل والنِحَل» لأبي الفتح الشهرستاني (٥٤٨ هـ) في كلية أصول الدين بجامعة الأزهر، وقد لجأ إلى القساوسة وإلى المتعلمين المسيحيين حتى يتأكد من صحة ودقة معلوماته.

تعرف على الشيخ أحمد عبده الشرباصي في «جماعة إخوان الصفا» ثم في «جماعة الإخاء الديني» بعد ذلك. وأيضاً على الشيخ سليمان دنيا، والشيخ عبد الرحمن بيصار الذي درس في أنجلترا، وحَضّرَ رسالته عن ابن رشد، وأثبت أنه مسلم وليس ملحداً لمحاوراته مع الفلاسفة الإلهيين.

تعرف بعد ذلك على الشيخ محمد الفحّام الذي وصفه الأب قنواتي أنه شخصية خرافية !! وقد درس الفحّام في باريس، وأثناء رسالته للدكتوراه استضافته عائلة

الأب چوميه Jomier طيلة أيام الحرب، وكان متخصصاً في النحو واللغة مثل القاموس. وترجع معرفة الأب قنواتي به من قبل أن يتولّى مشيخة الأزهر، حيث يتذكر كيف أن ابنه رمضان كان يقول لأبيه دائماً شيخ الأزهر قادم.. وتحققت هذه النبوة !! كان الأب قنواتي يذهب إلى الشيخ الفحّام في منزله حتّى قالوا عنه - إشاعةً - أنه تَنَصّر !! ولم يكونوا يتحاورن في مسائل دينية بل ثقافية.

أبو حامد الغزالي

في البداية أعجب الأب قنواتي بأبي حامد الغزالي (٥٠٥ هـ)، ثم بموجب تعليمه الصيدلي جاء ابن سينا ومن بعده ابن رشد الذي ردّ على أبي حامد الغزالي بكتابه «تهافت التهافت». فعظمة الإسلام تَكمُن في أن الحضارة الإسلامية حضارة كبيرة ذات روائع في كل الميادين العلمية والفلسفية.

اهتم الأب قنواتي بالدين الإسلامي الذي رَبّى أجيالاً بالإضافة لمعايشته في وسط إسلامي...، ولم يقتصر نشاط الأب قنواتي على هذا فقط فكانت له صلة بكثير من المشتغلين بالفلسفة من أمثال: جميل صليبا من دمشق الذي ألف كتاب قَيّم جداً عن أفلاطون، والعَوّا من دمشق أيضاً، وماجد فخري من لبنان، وكان يلتقي بهم في المؤتمرات ويتكلم معهم ويتبادلوا الآراء.

خصوصية الفلاسفة العرب

اعتبر الأب قنواتي كل من الكندي والفارابي وابن رشد أشهر الفلاسفة العرب، مع أبي حامد الغزالي بالرغم من أنه متصوف أكثر. فالصفات الخاصة بالفلسفة الإسلامية منصبّة على الله والنفس، ومحورها ينتهي إلى وجود الله الخالق لكل شئ، فتصل إلى الدين عموماً في قضية وجود الإنسان (خلود النفس والحياة الأخرى) فإذا لم يصل الفيلسوف إلى وجود الله فالفلسفة هنا بدون مضمون في رأي الأب قنواتي.

لذلك فالفلسفة العربية الإسلامية من هذه الجهة خالدة، ومن جهة التفاصيل نجد أن ابن سينا درس المنطق بطريقة دقيقة حتى أنه يُدَرّس حتى الآن في الجامعات

المصرية لأنه زائر عقلي.. يعمل على تحديد النفس وملكاتها وعلى امتداد الحركة الفكرية وما وراء الطبيعة، أعطى ابن سينا ما هو ضروري بالذات وما هو ممكن بالضروري، ولا ضروري إلا لله واجب الوجود. فالإنسان ممكن الوجود، فأرسى الميتافيزيقا والخلق كله لله، وبالتالي فإن فلسفة ابن سينا تعيش حتى الآن بشرط الدخول لها بما كسبناه من العلوم الطبيعية مثل علم النفس، فالأساس الفلسفي لها قوي.

وقد بدأت علاقة الأب قنواتي بابن سينا عندما دعته الإدارة الثقافية لجامعة الدول العربية برئاسة أحمد أمين للاحتفال بالعيد الألفي لابن سينا، وبحث الأب قنواتي في مصادره وكتبه، وأضطر للذهاب إلى اسطنبول *كخواجة*، ومكث هناك ثلاث أشهر ظل يعمل فيها من الثامنة صباحاً إلى العاشرة مساءً في المخطوطات.. في الصباح يرى المخطوط ويدونه في المساء، وبعد ذلك ظهر الكتاب الضخم عن مؤلفات ابن سينا في خمسمائة صفحة، ومن تقديم كل من أحمد أمين وإبراهيم مدكور. والجدير بالذكر أن أحمد أمين كتب في تقديمه لهذا الكتاب يقول: «هذا الكتاب لا يصدر إلا عن رهبنة في العلم كرهبنة في الدين...»(٧).

وفي كتاب مؤلفات ابن سينا سَجَل الأب قنواتي كل مخطوطاته من بدايتها حتّى نهايتها بعدد السطور والكلمات، مما أعطى له شهرة فائقة في الأوساط الإسلامية والمسيحية كمتخصص في ابن سينا، وتكرر هذا مع ابن رشد بعد حوالي عشرين سنة في الجزائر، وظهر أيضاً مجلد ضخم عن مؤلفات ابن رشد، وبذلك اعتمد كثير من الباحثين على هذين المجلدين في دراساتهم للفلسفة العربية.

ابن سينا والمسيحية

لم يضف ابن سينا للمسيحية شيئاً لأنه لم يكن يعرفها، لكنه أعطى أساساً منهجياً للتفرقة بين الموجود الوجود (الخالق) وبين المخلوقات عند الله، الذات والوجود واحد في كل المخلوقات. يبقى هناك فرق بين الوجود والذات لأنها مخلوقة، وأوضح الفرق

---

(٧) انظر: كتاب «مؤلفات ابن سينا» للأب چورچ قنواتي، القاهرة، دار المعارف، ١٩٥٠، ص ٨.

بين الخالق والمخلوق، وعلى وجه الخصوص، أعطى الطريق للوصول للسعادة العقلية، ففلسفة ابن سينا يمكن تطبيقها على الطبيعيات، ويمكن أن تصل إلى اللاهوت، ومن هذه الناحية قُبِلت فلسفة ابن سينا من قِبَل الفلاسفة الغربيين، فنجد توما الأكويني يذكر ابن سينا أربعمائة مرة في Summa theologica / Summa de veritate catholicae fidei .

فالمسيحية استفادت بابن سينا لكنه لم يستفد منها في شئ، فكان يُناقش الفلاسفة المسيحيين ويتحاور معهم لكن بدون أن تكون المسيحية هي المحور.

وعن علاقة فلاسفة المشرق بفلاسفة المغرب – من ابن طفيل (٥٨١ هـ) إلى ابن سينا – يقول الأب قنواتي [٨]: ابن طفيل أقرب إلى ابن سينا في رسالة «حي بن يقظان» التي تُمَثّل نفس النزعة، حيث يصل تدريجياً إلى الله، مثل ابن سينا الصعود واجب الوجود. فابن طفيل والرازي والكندي وابن سينا كوكبة من العلماء ليس بينهم تنافر كبير، كلهم أصحاب فلسفة منصبة على الخلق، والخالق واجب الوجود. والفارابي له كتاب بعنوان «أصحاب المدينة الفاضلة» يركز فيه على تكوين المجتمع بالفلسفة التي هي البحث عن الخالق بالعقل.

٢ – ٣ الفلسفة والدين

هناك من يقول إن الدين الحقيقي للفلاسفة هو العقل، فما يقرره العقل ويصل إليه هو دين العقل، أما الدين فيخاطب العامة.

وكان ابن رشد يقول: فإذا سألت العامة أين الله ؟

– يقول لك: الله فوق !!

ومن وجهة نظره صحيح، لأن الله على مستوى تفكيرهم هو فوق كل شئ. أما إذا

(٨) انظر: الحوار الأخير للأب قنواتي، مصدر سابق.

سألت الفيلسوف السؤال نفسه، فإنه يجيب:

- في كل ناحية موجود.. في كل شئ..

ومن هذا المنطلق يقول ابن رشد أن القرآن يخاطب كل المستويات على عقليتها، من مختلف الطبقات.

والكتاب المقدس يُشدد على براءة روح الإنسان، إن الله أعطى لهؤلاء الأطفال - على سبيل المثال - معرفته وحجزها عن العلماء المتغطرسين [٩]، لأن الخوف من الفلسفة هو الغطرسة، فالإنسان ذو الإيمان العميق يفهم نفسه وموقفه من الله.. الله المُطْلَق.

لذلك يؤكد الأب قنواتي بأنه لا تعارض بين الفلسفة والدين، فالفلسفة الحقيقية تصل لله خالق السموات والأرض وكل شئ، فأصل الصفات الموجودة في العالم منه: الجمال المطلق - العقل المطلق - الحق المطلق.

كل هذه الصفات تتجسد في الله، وهذه هي صورة الله عند الفلاسفة. فالفلسفة هي تطبيق العقل للبحث عن الحقائق، والعقل يُعطي قانون العلة على سبيل المثال، والعلوم المختلفة نفسها لها مبادئ، وكل هذا يؤدي إلى الإقرار بوجود خالق ذو أوصاف. فكل إنسان عاقل يفكر تفكير سليم يصل من المبادئ العامة إلى النتيجة، إلى وجود المطلق: أي الله واحد خالق السموات. لكن ما هو هذا المطلق ؟

فكيف نستطيع أن نتكلم عنه ؟!

هذا هو موطن الاختلاف، وهنا يبدأ دور الدين، فنجد المسيحية تقول لك: الله محبة.

فالفيلسوف يتعالى عن العالِم المتخصص.. لأن العالِم له مجال طبيعي محدود لا يحق له أن يتخطاه من خلال ما يحدده له الفيلسوف، الكيميائي يتكلم في الكيمياء والفلكي يتكلم في الفلك، لكن ماوراء الطبيعة لا يستطيع الوصول إليها، فالفلسفة وحدها هي التي تحاول البحث في العلاقة بين ما نعرفه من علوم مختلفة وبين الخالق.

---

(٩) انظر: الإنجيل بِحَسب ما كتب القديس متّى، الإصحاح ١١، العدد ٢٥، بيروت، دار المشرق، ١٩٨٩.

لهذا فإن الفلسفة تحاول فهم الاختلافات بين الأديان نفسها سواء كانت حقيقية أو شكلية، مثل مبدأ الله واحد. فالمسيحية تؤكد بكل قوة أن الله واحد، والإسلام نفس الشئ، لكن تجد المسيحية تقول: أن الله يتكلم بالرسل، وبأن المسيح نفسه كلمة الله التي تجسدت، فهو كلمة الله وأيضاً إنسان.

هذه كلها خصوصية دينية للمسيحية.

العلاقة بين الفلسفة والعلم والدين

وعن العلاقة بين كل من: الفلسفة والعلم والدين يقول الأب قنواتي [١٠] «إن العلم هو البحث عن الحقيقة من خلال مستويات الحقيقة، والتي يستطيع أن يصل إليها الإنسان بعقله: العَالَم - المخلوقات والعلوم المختلفة، فالعاقل يمكنه أن يصل إلى الحقائق بدون تضاد في دراسته للفلسفة».

إن وظيفة الكتب المقدسة ليست العلوم بالمعنى الحديث، القرآن والإنجيل ليسا كتابين علميين؛ كيمياء وطبيعة، بل هما إرشاد للوصول للخير وعمل الخير، وإذا كان هناك بعض التعبيرات العلمية أو الإشارات فهي للإنسان العادي.

والعلوم الطبيعية تختلف حسب تخصصها، وبدراستها نصل إلى معرفة حالة كل مادة على حدة بجميع وظائفها، وهنا لا علاقة للدين، إلا إذا مررنا إلى الفلسفة، فنجد في العالم قوانين محددة تحكمه، ونجد في هذا العالم الجمال، ومن هذه الدقائق نصل إلى الخالق (وهذا ما سيوضحه الفيلسوف وليس عالم الكيمياء مثلاً).

وبتجريد نتائج العلوم يستطيع الفيلسوف الوصول إلى الله وبدوره إلى صفات الله (الكمال - الجمال..)، فيصل هنا من معرفة أسرار العالم المادي بكل أحواله واستخدام هذه النتائج لتقدم الإنسان والإنسانية. وهكذا إذا نظرنا إلى عالم الأخلاق

---

(١٠) انظر: الحوار الأخير للأب قنواتي، مصدر سابق.

الذي يؤكد على وجود خالق وقاضي يحاكمنا على أعمالنا نجد أنفسنا أمام الضمير.. فهناك مستويان لذلك:

- المستوى العلمي الذي يدرس المادة وقوانينها.
- والمستوى الفلسفي الذي يفهم ويحلل ماهية تلك المادة، وقمة هذا المستوى الميتافيزيقا.

فالفلسفة الحقيقية تصل إلى وجود الله، كما توصل إلى ذلك كبار الفلاسفة.

التصوف الإسلامي

ونصل إلى التصوف الإسلامي، فالأصل في الإسلام عبارة عن عناصر متبقية من الحضارات الشرقية، وكان العُباد المسلمين يزوروا العُباد المسيحيين في الصوامع، يسألوهم عن كيفية التقرب إلى الله.

وكتب الأب قنواتي في البداية عن التصوف معتمداً على الأفكار الرئيسة للتصوف، وعلى الجزء الأول من كتاب ماسينيون التاريخي (Textes de mystique musulmane)، وأيضاً كتابه عن الحلاج (٣٠٩ هـ)[١١]. وعن التصوف المسيحي والإسلامي يقول الأب قنواتي:

«المتصوفة يحاولون الوصول إلى ذوق.. تذوق وجود الله، لأن التصوف هو أعلى مرتبة بشرط أن لا يحسب الفرد نفسه قد وصل إلى النهاية، فكل شئ نعمة من الله. والصوفي الحقيقي يعترف بهذا، وينسب كل ما لديه لله، فهو يعيش حالة من الوجدان بالعمق والتفاني، فيشعر أن الله كل شئ وأنه هو لا شئ !!»

فالصوفي لا يهتم بالشرائع الدينية لأنه أعلى مرتبة من العامة، الشرائع بالنسبة إليه وسيلة، قَطَعَ بها مرحلة لكن مع الاحتفاظ بها.

---

(١١) يذكر الأب قنواتي أنه - أي ماسينيون - كان فاقداً لإيمانه، وذات مرة عثر على رسالة للحلاج في المعهد الفرنسي، فأخذها ودرسها وأخرج هذا الكتاب الذي قلب موازين حياته.

وهكذا، حارب الأب قنواتي[١٢] كل انغلاق ثقافي، واعتبره خيانة للإنسان كما يريده الله، وفي هذا أيضاً كان الأب قنواتي تلميذاً وفياً لمعلمه القديس توما الأكويني الذي استوعب الكتاب المقدس وتقليد الكنيسة وتراث آباء الكنيسة الغربيين وعلى سبيل المثال: القديس أغسطينوس، وأيضاً الشرقيين منهم، كما استوعب الفلسفة اليونانية وعلى سبيل المثال: أرسطو دون إهمال لأفلاطون [(PLATON (428-348 av. J.-C.)] الفيلسوف الأغريقي المعروف، وأفلوطين [(PLOTIN (205-270)] الفيلسوف السكندري فيما بعد، وأيضاً الفلسفة العربية من خلال الفارابي وابن سينا ثم ابن رشد الذي اعتبره أعظم مفسر لأرسطو.

وظهرت عبقرية القديس توما الأكويني في أنه لم يقع في فخ نوع من التلفيقية بين عناصر غير متجانسة، بل انفتح على كل القيم الإنسانية مهما تكن الجهة التي ترد منها إليه، وجمع كل هذه العناصر في وحدة شخصية وديناميكية عميقة.

ولقد نجح الأب قنواتي – التوماوي العربي المصري – في تأصيل هذا المجهود الخلاّق في داخل إطار واقعنا الثقافي المصري اليوم.

---

(١٢) انظر: مجلة «القاهرة»، مصدر سابق، ص ١٤٥.

٣ - ١ رأيه في بعض العلماء والفلاسفة

يوسف كرم [١٣]

ولد يوسف كرم في مصر من عائلة ترجع جذورها إلى لبنان، وقد درس الفلسفة في فرنسا بـ L'Institut Catholique، وحصل من هناك على درجة الدكتوراه (عن ديكارت) وكان متعمّق جداً في فلسفة توما الأكويني.

فصار تلميذاً مخلصاً لتوما الأكويني لانتسابه للمذهب الأرسطي - كما كيّفه وهذّبه توما الأكويني - ليعطي تفسيراً لمعطيات العقيدة المسيحية، وظل خير منسق بين أرسطو وتوما الأكويني وابن رشد بأسلوب عربي راقٍ بعيداً عن الطنطنة الخطابية، ويظهر هذا في محاضراته القيمة كأحد فلاسفة جيله وعصره - وهب حياته للفلسفة ولتربية أطفال أخته بعد وفاة والدهم !! - تتلمذ على كلماته الكثيرين، فلاسفة جيله وعصره من أمثال: عبد الهادي أبو ريدة، يوسف مراد، عثمان أمين وعبد الرحمن بدوي.. .

لذلك شَبَهَهُ البعض بسقراط، لأنه كان يتكلم بهدوء، ويحلل الأشياء بكل اطمئنان، وقد نشر أفكاره وتعاليمه في ثلاثة كتب هم:

- المدخل إلى الفلسفة اليونانية، ١٩٣٦.
- العقل والوجود، ١٩٥٦.
- الطبيعة، ١٩٥٩.

وهذه الكتب تُمثّل التعليم الأرسطي الأصيل مع ما أضاف إليه يوسف كرم عن توما الأكويني.

---

(١٣) انظر: جريدة «الوفد»، مصدر سابق.
انظر أيضاً: الحوار الأخير للأب قنواتي، مصدر سابق.

وقد قام يوسف كرم بإلقاء سلسلة من المحاضرات في «النادي التوماوي» بالإسكندرية، وهناك دَرَسَ – أعضاء النادي – الفلسفة الإسلامية، وترجموا كتاب «المدينة الفاضلة» للفارابي، كما أصدروا قاموس فلسفي عربي / فرنسي.

وبعد أن انتقل يوسف كرم من التدريس في جامعة الإسكندرية إلى جامعة القاهرة، قام أيضاً بإلقاء سلسلة محاضرات فلسفية في النادي التوماوي عن إخوان الصفا، المدينة الفاضلة، الفيلسوف كانت (Emmanuel Kant [1724-1904]).

إن علاقتي بيوسف كرم – يؤكد الأب قنواتي – بدأت قبل التحاقي بالرهبنة عندما قرأت له مقالة بعنوان «ما وراء الطبيعة» أي الميتافيزيقا في مجلة (السياسة الأسبوعية) التي يصدرها حزب الأحرار الدستوريين، وكانت مقالة فلسفية أرسطية / توماوية.. وهذا ما كنت أريده في ذلك الوقت. فترجمتها إلى اللغة الفرنسية، وأرسلت له الترجمة وشرحت له فيها أن هذا كان ابتداء دخولي للفلسفة.. وتقابلنا بعد ذلك، وأصبح يوسف كرم الصديق والرفيق لي، فهو الذي ساعدني على الالتحاق برهبنة الدومينيكان.

توما الأكويني (١٤)

صاحب فلسفة عقلانية شاملة، قرأ وتأثر بابن رشد وابن سينا، أحتوت فلسفته كل ما في التراث اليوناني القديم والتراث العربي من فلسفة، والعقيدة المسيحية، والعقيدة العامة للفلسفة.. فجاءت فلسفته تعبيراً عن النشاط العقلي الإنساني، ويعتبر أعظم ممثل لهذه التوماوية هو چاك ماريتان أستاذ الفلسفة في الجامعة الكاثوليكية بباريس.

---

(١٤) انظر: جريدة «الأهالي»، أول يناير ١٩٩٢، *الحوار بين الأديان*.

الكندي والفارابي وابن سينا [١٥]

كل عالم منهم متأثر بالآخر.. الكندي مكتشف نظريات في علم الفلك، والفارابي يعمل بالموسيقى، وله مدرسة تخرج منها فلاسفة كثيرون، وهناك مجموعة من الفارابيين تأثر بهم ابن سينا.

والنقطة الهامة هنا أنه يوجد مسيحيين معهم، فلاسفة مثلهم، منهم ابن أبي زرعة على سبيل المثال، حيث تناقشوا في مجادلات مسيحية عن اللاهوت.

الرازي [١٦]

هناك اثنان اسمهما الرازي:

فخر الدين الرازي (٦٠٦ هـ) صاحب «تفسير القرآن»، والآخر *أبو بكر الرازي* الفيلسوف والطبيب، وكان هذا الأخير نصف ملحد، مُشَبَّع بالفلسفة اليونانية لدرجة الإلحاد، فالإلحاد يمكن أن يكون داخلياً كاعتقاد ولكن يحتفظ بالمظاهر الدينية كي لا يخرج على المجتمع، لكن تبقى الثقافة الدينية مؤثرة فيهم، مثل تأثير الثقافة الدينية على الملحدين في أوروبا.

فالإلحاد يتصف أولاً: بإنكار وجود النبي، لأنه يمكن لأي أحد أن يصل إلى العلوم التي يقول عليها النبي.

وثانياً: أن الخلق ليس مهماً.

إنهم ينكرون وجود الله والآخرة.

فأبي بكر الرازي معروف أنه قال بكفاءة العقل واستغناؤه عن النبوة، فالنبوة ليست ضرورية، والوحي غير أساسي، لذلك له كتابات إلحادية عن خوارق النبوة، وإن كان يُعَد أحد كبار علماء الطب العربي !!

---

(١٥) انظر: الحوار الأخير للأب قنواتي، مصدر سابق.

(١٦) المصدر السابق.

طه حسين [١٧]

إحدى مميزاته أنه كان يُقَدِّر الأشخاص ويعرف قيمتهم.

تعرفت عليه من خلال مدير المعهد العلمي الفرنسي الذي أخذني إليه، وقال لي وقتها الدكتور طه حسين بالعامية: «إحنا بنرحّب بيكُم.. الدومينيكان دول بيشتغلوا كويس، بس ماتشتغلوش في السياسة».

فهو مربي الأجيال، فضله على الثقافة كبير خاصة على التعليم في مصر، وفي الأدب وإحياء التراث، وتشجيع المواهب الفنية.. فكتاباته كانت نبراساً لكل من يريد الخير لمصر ولتحريرها من الظلمات والعراقيل التي يضعها العقل المتزمّت.. !!

سلامة موسى [١٨]

رجل مُفكّر مُتفتّح يفهم أهمية الدين والتصوف في الحياة الإنسانية، فبالغ في حبه للغرب، وكان ثائراً بدون حدود، ومع ذلك فقد أثّر في شخصيات كثيرة منها: زكي نجيب محمود، لويس عوض...، وكان له تيار أدبي واجتماعي كبير.

أحمد لطفي السيد [١٩]

هو شيخ الفلاسفة وإمامها.. الذي أحدث تغيراً عظيماً في دراسة الفلسفة، فهو أرسطو العالم العربي الحديث، وكان من أنضج العقول التي أنجبتها مصر في العالم الأكاديمي.

---

(١٧) انظر: جريدة «الأهالي»، مصدر سابق.

(١٨) المصدر السابق.

(١٩) المصدر السابق.

زكي نجيب محمود [٢٠]

فيلسوف من أعظم الفلاسفة المصريين، تتلمذ في انجلترا على يد أساتذة كبار. هو أديب ومفكر، يواجه مشاكل المجتمع بكل رصانة، يميل إلى الوضعية، ويَخرج الإنسان من القراءة له بفائدةٍ.

وقد زاره الأب قنواتي مرتين فقط في العشر سنوات الأخيرة، ويُأخذ عليه أنه كتب كتاب اسمه «خرافة الميتافيزيقا»، لأنه لا يوجد فيلسوف يُنكر الميتافيزيقا، فكان زكي نجيب محمود أسير الوضعية الأنجليزية- من وجهة نظر الأب قنواتي - لدراسته في إنجلترا.

عبد الحليم محمود [٢١]

هو متصوف أكثر منه فيلسوفا، وكان يمارس بعض الطقوس في الحلقات الدينية كشيخ كبير وله أنصار من المتصوفين.

---

(٢٠) المصدر السابق.
انظر أيضاً: الحوار الأخير للأب قنواتي. مصدر سابق.

(٢١) انظر: جريدة «الأهالي»، مصدر سابق.

الفصل الثالث

الأب قنواتي بين الديانة المسيحية والحضارة العربية

١ - ١ تواصل الحضارات

١ - ٢ معهد الدراسات الشرقية

٢ - ١ الأب قنواتي والحضارة الإسلامية

٢ - ٢ الأب قنواتي والحوار

الحوار واليهود

الثقافة في الحوار المسيحي / الإسلامي

٢ - ٣ الأب قنواتي والفكر الديني المعاصر

مصر والتطرف

المسيحية والحضارة العربية

١ - ١ تواصل الحضارات

اهتم الأب قنواتي منذ بداية مسيرته العلمية بتوجيه القسط الأكبر من اهتماماته بدراسة التراث الفلسفي والعلمي واللاهوتي عند العرب وأثره في الحضارة العربية، حتى أصبح رجل الحوار بين العقل والإيمان - العنصران الأساسيان في تكوين الحضارتين المسيحية والإسلامية - لأن العقل عنده لا ينكر الإيمان.. الذي بدوره لا يُكَفّر العقل؛ فإذا فقد الإنسان البعد الإيماني يتاه في حيرة الشك وعدم اليقين، وإذا فسد العقل وجد الإنسان نفسه موحولاً في مستنقعات الخرافات والأساطير، ويهوي في منحدر التعصب الأعمى المدمر..

وعلى هذا النحو، فقد كان الأب قنواتي مزيجاً من الحضارة المسيحية والحضارة الإسلامية، ولم يكن من الداعين إلى مجرد التقليد الأعمى للماضي وتكراره، فلو فقد الإنسان الصلة بالواقع (التاريخي) يدخل إلى دائرة الانفصام بين عقله وإيمانه، مما يترتب عليه نتائج خطيرة على كل من المستويين: الفردي والجماعي.

وبذلك اهتم الأب قنواتي كثيراً بالحوار بين الأديان لإيمانه بأن كل طرف عليه أن يحترم شعور الطرف الآخر، حتى يكون الحوار بينهم تفاهماً وليس صراعاً، ولأن الحوار لا يعني تخلّي أي طرف عن عقيدته، وكان يعتبر للإنسان قدسية في كل أبعاده: الروحية / الدينية والحضارية / الثقافية والاجتماعية / المادية.

اعتبر أن الحضارة المسيحية ورثت الحضارة اليونانية، والحضارة الرومانية هي التي ساعدت، على وجه الخصوص، في إقامة الحضارة العربية والإسلامية في طورها الأول، أما بعد ذلك بقرون فإن الحضارة العربية والإسلامية كانت هي التي ساعدت الحضارة الأوروبية في نهضتها الأولى، وعادت على التوالي الحضارة الأوروبية الحديثة لتساعد العالم العربي الإسلامي في صحوته من التجمدالحضاري والفكري، ونهضته وتقدمه إلى آفاق العلوم والفنون الحديثة.

إن تاريخ الحضارة العربية - مثل تاريخ معظم الحضارات الكبرى - يوضّح لنا أنها وصلت إلى عظمتها وخاصيتها بفضل انفتاحها، وبقدرتها على استيعاب

الحضارات الأخرى، وعلى سبيل المثال: اليونانية - البيزنطية - الفارسية - الهندية.. فنكتشف بذلك أن الحوار الحضاري البَنّاء لا يلغي الشخصية الحضارية الخاصة بل يُنميها ويُقويها.

فالحضارة العربية استوعبت ما ورد من منابع ثقافية كثيرة، واستمرت في التفاعل الحي الخلاق مع كل ما يحيطها من حضارات.

١ - ٢ معهد الدراسات الشرقية *

حضر الأب قنواتي إلى القاهرة سنة ١٩٤٤، ثم جاء بعده في العام التالي الأب جوميـيه والأب دي بوركيه DE BEAURECUEIL، وأسس ثلاثتهم معهد الدومينيكان للدراسات الشرقية، وكان يقوم بإلقاء محاضرات عامة، ويصدر عنه Les Cahiers du Cercle Thomiste.

وتأسس المعهد فعلياً داخل أرض الدير، والغرض الأساسي [(١)] له هو قيام الباحثين المسيحيين بدراسة التراث العربي الإسلامي (الديني، الفلسفي والعلمي)، ودراسة العلاقة بين المسيحية والإسلام بهدف الحوار والمعايشة السلمية، ومن منطلق أن كل المؤمنين أخوة.. وكل البشر متصلين بالحضارة الإنسانية العالمية..

وفي ٨ نوفمبر سنة ١٩٥٢ أصبح المعهد متصلاً بإقليم «الدومينيكان» في فرنسا، وقد اتخذ شكلاً متميزاً في ٧ مارس ١٩٥٣، ومن هذا المعهد خرجت الـ MIDEO **، وهي مجلة لا غنى عنها من قريب أو من بعيد لكل مهتم بالدراسات الاستشراقية من جهة، والمقارنات بين الفلسفة المسيحية والفلسفة الإسلامية من جهة ثانية، والفكر الديني المعاصر من جهة ثالثة.

---

* L'Institut Dominicain d'Études Orientales.

(١) انظر: مجلة «آخر ساعة»، مصدر سابق.

** Mélanges de l'Institut Dominicain d'Études Orientales.

بالإضافة إلى أنه أسس مكتبة تضم أكبر الموسوعات والمعاجم ودوائر المعارف في مختلف فروع الفكر والثقافة والتراث، وهي تُعَد من أكبر المكتبات من حيث ما تحتويه من أمهات الكتب والمراجع بطبعاتها الأصلية الأولى، وهي تحتوي - حسب آخر تقدير - على حوالي ثمانين الف كتاب !!

وبذلك أصبح الأب قنواتي المسئول عن سير فريق الدومينيكان للعمل بالقاهرة من سنة ١٩٤٤ إلى سنة ١٩٥٣، مما قاده لأن يكون مديراً للمعهد من سنة ١٩٥٣ إلى سنة ١٩٨٤، ثم تولّى رئاسة المعهد من سنة ١٩٨٤ إلى وفاته، فجعل من معهده قِبْلَة يحج إليها الباحثين من الشرق والغرب، ومن مختلف الجامعات المصرية.. ليجدوا المعرفة / العلم والنصح / الإرشاد.

ولقد تردد على المعهد الكثير من المثقفين ورجال الدين المسلمين، على سبيل المثال الشيخ محمد يوسف موسى أستاذ علم التفسير بجامعة الأزهر والذي ساعده الأب قنواتي في ترجمة الكثير من الكتب الفرنسية إلى اللغة العربية، وأيضاً الشيخ محمد فتح الله بدران الذي كان قد سجل رسالة دكتوراه عن الشهرستاني (٥٤٨ هـ) وجاء للمعهد ومكتبته ليرى صحة ما كتبه الشهرستاني عن المسيحيين والنساطرة.

٢ - ١ الأب قنواتي والحضارة الإسلامية

الأب قنواتي كان رجل الدين المتسامح الذي فتح قلبه للديانة الإسلامية وثقافتها، الذي نشأ وتربى وتعلم فيها، كإحدى الثقافات التي أسهمت في الارتقاء بالفكر الإنساني.

فالحضارة الإسلامية حضارة شغوفة بالحياة دون أن يطرح ذلك أية مشكلة أخلاقية من منطلق أن الإيمان دائماً ما ينقذ البشر الذي يشملهم الله برحمته؛ لذلك لم يمثل الاختلاف الديني عنده خطر على الإنسان وعلى الحضارة الإنسانية، مادام البشر

يعيشون هذا الاختلاف من خلال الاحترام المتبادل / الصادق / الصريح في التكامل والإخاء.

كان مقتنعاً بأن المسيحيين والمسلمين في مصر يستطيعوا أن يبنوا حقاً حضارة إنسانية واحدة، لذلك لم يكن من قبيل المصادفة أن يكون الأب قنواتي ضمن مؤسسي (جماعة الإخاء الديني)[٢] التي تريد أن تُشَيِّد العلاقة بين المسيحيين والمسلمين على كونهم جميعاً مُتدينين مؤمنين بالله.. دون المساومة في شأن الإختلاف الحقيقي بين الديانتين، منادياً بإمكانية الإخاء الحق بين المتدينين المؤمنين في سبيل المسؤولية الواحدة تجاه المجتمع الإنساني.

وعلى هذا النحو، لعب الأب قنواتي دوراً بارزاً في اللقاءات بين الديانات، وعلى وجه الخصوص، المسيحية والإسلام بفكر ونشاط موسوعي لا حدود لهما.

٢ - ٢ الأب قنواتي والحوار المسيحي / الإسلامي

سعت الكنيسة الكاثوليكية[٣] بعد المجمع الڤاتيكاني الثاني (١٩٦١ - ١٩٦٥) إلى إقامة علاقات بَنَاءة من خلال الحوار مع مختلف الأديان، لتدعيم روح الإخاء الديني بين المؤمنين، وتقرير حرية العقيدة الدينية لكافة البشر، ولهذا أسس البابا بولس السادس PAUL VI سكرتارية الكرسي الرسولي للحوار مع المؤمنين غير المسيحيين، والتي سبق للأب چورج قنواتي العمل فيها لمدة سبع سنوات قبل انضمامه إلى المجلس البابوي للثقافة، ومن خلالها تم عقد عدة لقاءات للحوار مع علماء الدين الإسلامي بمافيهم رجال الجامع الأزهر في مصر.

---

(٢) انظر: مجلة «رسالة الكنيسة»، القاهرة، العدد (٤٥) - ١٩٩٥، المؤلف، *الأب چورج قنواتي.. رجل الحوار الديني*، ص ٤٢.

(٣) انظر: مجلة «رسالة الكنيسة»، العدد الثاني، مصدر سابق.

ولهذا الحوار ثلاث مستويات[٤]:

الأول الحوار العقائدي: وهو أن لكل دين عقيدته، ولا يجب الجدال فيها لأنه أمرٌ غير مُجدٍ، ولا سبيل للوصول إلى فائدة منه إلا بين خاصة الخاصة الذين تتوافر لديهم خلفية لاهوتية / فلسفية / علمية، حتى يستطيعوا أن يتباحثوا في جو تسوده روح الإخاء، والاحترام المتبادل والانفتاح الفكري.

الثاني الحوار الاجتماعي: بغرض احترام ديني متبادل وتقرير حرية العقيدة والحقوق الدينية والمساواة والسلام والمحبة، ونبذ أوجه التعصب والكراهية بين الأديان، بتطبيق الشريعة الإلهية الموجودة في كل قلب (الضمير)، واحترام حقوق الإنسان التي تضمن رعاية حق الله، وبالتالي يمكن الوصول إلى نتائج مرضية، لإن الحوار المسيحي / الإسلامي فيه استبعاد للقضية المسيحية أو الإسلامية التي مصدرها الجهل وحده، وأصبح نبذ هذه القضية منطقياً يفرضها العصر الذي نعيشه.

أما الثالث، الحوار الثقافي: وهو مُجدٍ جداً بين الأديان المختلفة للتعارف على بعضها البعض، وتقوية الروابط وأوجه التعاون الثقافي بينهما من خلال تبادل الثقافات وإثراء كل ثقافة بالأخرى.. حيث تلاقت الثقافة المسيحية والثقافة الإسلامية، وحققت كل منهما روائع في الأدب والعلوم والفنون.

فهناك من يرى أن الحضارة الإسلامية غير قائمة الآن، لكن تاريخها مازال قائماً، مع العلم أنه إذا ذَهَبْتَ إلى أوروبا تجد الجوامع والصلاة والكثير من الكتابات عن الإسلام.

فالحضارة الإسلامية ماتزال قائمة لكن بصورة مختلفة عما كانت عنها في الماضي، لأنها من أكبر الحضارات ولا يمكن إنكارها، لذلك لابد من معايشة الحضارة الإسلامية والحضارة التاريخية أو تاريخ هذه الحضارة.. هذا كله ثروة كبيرة جداً من العلوم الفلسفية والآداب.

---

(٤) المصدر السابق.
انظر أيضاً: مجلة «آخر ساعة»، مصدر سابق.
وانظر أيضاً: الحوار الأخير للأب قنواتي، مصدر سابق.

وبذلك نجد أن المحور المشترك بين جميع الأديان هو: العدالة والسلام، وليس هناك دين يدعو إلى الحرب، فالأديان تتجه نحو الله لتمجيده وعبادته وترسيخ الأخلاق عند البشر.

فالمسيحية والإسلام دينان كبيران موحدان، لهما جذور مشتركة عديدة، وتقارب ونبل المقصد، والحث على الفضيلة.. وكل دين يحاول أن يجد في الدين الآخر ما هو طيب وحسن وملائم لتحقيق الانسجام بوحدة الهدف (مجد الله وتحسين أخلاق البشر).

وما هو جدير بالذكر، أن الأب چوسان [٥] شجع الأب قنواتي على الحوار لأنه كان له التوجه نفسه، ونصحه بأن يَدْرُس علم المنطق لتأثيره الكبير في الإسلام، ذلك بعد أن علم أن السبب الرئيسي لالتحاق الأب قنواتي برهبنة الدومينيكان هو فكرة الحوار المسيحي / الإسلامي.

ونذكر، أيضاً، أن الشيخ محمد متولي الشعراوي [٦] قال للأب چورچ قنواتي ذات مرة فيما معناه عدم ارتياحه لكلمة حوار - أي الحوار المسيحي / الإسلامي - وإنه يُفضّل أن يُطلق عليه (لقاء) أو (لقاءات) لتبادل الفكر، فكلمة حوار تُعطي إيحاء بانتصار طرف على الطرف الآخر، وهذا غير صحيح في علاقة المسيحية بالإسلام.

ونادى الأب قنواتي [٧] بأنه يجب على المسلم أن يكون مستنيراً وأيضاً المسيحي كذلك، لأن الإنسان إنسان، والمسلم هو أخي.

---

(٥) تنظر: الحوار الأخير للأب قنواتي، مصدر سابق.

(٦) المصدر السابق.

(٧) المصدر السابق.

الحوار واليهود [٨]

أصبح الحوار الآن في مختلف الاتجاهات، على سبيل المثال: بين المسيحيين والمسلمين، بين العلمانيين وغير العلمانيين.. ولأن الغالبية العظمى في مصر مسلمون فالمسألة حساسة.. والحوار مسيحي / إسلامي فقط، لأننا في الوقت الحاضر ننفر من الأعمال التي تقوم بها إسرائيل. لكن في السنوات الماضية كانت في مصر جالية يهودية مثقفة، وعلى حد تعبير الأب قنواتي بالعامّية «بس خَسَّروا الدنيا بمسألة إسرائيل».

الثقافة في الحوار المسيحي / الإسلامي [٩]

ويُحدّثنا الأب قنواتي عن نماذج اللقاءات الثقافية بين المسيحية والإسلام التي كثرت وتنوعت فيها أشكال التبادل الثقافي في العصور الوسطى، فضمّت الفلسفة – اللاهوت – اللغويات – العلوم والتجارة. وتناول الأب قنواتي بالتفصيل في تلك الدراسة ثلاثة نماذج فقط، أعتقد أنهم دُرّسوا بعناية وتمت الاستفادة منهم في المصادر العربية.. هما: شعر التروبادور troubadours الرواة – الحب العذري – دانتي والإسلام.

وعن رصيد اللقاءات الثقافية المسيحية / الإسلامية في العصور الوسطى، يقول الأب قنواتي [١٠]: «وتُعد دراسة الإرث الثقافي والديني المتبادل أقوى ضمان لحماية الأدوار الثقافية في مختلف المجالات الدينية في عالم اليوم، ففي البلاد التي تتعايش فيها أديان مختلفة وثقافات مختلفة خاصة بها، تصبح «التعددية الثقافية» ذات ثمار مضمونة.

---

(٨) المصدر السابق.

(٩) انظر: مجلة «أدب ونقد»، القاهرة، يناير ١٩٩٥ – العدد ١١٣، المؤلف، ملف الأب قنواتي بين الفقه واللاهوت – *الثقافة في الحوار المسيحي / الإسلامي*.

(١٠) المصدر السابق.

ليعمل المسلمون والمسيحيون اليوم، إذن، على خلق برنامج ثقافي، وعالم مُتآخٍ من أجل سعادة البشرية». فكل فرد في العالم له رسالة يؤكدها وجوده وكيانه ومواهبه، ولابد أن يستفيد بها. والحوار المسيحي / الإسلامي حوار لا تناقض فيه ولا تنازع لأن الأديان في ذاتها لغة للحوار لا للصراع، فكل الأديان تحث على الفضائل بمختلف أنواعها، والمبدأ هنا أن هذا الحوار ممتد ليجمع بين المسيحيين والمسلمين.

وتأكيداً لهذا فالأب چورچ قنواتي الراهب المسيحي كان يرى أن سماحة القرآن (الله من خلال علم الكلام الإسلامي)[11] ترتكز على أفكار ثلاث هي:

١- الله واحد أحد.

٢- الله خالق، وهو الحكم وبيده الثواب والعقاب.

٣- الله عَليٍّ قدير رحيم.

٢ - ٣ الأب قنواتي والفكر الديني المعاصر

وعن التيارات الكبرى للفكر الديني في العالم المعاصر[12]، كان الأب قنواتي يعتقدأن هناك الصحوة المسيحية والصحوة الإسلامية، وأيضاً هناك الصحوة المُتَزَمّتة التي تتمسك بحرفية النص بدون فهم مدلوله والإطار الذي ورد فيه وعدم ربطه بتقدم العلوم اللغوية، ومن هنا تنشأ أخطاء كثيرة وخطايا أكثر.

إن التفسير العلمي للكتب المقدسة خطأ، لأن هذه الكتب ليست علوماً طبيعية، وبالتالي فعدم تطور الفكر وعدم انطلاقه يُمثل هذه الصحوة المنحرفة التي تؤدي إلى مبالغات، وإلى العنف، وإلى عدم قبول للفكر الآخر واضطهاده أحياناً !!

---

(١١) انظر: مجلة «القاهرة»، مصدر سابق، ص ١٥٧.

(١٢) انظر: مجلة «الإذاعة والتلفزيون»، مصدر سابق.

لذلك فإن لم تكن هذه الصحوة مُستنيرة فسيحدث تَطرّف، لأن هذه الصحوة عودة إلى الله والحياة الروحية العميقة التي نفتقدها الآن في مقاومة موجات التيارات الدينية غير المُستنيرة التي انتشرت، وأصبحت (قنبلة) تهدد العالم.

إن الدين قوة جبارة / مُحَركة يستخدمها البعض للتدمير، والبعض الآخر يستخدمها للإصلاح والنقد المطلوب من أجل التصفية والغربلة.

إنّ كل من المسيحية المُستنيرة والإسلام المُستنير مطلوبان لمواكبة هذا العصر أكثر من أي وقت مضى، فهذه الصحوة الدينية تجد صدىً كبيراً عند بعض الشباب الأوروبي الذين وهبوا حياتهم للخدمة.

وهناك أيضاً تيار «وضعي» مازال ممتداً، يقوم على أن العلم يمكنه تفسير كل شئ، فالصحوة المُستنيرة تتوفر فيها الأخلاقيات للعلم لتمنع كل نواقصه.

وعلى هذا النحو، فهناك دعوة إلى العقل وإلى الروحانيات، وإذا كان العلم في تقدم مستمر.. فلابد أن يكون هناك تقدم موازٍ له في الأخلاق، وكما يقول برجسون «إن العالم يكبر ويكبر ويتضخم من الوجهة المادية، أما روحه فلم تكبر، وبالتالي هناك خلل يحتاج إلى نوع من التناسب». فليس هناك تضاد بين الصحوة الروحية والعلم [١٣].. فلايزال العلم يتقدم بلا حدود، وإن كانت هناك أيضاً غوامض لم يُكشَف عنها بعد، وحقاً أنَ هناك تضخماً جسدياً للعالم والحضارة أكبر من التقدم الروحي.

مصر والتطرف

إنّ التطرف الديني ناتج من عناصر اجتماعية وفهم خاطئ للدين [١٤]، فليس هناك ديناً يدعو للعنف والقتل والسرقة والاغتيال، عند الأب قنواتي، فهؤلاء المضللون لم يدركوا حقيقة الدين.

---

(١٣) على حد تعبير الأب قنواتي، المصدر السابق.

(١٤) انظر: مجلة «آخر ساعة»، مصدر سابق
انظر أيضاً: جريدة «الأهالي»، مصدر سابق.

كان الأب قنواتي يؤمن بأن الشخصية المصرية الخالدة التي أتسمت - على مر القـرون - بالاتزان والبعـد عن العنف والمواقف العدائية، سـوف تُثمـر رغم بعض التيارات المتطرفة الرجعية التي تريد التخلي عن كل ما وصلت إليه عبقرية عدة عقول اجتهدت في سبيل الرُقي الحضاري.

واعتَقَدَ بأن مصر محصّنة ضد كل من يريد طمس ثمار تحديثها، وإن قوى التّنوير الموجودة الآن في فكر مثقفينا حريصة على حفظِ تراثنا الديني الحقيقي مع تراثنا الحضاري.

لذلك فأن الأب قنواتي شعر بالأسف كثيراً للتيار الرجعي / الظلامي والمتعصب / المتطرف الجارف في العالم العربي والإسلامي اليوم على وجه الخصوص.

هذا التيار [١٥] المُقَنّع بشعارات دينية برّاقة يستتر بها لرفضه تقدم الفكر الإنساني والحضاري، والذي يكاد يهوي بالإنسانية إلى هاوية العصبية القبلية، ويضربها في أصولها الحضارية التي قامت عليها منذ بدايتها.

المسيحية والحضارة العربية

على هذا، نجد الأب قنواتي عمل على التعريف بمظاهر حضارتنا العربية العظيمة [١٦] وابراز ما قام به المسيحيون العرب من علماء وشعراء ومؤرخين ولاهوتيين مع إخوانهم المسلمين، يداً بيد، في سبيل تشييد صرح الحضارة العربية [١٧] ورفع شأنها، هذه الحضارة التي هي ثمرة مجهود الجميع.. وموضع فخر كل الناطقين بالعربية، لغة الضاد.

---

(١٥) انظر: مجلة «القاهرة»، مصدر سابق، ص ١٥٢.

(١٦) انظر: كتاب «المسيحية والحضارة العربية» للأب الدكتور جورج شحاتة قنواتي، القاهرة، دار الثقافة، الطبعة الثانية، ١٩٩٢.

(١٧) انظر: مجلة «رسالة الكنيسة»، العدد (٤٥)، مصدر سابق.

الفصل الرابع

چورچ قنواتي... نهاية مسيرة

١ – ١ الآثار

١ – ٢ صومعته الفكرية

١ – ٣ ببليوجرافيا

٢ – ١ المرحلة الأخيرة

رجل الصلاة

رجل الدراسة

رجل العلاقات الإنسانية

٢ – ٢ نهايات

١ - ١ الآثار

أثرى الأب جورج قنواتي مكتبتنا العربية وغير العربية - الفرنسية على وجه الخصوص - بالعديد من المؤلفات والدراسات الجادة حيث جمع بين التأليف والترجمة وتحقيق النصوص القديمة، مما جعل مجهوداته الفكرية في دنيا العلم والثقافة وبحوثه غاية في الدقة والمنهجية، ومن خلال هذا كله نجد أنفسنا نُبحر معه تاريخياً وثقافياً عبر العقل العربي.

كان الأب قنواتي كتلة محاضرات / مؤلفات / مؤتمرات وصداقات مما أهله لأن تتسابق كبرى جامعات العالم المختلفة وأشهر المعاهد العلمية المتخصصة لتكريمه، وعلى سبيل المثال لا الحصر، دعته كل من جامعة شيكاغو (Chicago)، فلاديلفيا (Philadelphia)، واشنطن (Washington)، لوس أنجلوس (Los Angeles).. لإلقاء عدد من المحاضرات حول العلوم عند العرب، وأثر العلم العربي في النهضة الأوروبية.

ومن غرفته البسيطة في الدير صُدِرَت الكتب ونُشِرَت كثير من المقالات العلمية في كبرى المجالات ودوائر المعارف المتخصصة العالمية، وفيها كتب محاضراته التي كان لها صدىً كبيراً لكل من يسمعها.

١ - ٢ صومعته الفكرية

لذلك، كان لابد أن نعرف محتويات هذه الحجرة / الصومعة الفكرية، كما تركها - على وجه التقريب - وكما هي الآن.. حيث يتعجب كل من يدخل حجرته لنظام تخطيطها، والتي تتكون من جزءين:

الجزء الأكبر يُعتبر بمثابة حجرة المكتب وبها مكتبه، ومكتبته الشخصية.

الجزء الآخر وهو حجرة النوم وبه دولاب وسرير.

والجزء الأكبر مُكون من العديد من الأركان الصغيرة التي تُغَطّي جميع الحوائط

بأكملها (أرفف الكتب والملفات).. وعلى سبيل المثال:

– يوجد رف كبير به مُصنّف أبجدي لدراسات بحثية مخطوطة، أرسلها له باحثون من مختلف دول العالم، وهي خاصة بالفلسفة واللاهوت وتاريخ العلوم.

– يوجد رف به أحدث الكتب الصادرة عن الكيمياء والقوانين الطبية، وذلك مع الكتب الروحية المسيحية.

– يوجد ، أيضاً، ركن خاص فيه كتب باللغات الأخرى غير اللغة العربية، وعلى سبيل المثال: اللغة الفارسية، اللغة الألمانية...

– يوجد ركن به ملفات وكتب مختلفة الموضوعات، كل منها خاص بموضوع محدد.

– يوجد رف خاص لكتبه – أي كتب الأب قنواتي – الشخصية التي يستخدمها، بصفة يومية، أو التي يحتاجها في أعمال التأليف، وعلى الرف نفسه بعض الكتب المصورة (المنسوخة)، والعديد من الكتب العلمية النادرة، مثل: النسخة المطبعية للجزء الكبير من كتاب «الشفاء».. وهذه الطبعة كان قد بحث عنها كثيراً في بداية الأربعينات حتى تمكن من الحصول عليها.

ويوجد بعض الأدراج الهامة على مكتبه، تحتوي على كل من:

– ميكروفيلم بمخطوطات عربية.

– ملف بمخطوطات يدوية بكل من اللغة العربية واللغة الفرنسية.

– أسماء العقارات والنباتات.

وفوق هذا المكتب يوجد أشياء أخرى منها:

– الآلة الكاتبة العتيقة الخاصة به.

– كتاب الصلوات.

– جهاز الراديو.

– مكان خاص لكوب الشاي.

وعلى كل جانب من الكرسي الذي كان يجلس عليه يوجد أثاثين معلق عليهما ملفات مقسمة كالتالي:

- الخطابات المرسلة إليه.
- ملف لكل كاتب قديم وفيلسوف أو عالم عربي أو يوناني أو لاتيني.
- وثيقة مفهرسة يكتب فيها، يومياً، مع مذكراته الشخصية.

بالإضافة لكل هذا يوجد المعمل الكيميائي الصغير المجهّز بعدد من الأجهزة والآلات.. هذا المعمل الذي كان يُجري فيه تجاربه الكيميائية التي كان يجد فيها راحة كبيرة له.

أما الجزء الآخر من الحجرة، هو جزء صغير يحتوي على سرير مُحاط بثلاث منبهات خشيةَ أن يُسيطر عليه النوم !! مع دولاب تقليدي فيه بعض حاجياته الخاصة، وفيه ملفات شخصية جداً لرحلاته وأسفاره والشخصيات التي قابلها، بالإضافة إلى الوثيقة الخاصة بالحوار المسيحي / الإسلامي، وكذلك بيان المجمع الفاتيكاني الثاني حول الإسلام.

ومن هذه الحجرة / الصومعة الفكرية، نجدنا نتساءل:
- من يكون هذا الرجل ؟
- ما حجم علاقاته، سواء على المستوى العلمي أو المستوى الإنساني ؟
- وما ضريبة عمله طيلة تلك الحياه المُقيّدة بالنظام ؟!

فكان الأب قنواتي، حقاً، عالِماً ذا ثقافة موسوعية ممتدة، وباحث وفيلسوف من الدرجة الأولى.. أنتج ستة وعشرين عملاً - إما وحده أو بالإشتراك مع آخرين - وأكثر من ثلاثمائة وخمسين[1] مقالة في جميع المجالات المختلفة من الفلسفة واللاهوت إلى الكيمياء وتاريخ العلوم، وأيضاً مقالات عن العلاقة بين الدين والثقافة.. كل هذا في إطار الثقافة العربية.

(١) في البداية اعتقدنا أن للأب قنواتي ٢٨٠ مقالة (أنظر: مجلة «القاهرة»، مصدر سابق، ص١٦٧)، وبعد التحرّي والاقتراب أكثر من أعماله ورصدها تَيقّنّا أن لديه أكثر من ٣٥٠ مقالة.

واشترك أيضاً في كتابة الفصل الخاص بالفلسفة وعلم الكلام والتصوف في موسوعة تراث الإسلام التي صدرت ترجمتها باللغة العربية في الكويت سنة ١٩٧٨ . كُلف أيضاً بتحرير المادة الخاصة بالدين المسيحي لدائرة المعارف الشاملة والتي أشرف عليها الدكتور محمد شفيق غربال.

١ - ٣ البيبليوجرافيا

أسهم الأب قنواتي بكثير من الكتب للمكتبة العربية، وساعد على إثراء الفكر العربي بكثير من إسهاماته الفكرية.. ونثبت هنا قائمة بمؤلفاته[٢] مقسمة على مجموعات ثلاث متنوعة، ومرتبة حسب صدورها تاريخياً، على النحو التالي :

المجموعة الأولى : الكتب الخاصة به.

١- "الكنيسة الحية"، دار السلام - القاهرة، ١٩٤٩، ٧٢ صفحة.

٢- "مؤلفات ابن سينا، قائمة ببليوجرافيا"، دار المعارف - القاهرة، ١٩٥٠، ٤٥٠ ص عربي - ٢٠ ص فرنسي، (بتكليف من الإدارة الثقافية لجامعة الدول العربية).

٣- الترجمة الفرنسية لـ "De causis"، المجمع العلمي لدراسات القرون الوسطى - مونتريال، ١٩٥٢ .

٤- "ابن سينا : الشفاء، الميتافيزيقا (الإلهيات)" ترجمة فرنسية، المجمع العلمي لدراسات القرون الوسطى - مونتريال، ٥٣-١٩٥٥، ٣٢٠ ص.

---

(٢) انظر : مجلة «القاهرة»، مصدر سابق، ص ١٦٧ .
وأنظر أيضاً : مجلة «أدب ونقد» - العدد ١١٣، يناير ١٩٩٥، ص ٣٧ .

٥- "دموع إبليس" ترجمة فرنسية، د. فتحي رضوان، طبعة مجلة القاهرة، ١٩٥٧، ١٢٥ ص.

٦- "تاريخ الصيدلة والعقاقير في العهد القديم والعصر الوسيط"، دار المعارف - القاهرة، ١٩٥٩، ٢٠٩ ص عربي - ٦ ص فرنسي.

٧- "دراسات فلسفية إسلامية"، المكتبة الفلسفية - باريس، ١٩٧٤، ٤٣٢ ص فرنسي.

٨- "قائمة ببليوجرافيا عن ابن رشد" - الجزائر، ١٩٧٨، ٤٣٠ ص.

٩- "الميتافيزيقا في الشفاء (مقدمة، ترجمة وملاحظات)"، الجزء الأول - باريس، ١٩٧٨، ٣٧٩ ص فرنسي.

١٠- "اتجاهات وتيارات في الإسلام المعاصر"، الجزء الأول - القاهرة، ١٩٨٢، ١٦٠ ص.

١١- "الميتافيزيقا في الشفاء (مقدمة، ترجمة وتعليق)"، الجزء الثاني - باريس، ١٩٨٥، ٢٣٨ ص فرنسي.

١٢- "المسيحية والحضارة العربية".

الطبعة الأولى، المؤسسة العربية للدراسات والنشر - بيروت، ١٩٨٦، ٢٧٦ ص.

الطبعة الثانية (مزيدة ومنقحة)، دار الثقافة - القاهرة، ١٩٩٢، ٤٠٨ ص.

المجموعة الثانية: بالاشتراك مع آخرين.

١٣- "مقدمة في علم الكلام الإسلامي (علم اللاهوت المقارن)" بالاشتراك مع لويس جارديه Louis Gardet، وقدم له المستشرق ماسينيون Massignon، المكتبة الفلسفية - باريس، ١٩٤٨، ٥٤٣ ص فرنسي.

١٤- "فلسفة الفكر الديني بين الإسلام والمسيحية"، الترجمة العربية في ثلاث أجزاء، دار العلم للملايين - بيروت، ٦٧-١٩٦٩، ٣٨٠ ص، ٤٤٨ ص، ٤٦٤ ص. قام بها فريد جبر وصبحي صالح.

١٥- "ببليوجرافيا المؤلفات العربية المطبوعة في مصر ٤٢-٤٣-١٩٤٤" بالاشتراك مع تشارلز كوينتز Charles Kuentz – القاهرة ١٩٤٩، ١٦ + ٦١٣ + ٤٧ ص.

١٦- "كتاب النفس لأرسطوطاليس (ترجمة، مقدمة وملاحظات)" بالاشتراك مع فؤاد الأهواني – القاهرة ١٩٤٩، ١٦١ ص.

١٧- "جوهرة التوحيد (شعر)" بالاشتراك مع لويس جارديه – تونس، ١٩٥٠، ٦٦٩ ص.

١٨- "التصوف الإسلامي (وجوه، واتجاهات، اختبارات ووسائل)" بالاشتراك مع لويس جارديه – تورينو، ١٩٦٠، ٣٢٥ ص.

١٨أ- الكتاب السابق نفسه – باريس، ١٩٦١، ٣١٠ ص.

١٩- "كتالوج الكتب العربية المطبوعة" – القاهرة، ١٩٦٠، ١٤٤ ص.

٢٠- "المخطوطات الطبية لابن رشد (مقدمة، ترجمة وتعليق)"، مكتبة الاسكوريال – اسبانيا. تحقيق النص بالاشتراك مع سعيد زايد، مركز الأهرام للترجمات العلمية – القاهرة، ١٩٨٦، ٥٥٠ ص.

٢١- "تاريخ الصيدلة عند العرب" بالاشتراك مع حفني صابر وعبد الحليم منتصر، اليونسكو، القاهرة، ١٩٦٧، ٢٠١ ص.

المجموعة الثالثة: بالاشتراك مع آخرين في تحقيق النصوص القديمة.

٢٢- "ابن سينا (الشفاء، المنطق)" بالتعاون مع محمود الخضيري وفؤاد الأهواني – القاهرة، ١٩٥٢، ٤٥ ص فرنسي، ٧٧ ص مقدمات، ١٥٩ ص نصوص النقد. تمهيد د. طه حسين، مقدمة عامة للشفاء ومقدمة خاصة للمدخل د. إبراهيم مدكور.

٢٣- "ابن سينا (الشفاء، المنطق)، ٢" بالتعاون مع محمود الخضيري وفؤاد الأهواني وسعيد زايد – القاهرة، ١٩٥٩، ٢٨٠ ص، مقدمة إبراهيم مدكور.

٢٤- "ابن سينا (الشفاء الإلهيات)" بالتعاون مع سعيد زايد – القاهرة، ١٩٦٠، ٢٨٥ ص، طبعة نقدية للنص العربي، مقدمة د. إبراهيم مدكور.

٢٥- "المُغني في أبواب التوحيد والعدل – الإرادة" بالتعاون مع عبد الجبار، وزارة الثقافة والإرشاد – القاهرة ١٩٦٣، ٣٥٦ ص.
٢٦- "ابن سينا (الشفاء، الطبيعيات)، كتاب النفس"، طبعة نقدية للنص العربي، بالتعاون مع سعيد زايد – القاهرة، ١٩٧٥، ٣١٩ ص.
٢٧- "رسائل ابن رشد الطبية" بالتعاون مع سعيد زايد، هيئة الكتاب – القاهرة، ١٩٨٧، ٤٥٣ ص.

٢ – ١ المرحلة الأخيرة

كان الأب قنواتي رجلاً نشطا ملئ بالحيوية، لا يتأخر عن مساعدة أحد، يُرحّب بالصغير قبل الكبير، وَفِياً للجميع، وبشهادة رفقاء عمره في الدير أنه كان رجل الصلاه بالإضافة إلى أنه رجل الدراسة ورجل العلاقات الإنسانية..

رجل الصلاة

لأنه لم يَتَخلّف طيلة حياته عن الصلاة المشتركة مع آباء الدير أثناء وجوده في القاهرة مهما تكن مشغولياته.. والطريف أن الأب قنواتي، عندما كان يرأس قداس الصباح في الدير، كان يضع فوق المذبح بطاقة صغيرة تحتوي على أسماء الذين في فكره وحسبانه ليذكرهم في صلاته، وكان يقرأ حوالي ثلثمائة وعشرين اسماً * من مختلف دول العالم، سواء من عائلته أو أصدقاؤه المقربين إليه مسيحيين ومسلمين، أحياء أو أموات، علماء أو أفراد عاديين.. كلهم تحت عينيه حتى لا ينسى قلبه أحد !!

---

* ونذكر منهم على سبيل المثال: طه حسين، الشيخ الفحّام، يوسف كرم و Louis GARDET .

رجل الدراسة

الذي كان من نوعية كل من جمال حمدان وزكي نجيب محمود، فارتضى لنفسه حياة العزلة والهدوء التي أتاحت له أن يُقَدّم لنا العديد من الدراسات القيّمة والخالدة في أكثر مجالات المعرفة العلمية والإنسانية، وأثرى مكتبتنا العربية بالعديد من الثمار الفكرية الناضجة والصادرة عن أمل عميق وتحليلات منهجية في صمت العالم وتواضع الحكيم وروحانية الراهب.

برحيل الأب قنواتي خَفَتَ نجم ساطع وشُعلة فكرية عظيمة من مشاعل الفكر والتَّنوير في مصر وعالمنا العربي، من حقنا أن نفخر به ونتباهى له كأحد العظماء التي أنجبتهم مصر.

ونذكر هنا أنه كان شعلة متوهّجة من العطاء المستمر بدون حدود وفواصل، وهذا ما يشهد عليه طلابه وأتباعه وأصدقاؤه وكتبه ومقالاته ومحاضراته في المؤتمرات العلمية في العالم كله من جانب، وجهوده في مجال الفلسفة وتاريخها والتصوف الإسلامي من الجانب الآخر، وهذا كله واضح وضوح الشمس.

كان الأب قنواتي لا ينام سوى ساعات قليلة، والغريب أنه لم يستخدم الكومبيوتر على الإطلاق سوى في السنة الأخيرة من حياته لمتابعة كتابه الضخم (التوحيد) الذي ظل يعمل فيه حتى قبيل وفاته بيومٍ واحد، حيث كتب بنفسه جزءاً كبير منه على الكومبيوتر !! وذلك بعد استيعابه لتعليمات التشغيل والتخزين بذاكرته القوية. والجدير بالذكر إن كتاب (التوحيد) [٣] هو مجلد موسوعي ضخم بلغ عدد صفحاته ما يقرب من ثمانمائة صفحة تقريباً.

---

(٣) انظر: مجلة «القاهرة»، مصدر سابق، ص ١٦٧.
كما إن مقدمة هذا الكتاب قد نُشرت في مجلة «أدب ونقد»، مصدر سابق. ص ٢٩.

رجل العلاقات الإنسانية

كان الأب قنواتي ذو علاقات إنسانية واسعة ومترامية الأطراف لا يحدّها جنس ولا لون ولا دين ولا مستوى معرفي، وكان دؤوباً.. شجاعاً، مرحاً.. خفيف الظل، سلس اللسان.. عذب اللغة، يَتَنقّل حديثه من اللغة العربية السهلة عُبوراً إلى اللغة الفرنسية الرقيقة بإيقاع جميل، إذا كان من يُنصت إليه على معرفة بها أو يشاركه هذه الازدواجية اللغوية.

فكان يعي أبعاد تكوينه الثقافي وعياً نبيلاً يُعَبّر عن نفسه في شكل من الأشكال في الحوار وفي الكتابة، ويقابلك [٤] في كل طريق إلا طريقاً واحدا كان وجهه يحمرّ خجلاً حين يجدك تدخله خلالها، فيتلعثم ويتعثر ويحاول الهروب ألا وهي طريق المديح والثناء عليه، فقد كان بينه وبين الكبرياء والرياء والغطرسة بوناً شاسعاً.

٢ - ٢ نهايات

وهكذا رحل الأب چورچ شحاتة قنواتي بعد رحلة فكرية / ثقافية / دينية طويلة تبدأ يومياً من السادسة صباحاً وتنتهي، تقريباً، في الثانية بعد منتصف الليل، وبعد حوالي أربعة عشر ساعة من البحث / التأمل والقراءة / الكتابة – رحلة قاربت الستين عاماً، وبعد حياة شارفت على التسعين عاماً في الثامنة من صباح يوم الجمعة ٢٨ يناير ١٩٩٤ في حجرته / صومعته الفكرية بدير الآباء الدومينيكان بالقاهرة.

ذلك المفكر الجليل / البارز الذي امتزج بتراب وطنه وعروبته، فرفع اسم مصر عالياً في شتى أنحاء العالم.. لم يكن الأب قنواتي راهباً عادياً بل عالِماً وأديباً ومُفكَراً.

وليس غريباً بل من الطريف والجدير بالملاحظة أن يكون الأب قنواتي من مواليد الإسكندرية [٥] – عاصمة مصر الثانية التي تطل على البحر المتوسط – منارة

---

(٤) انظر: مجلة «القاهرة»، مصدر سابق، ص ١٤٧.

(٥) انظر: مجلة «رسالة الكنيسة» – العدد (٤٥)، مصدر سابق.

العلم والمَدَنيّة في العصور الماضية، وعلى وجه الخصوص، العصر الهلينستي، وبذلك صاحبت مسيرة حياته ليكون ابن الإسكندرية الذي احتفلت به كثير من الجامعات الكبرى والمعاهد المتخصصة على مستوى العالم ليذكرنا بالتاريخ العتيق للإسكندرية من عطاء عظيم، وكَوَارِثٍ لهذا التراث العظيم، وليكون حلقة من حلقات الوصل بين الثقافات وحوار الأديان والفلسفات..

لقد كان حقاً صاحب ضمير إنساني يقظ، مما جعله شعلة نشاط / مركز إشعاع ثقافي / علمي وحضاري لمن هم حوله جميعاً.

إنه الراهب الدومينيكاني.. المصري / العربي.. العالِم.. الفيلسوف.. الذي رحل عنا يوم الاحتفال بعيد معلمه في الرهبنة وأستاذه الفكري القديس توما الأكويني.. الأب چورج قنواتي..

الذي رقد أخيراً في هدوء وسلام.

الخاتمة

وهكذا بعد كل هذا نجد أنفسنا أمام أحد أبرز الشخصيات الفكرية التي لم تأخذ مكانتها الطبيعية في الشهرة..

إنه الأب چورچ شحاتة قنواتي

الذي لم يظهر، فقط، لكونه رجل الدين المسيحي الشرقي بل أيضاً الذي ظهر كمُمثل لمصر المسيحية / الإسلامية أمام العالم كله شاهداً على التسامح والمحبة والمودة الموجودة في صميم الشخصية المصرية التي نشأت على ضفاف هذا النهر العظيم / الخالد.

وقد انتهينا في نهاية مسيرته إلى عدد من الملاحظات الجديرة بالتسجيل، على النحو التالي:

إن الأب چورچ قنواتي عَـالِم من علماء القرون الوسطى، من العلماء الموسوعيين الذين يهتموا بكل العلوم، بهدف واحد تنويري / عقلاني، كالتنويريين العظماء من أمثال: عباس العقاد وطه حسين.. هذه النوعية من العلماء الذين يفكرون ويتكلمون ويكتبون في شتى فروع المعرفة بشكل إنساني عام، لكن مع التميّز بدقة في تخصصاتهم، وعلى الرغم من أن علماء أوروبا تحولوا الآن من العقل الموسوعي إلى العقل

المتخصص بعد تراكمات فكرية / زمنية مختلفة، غير أننا في الفكر العربي نحتاج لتلك العقول الموسوعية لأننا مازلنا في طور النهضة.

إن شخصية الأب قنواتي من الشخصيات التي تمتلك الحرية الفكرية بدون القوقعة الكهنوتية / الدينية.. وأدق مثال على ذلك تخصصه في الفلسفة الإسلامية كأحد وَرَثة ثقافة الحضارة الإسلامية وليس كمُستشرق بعيد كل البعد عنها.

وعلى هذا النحو، كان للأب قنواتي ثلاثة أبعاد شَكَّلت محور حياته بوجه عام من جانب وبوجه خاص من جانب آخر:

- البعد الأول: شخصيته كراهب مسيحي متخصص في علم اللاهوت بشكل إنساني متميز.
- والبعد الثاني: علاقته بالدين المسيحي التي تعدّاها، كما ذكرنا، إلى الدين الإسلامي وفلسفته / حضارته.
- والبعد الثالث: والذي تعداه إلى الإنسانية العالمية بفكر متفتح / متحرر واحد يجمع فيه جميع البشر من خلال تواصل الحضارات والفلسفات.

لهذا تطورت مراحل الأب قنواتي الفكرية من الأقليمية إلى العالمية: من الذات (الدين المسيحي)، إلى الغير (الدين الإسلامي)، إلى العام (الإنسانية).

لذلك نجد ان قدرته العبقرية الإنسانية الفذة تتجلى في قدرته على الجمع بين الإيمان العميق بعقيدته المسيحية التي كرّس حياته لخدمتها بفَهم نادر، وبين اعجابه بالإسلام وولعه بثقافته التي كرّس لها جهوده العلمية

لدراسة حضارته في مظهرها الفلسفي / العلمي، لأنه كان يملك التوافق الفريد والتوازن المتميز بين البعد العقلي / الفكري، والبعد الديني / الإيماني.

كان قائد للحوار بين الأديان والحضارات والفلسفات والمعايشة السلمية.. يجمع كل هذا بعلمه وفلسفته واتصالاته الواسعة المدى كدائرة معارف متنقلة، وهذا ما يظهره سجل زيارات معهد الدراسات الشرقية للآباء الدومينيكان بالقاهرة - السجل الذهبي Livre d'or كما يُسَمّيه الآباء الدومينيكان - من أسماء لا حصر لها لكبار المفكرين، على مستوى العالم، من مختلف الإتجاهات الفكرية والدينية !!

* * *

وفي النهاية نتسائل كما تسائل غيرنا:

هل يمكن أن يجود الزمان، مرة أخرى، بمثل هذا الرجل ليُكمّل المسيرة / الرسالة في زماننا العصيب هذا.. ؟ !!

هذا سؤال نتركه للمستقبل !!

مقترحات لتكريم وتخليد آثار الأب الدكتور چورچ قنواتي

١- جمع مقتنياته، وعمل متحف باسمه في دير الآباء الدومينيكان بالقاهرة.. مع اقامة تمثال نصفي له داخل هذا المتحف (أو في حديقة الدير).

٢- الاحتفال بذكراه سنوياً أكاديمياً (وعلى سبيل المثال: عمل مؤتمر تتبنّاه أحدى الكليات التي دَرّس فيها لذكراه.. مع تقديم ومناقشة الأبحاث التي تناقش فكره).

٣- إطلاق اسمه على أحد المدرجات أو قاعات البحث في أحدى كليات الآداب.

٤- الدعوة والعمل على إعادة طبع ونشر أعماله في سلسلة لدى هيئة علمية مصرية، وبوجه خاص، كتابه / مجلده الهام: فلسفة الفكر الديني بين المسيحية والإسلام (٣ أجزاء).

٥- عمل جائزة باسمه في الدراسات التراثية والتواصل الحضاري بين المسيحية والإسلام.

٦- إضافة سيرة حياته في مجلدات وموسوعات الشخصيات المصرية البارزة.

٧- تكوين هيئة علمية للعمل على ترجمة كتابه الضخم (التوحيد)، بعد صدور طبعته باللغة الفرنسية إلى اللغة العربية.

القسم الثاني

وثائق وملاحق وصور

أولاً : الوثائق

نصوص لم تنشر للأب قنواتي

١- الإيمان المشترك بالله بين المسيحية والإسلام
٢- طب البغدادي

الإيمان المشترك بالله بين المسيحية والإسلام *

من أهمّ معتقدات الإسلام الإقرار بأنّه «لا إله إلاّ الله»، ويستهلّ قانون الإيمان المسيحي بهذه الكلمات: «أؤمن بإله واحد».

إنّ هذه القاعدة الأساسية للعقيدتين تقدّم للذين يُحبّذون الحوار المسيحي / الإسلامي ميداناً ممتازاً للتبادل الخصب المفيد. فمن الإقرار بوجود إله حيّ متعالٍ عن العالم، وقريب منه بل معه، خالق السموات والأرض، ينبثق عدد من الحقائق الأساسية بالنسبة للإنسان والأسرة والمجتمع والحياة الدولية وللحضارة.

ومن ثمّ فإنّنا سنعالج الموضوع حسب النقاط الثلاث الآتية:

أولاً : الإيمان المشترك بالله، مضمونه ومعناه.

ثانياً : فكرة «الأنسية» (l'humanisme) القائمة على الله، وهي نتيجة هذا الإيمان.

ثالثاً : الخطوط العريضة للتقارب المسيحي / الإسلامي المبنية على هذه الأنسية بغيّة تحقيق عالم أفضل.

---

* قام الأب الدكتور جورج قنواتي بإلقاء هذه المحاضرة يوم ١١ سبتمبر عام ١٩٧٨ بقاعة جمعية الشبان المسلمين بالقاهرة.

أولا : الإيمان المشترك بالله

١- الإقرار بوجود الله:

يعتقد المسلمون والمسيحيون أنّ وجود الله يثبته العقل ويؤكّده الوحي. فقد أقام علماء الدين المسيحيون والمسلمون براهين شتّى مختلفة، ولكنّها متشابهة لإثبات وجود الله. وهي مبنية على الحركة والإمكان، والغائية ونظام الكون، وتحثّ الكتب المقدّسة على التأمّل والاعتبار في آيات الله الكونية والنفسية. فهناك تشابه كبير بين علم التوحيد المسيحي وعلم التوحيد الإسلامي برغم الفوارق، فتوما الأكويني Thomas D'Aquin يقتفي بعض الشيء آثار ابن سينا والغزالي.

٢- الله واحد، حي، قيوم:

لقد اعتقد دائماً المسيحيون، واليهود قبلهم، بإله حيّ واحد قيّوم. وقد امتلأت كتبهم بالنصوص التي تشهد لهذا. ولذلك عندما يقرأ المسيحيون المزامير: «فمَن إله غير ربنا ؟ ومن صخرة سوى إلهنا ؟» [١] هم يردّدون نفس قول الذين يقولون إنّه «لا إله إلاّ الله».

وقد ذكر المجمع المسكوني الفاتيكاني الأوّل من سنة ١٨٧٠ هذه العقيدة بدقّة فقال: «إنّ الكنيسة تؤمن وتُعلّم بأنّ الله واحد وهو الحقّ الحيّ خالق السماء والأرض وربّهما على السواء، إنّه القدير السرمدي لا حدّ له ولا يحيط به غيره علماً. وليس أيّ حدّ بعقله ومشيئته وكماله، وبما أنّه جوهر روحي واحد في طبيعته. لا يتركّب ولايتغيّر أبداً، يجب على الجميع أن يقولوا إنّه يتباين عن مخلوقاته في الواقع وبذاته وإذ أنّه يجد رضاه في ذاته وبذاته لأنّه متعالٍ عن كل ما هو سواه مما هو موجود في الدنيا أو ممكن الوجود».

---

(١) انظر: سفر المزامير، مزمور ١٨، عدد ٣٢، بيروت، دار المشرق، ١٩٨٩.

وإنّنا نكاد نجد في القرآن الكريم جميع هذه الأوصاف فأسماء الله الحسنى تكاد تكون موجودة كلها حرفياً في العهد القديم والعهد الجديد.

٣- الله يحب البشر:

يؤكّد الكتاب المقدّس والقرآن أنّ الله هو العليم الحكيم الذي يعلم خليقته حقّ العلم في ظاهرها وباطنها، وهو الأكرم اللطيف، الخبير الولي المهيمن. فيتّفق المسلمون والمسيحيون على أن يسمّوه البصير السميع الرقيب العليم، وأنّه أحصى كل شيء عدداً.

فعلى الإنسان أن يعترف بأنّ مصيره يتوقّف تماماً على ما قدر الله في شأنه، أنّه هو الحكم والحاكم الرهيب العدل المقسط.

٤- الله ذو الغفران والرحمة.

٥- الله هو الحميد المجيد.

٦- الله يرسل الأنبياء:

يعتقد المسيحيون والمسلمون أنّ الله كلّم البشر عبر التاريخ في الأنبياء كلاماً متفرّق الأجزاء مختلف الأنواع «إن الله بعدما كلّم الآباء قديماً في الأنبياء»[٢]، أو كما جاء في القرآن «وحياً أو من وراء حجاب أو يرسل رسولاً فيوحي بإذنه ما يشاء» (٤٢، ٥١).

٧- الله يُحيي الأموات ويرضي الأنفس.

٨- إن الإنسان يقدم لله العبادة:

بالصلاة والصوم والزكاة والحجّ، وللمسيحيين، زيادة من ذلك، بتقديم الذبيحة المقدّسة التي هي العبادة القصوى عندهم.

---

(٢) انظر: الرسالة إلى العبرانيين الإصحاح الأول، العدد الأول، بيروت، دار المشرق، ١٩٨٩.

ثانيا : الاتّجاه الإنساني المعتمد على الله والإيمان به

« الأنسية » (l'humanisme) القائمة على الله، نتيجة الإيمان بالله.

١- إنّ الإنسان، في المسيحية وفي الإسلام، هو في قلب العالم، تقول التوراة إنّه خلقه على صورة الله وعلى شبهه [٣]، ويقول القرآن إنّه بالرغم من أنّه من طين فقد نفخ الله فيه من روحه (٣٢، ٩). ولكي يحقّق دعوته في الأرض أعطاه سمعاً وبصراً وقلباً (بمعنى القلب).

خلق الله العالم لكي يكون مُسخّراً للإنسان من حيث هو خليفة الله. في حالة كماله الأوّلية، كان للإنسان في الخلق مركز الشرف. ولهذا أمر الملائكة بأن تسجد له (٢٠، ١١٦)، ولكن في حالته الحاضرة، يجب عليه أن يكافح لكي يرتفع إلى الله، ولكي يسيطر على الطبيعة ويسيطر على نفسه فيسترجع حالته الأولى.

لقد خلق الإنسان لكي يشهد أن لا إله إلاّ الله، لكي يعبد خالقه، ويمدحه ويخدمه. وقد وضعه الله في وسط العالم لكي يستولي عليه باسمه ويكون ملكاً عليه، أو بالأحرى لكي يكون خليفة الله عليه. جميع خيرات العالم تحت تصرّفه. ولكن يجب عليه أن يستعملها بحكمة، إذ أنّه سيحاسب على كيفية تصرّفه. فالأنثروبولوچيا الإسلامية هي مثل الأنثروبولوچيا المسيحية، متّجهة نحو الله، فإنّ الإنسان لا يفقه نفسه إلاّ بنسبته إلى الله.

٢- هناك حقوق لله غير قابلة للسقوط ولها الأوّلية. ففي المسيحية كما في الإسلام إنّ الله هو الذي يُخدَم قبل كل شيء، والبعد الرأسي يحقّق البعد الأفقي.

ولكنّ هذا البعد يُحَقّق أيضاً، بطريقة عميقة ميتافيزيقية، حقوق الإنسان الأساسية. فللإنسان شخصية ذات سيادة، وحرّية، له الحقّ أن يعيش ويُحَقّق سبل عيشه، وأن يملك، وأن يختار عمله، وأن يُعبّر عن آرائه. إنّ الله هو، بلا جدال، سيّد النظام في المجتمع، من حيث أنّه أساس العدل الذي يجب أن يسود فيه، وأساس الحياة الأخلاقية التي يجب أن يلتزم بها المواطنون والدول. ومن هذه الناحية لا يقبل الإسلام والمسيحية النظم الشمولية التي تمتصّ الأفراد وتذوب كيان الشخص فيها.

---

(٣) انظر: سفر التكوين، الإصحاح الأول، عدد ٢٧، بيروت، دار المشرق، ١٩٨٩.

ولكن، في نفس الوقت، لقد حوّل إلى الإنسان، باستعمال مواهبه العقلية، أن يعمل على تنظيم المجتمع بموجب الشرع الطبيعي. هذا الشرع الطبيعي يقابل الطبيعة الإنسانية العالمية، إذ هو مبني على العقل، ومن ثمّ، كما يقول اللاهوتيون المسيحيون، إنّه قبس من الشريعة الإلهية السرمدية. ولذا يستطيع العقل، أقول العقل الخاضع للحكمة الإلهية، أن ينظّم صلات العدل بين مواطنين من أديان مختلفة.

٣- إنّ الإيمان بالله في الإسلام وفي المسيحية قد أحدث حضارتين وثقافتين دينيتين. وقد أثّر هذان الدينان في جميع مناطق الحياة الإنسانية، من أدب وعلوم وفنون، وقد حقّقا في جميع هذه الميادين روائع ذات قيمة عالمية.

ويبقى الإله الحيّ، الذي يؤمن به المسلمون والمسيحيون، منبعاً لا ينضب لإبداعات متجدّدة، بشرط أن يفهم هؤلاء وأولائك حاجات عصرهم ويعرفوا أن يجدوا، كنتيجة لتأمّلهم في الإله اللانهائي الذي يعبدونه، الأجوبة الحقيقية للمشاكل التي تواجههم.

ثالثا : الخطوط العريضة للتقارب الإسلامي / المسيحي في سبيل عالم أفضل

المبني على هذه «الأنسية» (l'humanisme) القائمة على الله.

١- في ميدان الإعلام والبحث العقائدي، على المسلمين والمسيحيين أن يعمّقوا معرفتهم لله وللوحي والتفسير والكتب المقدّسة، والديانات الأخرى وموقعها من الله، والتجربة الدينية (التصوّف المسيحي والإسلامي).

٢- في المستوى الاجتماعي والمدني، يجب عليهم أن يعملوا في بلد واحد، على تحقيق مساواة، الحقوق والواجبات للمواطنين، وحرّية العبادة والدين في الضمان لكل شخص أن يذعن لضميره والسماح للكلمة الصالحة أن تعلن بحرّية.

والعمل سوياً لضمان خيرات الشخص والأسرة، وحفظ روابط الزواج، وتهذيب الأطفال، وحقوق العمّال وتأمينهم حياة كريمة. وفي هذا الميدان قد وضعت الكنيسة مذهباً وتخطيطاً دقيقاً فيستحسن أن يقابل هذا المذهب بما وصل إليه علماء الإسلام فيستفيد الطرفان من هذه المقابلة وفي مراعاة هذه الحقوق الإنسانية الأساسية إسهام فعّال في تحقيق السلام الحقيقي في المجتمع.

يجب أيضاً العمل سوياً لصدّ المذاهب الاجتماعية الهدّامة التي تزعزع توازن المجتمع، بإقصائها الله منه.

٣- وفي ميدان أعمال البرّ، إنّ الحرص على خدمة الله بواسطة خدمة الغير على اختلاف دينه وجنسه يجب أن يكون دين المؤمن المسيحي والمسلم. وهنا تستطيع المنظمة الكاثوليكية «كاريتاس Caritas» أن تضمّ مجهودها إلى مجهود المنظّمات الخيرية الإسلامية العديدة، التي طالما أظهرت منذ انتشار الإسلام نزعة قوية، نحو التضامن الإنساني.

٤- وأخيراً، في المستوى الحضاري والثقافي، إنّ العمل واسع وثمين بأن يثير حماس المؤمنين بالله المسيحيين والمسلمين، فإنّ تاريخ الصلات بين المفكّرين المسيحيين والمفكّرين الإسلاميين المتعطّشين إلى المزيد من معرفة السرّ الإلهي، في القرون الوسطى وفي القرون التالية، هو رهين بإمكانيات المستقبل، فلم يخشَ توماس الأكويني أن يقتبس بعض نقاط من فلسفة ابن سينا وابن رشد لكي يبني مذهبه الخاصّ، والتبادل الثقافي الشديد المعاصر في جميع الميادين – آداب، تاريخ، علوم، فنون، أديان – بين الغرب المصطبغ بالمسيحية والشرق حيث تغلّب عليه الصبغة الإسلامية، هو أحسن دليل لحوار حضاري منتج.

هذا ومنذ أمد بعيد يضطلع في الشرق الأوسط مواطنون مسلمون ومسيحيون معاً بالقيام بمهمّات ثقافية مشتركة مثل تحقيق نصوص ونشر مجلات وصحف وتأليف كتب وتنظيم مؤتمرات، إلخ. حبّذا لو كان لهذا التعاون انتشار أوسع ومنهج أحكم.

ورجاؤنا أن يساهم كل أعضاء جماعة الإخاء الديني، كل واحد في ميدانه، في تحقيق مزيد من التفاهم الديني والأخلاقي والثقافي والاجتماعي.

والله هو ولي التوفيق..

طب البغدادي *

يقول الأستاذ سارتون Sarton في كتابه المشهور «المدخل إلى تاريخ العلوم»، في البحث الذي خصصه لعبد اللطيف البغدادي «أنه كان، على ما يظهر أكثر رجال عصره تثقيفاً» [(١)]. وقد ختم بحثه بهذه الملاحظة: «إننا في حاجة ماسة، في ميدان بحوثنا، إلى دراسة منهجية لمؤلفات عبد اللطيف» [(٢)].

وكنت أود لو أتيح لي أن أقدم إلى سيادتكم، بمناسبة هذا المهرجان، هذا البحث المنهجي الذي تمناه المؤرخ الكبير. ولكن مع الأسف الشديد لم يتيسر لي تحقيق هذه الأمنية وهذا لسبب بسيط ولكن قاطع وهو أنه لا يوجد لدينا الا القليل جداً من مؤلفات عبد اللطيف الطبية وهي مشتتة في مكتبات أوروبا. ولذا أريد في مستهل هذا البحث أن أشير إلى ما قد يكون في عنوان البحث الذي فرض عليّ فرضا من خداع. وستدركون ما أقصده عندما سأوضح لكم المحل الذي يشغله البغدادي في تاريخ الطب عند العرب ومدى معرفتنا لمؤلفاته الطبية.

---

* قام الأب قنواتي بإلقاء هذه المحاضرة في ندوة موفق الدين عبد اللطيف البغدادي ٢٩ – ٣٠ يونيو ١٩٦٣، وقد نُشرت ترجمتها الفرنسية في جريدة *الأهرام إيدو*، القاهرة، ١٥ – ٢١ مارس ١٩٩٥، المؤلف، ص ٢١.

(١) Introduction of the history of science, vol. II, part II « He was apparently one of the most enlightened men of his time. », p. 599.

(٢) « A systematic study of Abd al-Laṭîf's works from our point of view is badly needed. », p. 600.

لا أريد أن أخوض في تفاصيل ترجمته إذ هناك من زملائي من يقوم بها مطولاً. لأكتفي بأن أقول إن عبد اللطيف البغدادي ولد في بغداد سنة ١١٦٢م وتثقف فيها ثم سافر إلى دمشق وقابل صلاح الدين الأيوبي الذي عينه خطيباً في المسجد الأموي. ونزل بالمدرسة المزيزية وشرع في التدريس والاشتغال وكان يأتيه خلق كثير يشتغلون عليه ويقرءون أصنافاً من العلم وتميز في صناعة الطب.. وصنف في هذا الفن كتباً كثيرة وعرف به. وعند وفاة صلاح الدين رحل إلى مصر حيث قابل من أطبائها موسى بن ميمون. وفي سنة ١٢٢٩م ارتحل إلى حلب حيث تفرغ لتدريس صناعة الطب وغيرها. وتوفي سنة ١٢٣١م.

ومعنى هذا أن عبد اللطيف البغدادي عاش في عصر متأخر بالنسبة إلى عصر نشأة الطب عند العرب ثم عصر ترعرعه ونضوجه ثم بجموده وتصلبه في إطار كلاسيكي لا يقبل التغيير.

ولنفهم هذا، يجدر بنا أن نلقي نظرة شاملة سريعة على تاريخ الطب عند العرب في القرون الوسطى. وإذا اكتفينا بالخطوط العريضة يمكننا أن نقسم هذا التاريخ إلى ثلاث مراحل، أولاً: مرحلة نشأة وترجمة، ثانياً: مرحلة نضوج وترعرع، والمرحلة الثالثة مرحلة استقرار وتكرار وهي المرحلة التي تقابل عصر البغدادي.

أما المرحلة الأولى فهي مرحلة التكوين أو ترجمة التراث اليوناني. وقد تركزت في بغداد في القرن الثامن والتاسع. وكان محورها ورائدها حنين بن اسحق وتلاميذه. فكانوا يجيدون اللغات العربية والسريانية واليونانية فانكبوا على نقل التراث اليوناني القديم إلى العربية إما بواسطة السريانية أو مباشرة إلى العربية.

وعندما نقول التراث اليوناني، نعني قبل كل شئ ثلاثة أشخاص هم كنجوم ثلاثة في سماء الطب القديم. أعني أبقراط وجالينوس وديسقوريدس. وأقدمهم أبقراط إذ عاش في القرن الخامس قبل الميلاد. ولأبقراط «مجموعة أبقراطية Corpus hippocraticum» يتراوح عدد كتبها بين ٧٢ و٧٦ كتاباً في٥٣ موضوعاً.

وكان لهذه المجموعة شأن كبير عند أطباء العرب. فترجموا معظمها مع تفسير

جالينوس. ويقول ابن أبي أصيبعة، وهو أكبر مؤرخ للأطباء عند العرب خصص لهم كتابه المشهور «عيون الأبناء في طبقات الأطباء»، يقول ابن أبي أصيبعة: «والذي انتهى الينا ذكره وجدناه من كتب أبقراط الصحيحة يكون نحو ثلاثين كتاباً. والذي يدرس من كتبه لمن يقرأ صناعة الطب اذا كان درسه على أصل صحيح وترتيب جيد اثنا عشر كتاباً وهي المشهورة من سائر كتبه». وهي:

١) كتاب الأجنة — On the Foetus

٢) كتاب طبيعة الإنسان — On the nature of man

٣) كتاب الأهوية والمياه والبلدان — On airs, waters and places

٤) كتاب الفصول — The Aphorisms

«وهو سبع مقالات ضمنه تعريف جمل الطب لتكون قوانين في نفس الطبيب يقف بها على ما يتلقاه من أعمال الطب. وهو يحتوي على جمل ما أودعه في سائر كتبه».

٥) كتاب مقدمة المعرفة — The book of prognostics

«ثلاث مقالات وضمنه تعريف العلاقات التي يقف بها الطبيب على أحوال مرض في الأزمان الثلاثة الماضي والحاضر والمستقبل».

٦) كتاب الأمراض الحادة — Regimen in acute diseases

٧) كتاب أوجاع النساء

٨) كتاب الأمراض الوافدة — On the epidemics

٩) كتاب الأخلاط — On the humours

١٠) كتاب الغذاء — On the nutriment

١١) كتاب قاطيطريون أي حانوت الطبيب — The physician's establishment

١٢) كتاب الكسر والجبر — On the fractures

أما جالينوس فقد جاء بعد أبقراط بخمسة قرون وكان إعجابه به عظيماً جداً ففسر أهم كتبه وقد اقتفى آثاره فأبدى اهتماماً كبيراً بالفحص الإكلينيكي. ومعظم

موقفه من علم الأحياء مبنى على النظريات الأبقراطية وهي تنحصر في النقط الثلاث الآتية:

أولاً: مبدأ الحيوية Vitalism أي أن هناك عنصراً خاصاً غير مادي يحيا به الجسد هو النفس Psyche.

ثانياً: مبدأ الأخلاط Humorism المبني على الاعتقاد بأن الاشياء مكونة من الأربع العناصر الاساسية: الحار والبارد والرطب واليابس. فالجسم الإنساني مزيج متناسب من الدم والبلغم والصفراء. فإذا امتزجت هذه العناصر امتزاجاً محكماً في الكيفية والكمية وكان الامتزاج متناسباً تمتع الجسد بصحة جيدة وهو في حالة الكرايس Crasis أي الامتزاج، ولكن إذا زاد أحد العناصر أو نقص أو امتنع عن الامتزاج بالعناصر الأخرى حدثت الأمراض Dyscrasis . وأكثر الأمراض ناجمة من ازدياد في البرودة والحرارة. وهناك تماسك وتضامن في أعضاء الجسم ووظائفه. فإذا مرض عضو أثر على الجسم كله.

ثالثاً: المبدأ الطبيعي Naturism أي محاكاة الطبيعة في المعالجة. لقد تحقق أبقراط بالملاحظة أن هناك طبائع لا تتغير، ذات صفات ثابتة. ولكل تطور طبيعي ونضوج محدود السير والمصير. وهناك مبدأ بسيط، واحد في ذاته، متعدد بمفعوله، هو الطبيعة. وهذا المبدأ يشرف على جميع الوظائف الحيوية ويقاوم العوامل الهدّامة للجسم. وعلى الطبيب أن يساعد هذه الطبيعة لكي تقوم بعملها. فلابد له من أن يعرف «البحران» أو النومة Crisis وهي النقطة الفاصلة في المرض التي تؤذن بالاتجاه نحو التحسن أو التفاقم كما يعرف «الأيام الحاسمة». «فالقوة الطبيعية الشافية» هي الحجر الزاوية في الطب الأبقراطي. ولذا يجب على الطبيب أن يكون حذراً ولا يتسرع في التدخل في سير المرض خوفاً من أن يحول دون الطبيعة. ولكن إذا حدث تأخر في ظهور البحران فعليه أن يساعد على إزالة المواد السقيمة بواسطة الفصد أو الأدوية المقيئة أو المسهلات.

احتفظ جالينوس بالمبادئ الأبقراطية وزاد عليها محصول تجاربه المعملية واختباراته وألف كثيراً. وكان له شأن كبير عند العرب فترجموا له معظم كتبه ولخصوها وفسروها. وقد ذكرها ابن أبي أصيبعة مطولاً في كتابه. وخصص جالينوس أيضاً عدة

كتب للأدوية نذكر منها كتاب الأدوية المفردة، كتاب قوى الأغذية وكتاب تركيبة الأدوية.

والنجم الثالث في تراث الطب اليوناني الذي كان أساس الطب العربي هو ديسقوريدس، عاش هذا الطبيب اليوناني في القرن الأول بعد الميلاد. وقد جمع في كتابه الملقب «كتاب الحشائش» كل ما ورد في مؤلفات من سبقه من الأطباء في المادة الطبية. وظل كتابه المرجع الأساسي على مر الأجيال للمفردات الطبية. فما من طبيب ذي قدر إلا ودرسه درساً مطولاً وعلق عليه منذ جالينوس إلى ابن سينا وعبد اللطيف البغدادي. ويشتمل الكتاب على ما يربو من ستمائة عشبة وعدداً من الأدوية المعدنية والزيوت والأدهان ذات الفائدة الطبية.

تُرجم معظم هذا التراث اليوناني في القرن التاسع في بغداد تحت إشراف حنين ابن إسحق. وقد أضيف إليه كتب أخرى إذ كان حنين بن اسحق طبيباً ماهراً ومؤلفاً بارعاً. وقد أورد ابن أبي أصيبعة أكمل قائمة لمؤلفاته العربية. وامتاز حنين بمعالجة أمراض العين.

وأما المرحلة الثانية في الطب عند العرب فهي مرحلة نضوج وترعرع في نفس إطار المبادئ الأبقراطية والجالينية ولكن مع زيادة اختبارات شخصية واكتشاف بعض الأمراض وعدد كبير من الأعشاب والأدوية. وقد ظهر في هذه المرحلة ثلاثة نجوم أيضاً من كبار أطباء العرب. وهم ابو بكر الرازي المتوفي سنة ٩٢٥ ميلادية، وعلي بن عباس المجوسي المتوفي سنة ٩٩٤ ميلادية وابن سينا المتوفي سنة ٩٩٤ ميلادية.

يمثل هؤلاء الثلاث التراث اليوناني الطبي الذي تشبعوا بروحه وطبقوا علمهم على مرضاهم. فمهروا في صناعتهم وشفوا المرضى.. وأغنوا المادة الطبية فوصل الطب العربي على أيديهم إلى ذروة مجده. وأصبحت كتبهم المرجع الأساسي لتعليم الطب إذ قد انصب فيها كل الطب اليوناني في ثوب عربي. وهذه الكتب هي التي درسها عبد اللطيف البغدادي ليصبح هذا الطبيب الماهر والأستاذ العلامة الذي التف حوله الطلاب في دمشق وحلب والقاهرة، وهذه الكتب معروفة مشهورة حتى وقتنا الحاضر وهي

تقدم دليلاً واضحاً على ما وصل إليه علماء العرب بصبرهم وذكائهم ومجهودهم المتواصل. فللرازي كتاب الحصبة والجدري وكتاب المنصوري وكتاب الحاوي. وللمجوسي كتاب «كامل الصناعة في الطب» ولابن سينا «القانون في الطب».

وأشهر هؤلاء الثلاثة هو - بلا جدال - ابن سينا. وقد حدثنا عنه عبد اللطيف البغدادي ولكن بلهجة تدل على خيبة الأمل ومرارة الخذلان. ولكن لا في ميدان الطب. فقد حكى لنا البغدادي في سيرته أنه شغف في أول الامر بالكيمياء والعلوم. فهو يقول بعد أن اجتمع بالإمام الناصر لدين الله: «وأقبلت على الاشتغال وشمرت ذيل الجد والاجتهاد وهجرت النوم واللذات وأكببت على كتب الغزالي، المقاصد، والمعيار، والميزان، ومحك النظر، ثم انتقلت إلى كتب ابن سينا، صغارها وكبارها، وحفظت كتاب النجاة وكتبت الشفاء وبحثت فيه، وحصلت كتاب التحصيل لجهمينار تلميذ ابن سينا وكتبت وحصلت كثيراً من كتب جابر بن حيان الصوفي ابن وحشية، وباشرت عمل الصنعة الباطلة وتجارب الضلال الفارغة. وأقوى من أضلني ابن سينا بكتابه في الصنعة الذي تمم به فلسفته التي لا تزداد بالتمام إلا نقصاً» (ابن أبي أصيبعة جـ ٢، ص ٢٠٤).

فهذا النص دليل قاطع على أن عبد اللطيف البغدادي تشبع من كتاب ابن سينا. وهو لا يوافقه فيما ذهب اليه - في رأي عبد اللطيف على الأقل - من إمكان الحصول على الحجر الفلسفي أو تحويل المعادن الخسيسة إلى فضة أو ذهب. ولكني أكاد أجزم أن طب عبد اللطيف هو طب ابن سينا بالذات إذ لم يكن يختلف في مبادئ الطب طبيبان، فهو علم مُسَلّم به، ثابت الأركان، لا يناقش في منهجه وتطبيقه كما لا يناقش في مبادئ الهندسة أو علم الهيئة.

ولذا يمكننا أن نقول بدون تردد إن طب عبد اللطيف البغدادي هو طب ابن سينا وهو الطب الشائع في القرون الوسطى الموروث من جالينوس وأبقراط وتلاميذهما.

وقد ذكرت في مستهل حديثي أنه لا يوجد لدينا كتب طبية شاملة للبغدادي يمكننا الرجوع إليها لإثبات افتراضنا هذا. غير أنه توجد قائمة كتبه وقد استخلصت

منها الكتب الخاصة بالطب بمعناه الواسع الذي كان يتسم به في القرون الوسطى. وحاولت أن أرتبها حسب المادة التي تعرض لها. وإننا نستطيع أيضاً، لقياس معارف البغدادي الطبية أن نفحص بعض النصوص التي وردت في كتابه «الإفادة والاعتبار» الخاصة بالنبات في مصر وبعض أطعمتها. وسأذكر نبذاً من هذه النصوص لأنها تدل على سعة علم البغدادي ومناقشته لآراء جالينوس وديوسقوريدس وابن سمجون والإسرائيلي.. الخ. كما أنها تدل على روحه العلمية وقوة الملاحظة التي تلازم العالِم الأصيل.

أ) الاختصارات

١) اختصار كتاب آراء أبقراط وأفلاطن.
٢) اختصار كتاب منافع الأعضاء لجالينوس.
٣) مقالة في اختصار كلام جالينوس في سياسة الصحة.
٤) اختصار شرح جالينوس لكتاب الأمراض الحادة لأبقراط.
٥) انتزاعات من كتاب ديسقوريدس في صفات الحشائش.
٦) انتزاعات أخرى في منافعها.
٧) اختصار كتاب الجنين.
٨) اختصار كتاب الصوت.
٩) اختصار كتاب المني.
١٠) اختصار كتاب آلات التنفس.
١١) اختصار كتاب العضل.
١٢) اختصار كتاب النبات لأبي حنيفة الدينوري.
١٣) كتاب آخر في فنه مثله.
١٤) اختصار كتاب النبض للأسرائيلي.
١٥) اختصار كتاب البول للأسرائيلي.
١٦) اختصار كتاب الحميات للأسرائيلي.

١٧) اختصار كتاب الأدوية المفردة لابن وافد.
١٨) اختصار كتاب الأدوية المفردة لابن سمجون.
١٩) اختصار كتاب القولنج لابن الاشعث.

ب) الشروح

٢٠) شرح كتاب تقدمة المعرفة لأبقراط (مخطوطان).
٢١) شرح كتاب الفصول لأبقراط (أربع مخطوطات).
٢٢) شرح مسائل حنين... (مخطوطان).

ج) مقالات أو كتب في الطب

٢٣) مقالة في حد الطب.
٢٤) مقالة في البادئ بصناعة الطب.
٢٥) كتاب النصيحتين للأطباء والحكماء.
٢٦) مقالة في شفاء الضد بالضد.
٢٧) مقالة في المدة المراقية.
٢٨) كتاب في آلات التنفس وأفعالها (ست مقالات).
٢٩) مقالة في التنفس والصوت والكلام.
٣٠) مقالة في البحران صغيرة.
٣١) مقالة في الرسام.
٣٢) كتاب الفصول وهو بلغة الحكيم سبع مقالات فرغ منه في شهر رمضان سنة ٦٠٨.
٣٣) مقالة في المزاج.
٣٤) كتاب الكفاية في التشريح.
٣٥) مقالة في الحواس.
٣٦) مختصر في الحميات.

٣٧) مقالة في قسمة الحميات وما يتقوم به كل واحد منها وكيفية تولدها.
٣٨) كتاب النخبة وهو خلاصة الأمراض الحادة.
٣٩) حل شئ من شكوك الرازي على كتب جالينوس.
٤٠) الطب في الكتاب والسنة (مخطوط في كمبردج برقم ٩٠٤).

د) أدوية
٤١) كتاب كبير في الأدوية المفردة.
٤٢) كتاب الترياق.
٤٣) مقالة في ميزان الأدوية المركبة من جهة الكميات.
٤٤) مقالة في موازنة الأدوية والأدواء من جهة الكيفيات.
٤٥) مقالة في تعقب أوزان الأدوية.
٤٦) مقالة تتعلق بموازين الأدوية الطبية في المركّبات.
٤٧) مقالة في ديابيطس والأدوية النافعة منه.
٤٨) مقالة تشتمل على أحد عشر باباً في حقيقة الدواء والغذاء ومعرفة طبقاتها وكيفية تركيبها.
٤٩) «لعلي رشيد الدين علي بن خليفة رحمه الله وأرسله إليه وكان تأليفه لذلك بحلب قبل توجهه إلى بلاد الروم».
٥٠) مقالة يرد فيها على كتاب علي بن رشوان المصري في اختلاف جالينوس وأرسطوطاليس.
٥١) كتاب تعقب حواشي ابن جميع على القانون.

هـ) متنوعات
٥٢) مقالة في الشراب والكرم.
٥٣) مقالة في الحنطة.
٥٤) مقالة في القنقور.

٥٥) مقالة في الراوند. «حررها بحلب في جمادي الآخرة من سنة سبع وعشرين وستمائة، وكان قد وضعها بمصر سنة خمس وتسعين وخمسمائة».
٥٦) مقالة في العطش.
٥٧) مقالة في الماء.

والآن إتماماً لما سبق، سأذكر هنا بعض النصوص الموجودة في «كتاب الإفادة والاعتبار في الأمور المشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر»[٢] وهو كتاب ألّفه البغدادي بعد إقامته في مصر ووصف فيه خواص مصر العامة وما تختص به من النبات والحيوان والآثارالقديمة وما شاهده من غرائب الأبنية والأطعمة. وتكلم فيه عن النيل وكيفية زياداته. ويمتاز هذا الكتاب بدقة التفاصيل التي وردت فيه والنزعة العلمية التي يبديها البغدادي إزاء الحوادث والأخبار التي تُروى له. فإنه لا يتقبلها بسذاجة بل يمحصها ويقارنها بمعلوماته السابقة.

انظروا مثلاً ما يقوله عن وصف النبات التي تختص به مصر. فيقول وهو يصف البامية: «من ذلك: البامية، وهي ثمر بقدر إبهام اليد كأنه جرأ القثاء شديد الخضرة إلا أن عليه زبيراً مشوكاً وهو مخمس الشكل يحيط به خمسة أضلاع فإذا شق انشق عن خمسة أبيات بينها حواجز. وفي تلك الأبيات حَبٌ مُصطف مُستدير أبيض أصغر من اللوبيا هَشٌ يضرب إلى الحلاوة وفيه قبض ولعابية كثيرة. يَطبُخ أهل مصر به اللحم بأن يُقطَع مع قشوره صغاراً ويكون طعاماً لا بأس به. الغالب على طبعه الحرارة والرطوبة ولا يظهر في طبيخه قبض بل لزوجة».

وقد أبدى نفس الدقة في وصفه النباتات الأخرى ومناقشته لآراء أبي حنيفة الدينوري (٢٨٢ هـ) وابن سمجون (٣٩٢ هـ) أو جالينوس نفسه. وإليكم أسماء بعض النبات التي تكلم عنها: الملوخية، اللبخ، الجميز، البلسان - وهو يصف بإسهاب طريقة استخراجه - القلقاس، الموز، المحمضات مثل الأترج والليمون، القرط - وهو

(٢) انظر: كتاب «عبد اللطيف البغدادي في مصر»، طبعة سلامة موسى، الفصل الثاني من المقالة الأولى، ص ٢٠ - ٣٠، القاهرة، ب. ت.، مطبعة المجلة الجديدة.

نوع من البرسيم – النخل، الماش «وهو المج، لا يُزرع بمصر أصلاً وإنما يوجد عند العطارين مجلوباً من الشام»، الأفيون، الأقاقيا، البطيخ، الفول، الخيار شنبر، الورد، الياسمين، السفرجل، الرمّان ويقول عنه أنه «في غاية الجودة (في مصر) إلا أنه ليس بصادق الحلاوة».

وأريد أخيراً كنموذج لروحه العلمية وطريقة تحقيقه في المشاهد، أن أذكر نصاً آثار إعجاب المستشرقين. ها هو هذا النص(٤):

«ومن عجيب ما شاهدنا أن جماعة ممن يتنابني في الطب وصلوا إلى كتاب التشريح (٥) فكان يعسر افهامهم وفهمهم لقصور القول عن العيان. فأخذنا ان بالمقس تلاقيه رم كثيرة فخرجنا إليه فرأينا تلاً من رم له مسافة طويلة يكاد يكون ترابه أقل من الموتى به، نحدس ما يظهر منهم للعيان بعشرين ألفاً فصاعداً وهم على طبقات في قرب العهد وبعده.

فشاهدنا من شكل العظام ومفاصلها وكيفية اتصالها وتناسبها وأوضاعها ما أفادنا علماً لا نستفيده من الكتب، أما أنها سكتت عنها أولاً يفي لفظها بالدلالة عليه أو يكون ما شاهدناه مخالفاً بما قيل فيها والحس أقوى دليلاً من السمع. فإن جالينوس وإن كان في الدرجة العُليا من التحري والتحفظ فيما يباشره ويحكيه فإن الحس أصدق منه. ثم بعد ذلك يتخيل لقوله مخرجا إن أمكن.

فمن ذلك عظم الفك الأسفل فإن الكل قد أطبقوا على أنه عظمان بمفصل وثيق عن الحنك. وقولنا «الكل..» إنما نعني به ها هنا جالينوس وحده فإنه هو الذي باشر التشريح بنفسه وجعله دأبه ونصب عليه وصنف فيه عدة كتب معظمها موجود لدينا والباقي لم يخرج إلى لسان العرب.

---

(٤) المصدر السابق، الفصل الثالث من المقالة الثانية، ص ٧٣ – ٧٤. والترجمة الفرنسية لسلفستر دي ساسي موجودة في كتابه ص ٤١٨ – ٤٢٠، وقد أوردها الدكتور لو كلير في كتابه، الجزء الثاني، ص ١٨٤ – ١٨٦.

(٥) لجالينوس.

والذي شاهدناه من حال هذا العضو أنه عظم واحد وليس فيه مفصل ولا درز أصلاً واعتبرناه ماشاء الله من المرات في أشخاص كثيرة تزيد على ألفي جمجمة بأصناف من الاعتبارات فلم نجده إلا عظماً واحداً من كل وجه. ثم إننا استعنا بجماعة مفترقة اعتبروه بحضرتنا وفي غيبتنا فلم يزيدوا على ما شاهدوه منه وحكيناه. وكذلك في أشياء أخرى غير هذه. وليت مكنتنا المقادير بالمساعدة ووضعنا مقالة في ذلك تحكي في ماشاهدناه وما علمنا من كتب جالينوس.

ثم إني اعتبرت هذا العظم أيضاً بمدافن بوصير القديمة المقدم ذكرها فوجدته على ما حكيت ليس فيه مفصل ولا درز ومن شأن الدروز الخفية والمفاصل الوثيقة اذا تقادم عليها الزمان ان تظهر وتتفرق وهذا الفك الأسفل لا يوجد في جميع أحواله إلا قطعة واحدة.

وأمّا العجز مع العجب ذكر جالينوس أنه مؤلف من ستة أعظم ووجدته انا عظماً واحداً واعتبرته بكل وجه من الاعتبار فوجدته عظماً واحداً ثم إني اعتبرته في جثة أخرى فوجدته ستة أعظم كما قال جالينوس وكذلك وجدته في سائر الجثث على ما قال إلا في جثتين فقط فاني وجدته فيهما عظماً واحداً وهو في الجميع موثق المفاصل ولست واثقاً بذلك كما أنا واثق باتحاد عظم الفك الأسفل».

وأخيراً اسمحوا لي أن أختتم هذا البحث المتواضع بإبداء أمنية ألا وهي أن تتولى إحدى مؤسساتنا العلمية المختصة إعادة طبع كتاب سلفستر دي ساسي عن عبد اللطيف البغدادي مع تكميله في ضوء الأبحاث الحديثة. فان هذا الكتاب ليس مجرد ترجمة فرنسية لكتاب «الإفادة» بل هو كنز ثمين من التعليقات العلمية والتاريخية والأثرية واللغوية، تتناول كل ما ورد في الكتاب. كما أقترح أن يُكلف أحد علمائنا المختصين بنشر المؤلفات الطبية الثلاثة التي يوجد منها مخطوطاً في الخارج. فهذا خير ما نستطيع أن نخلد به أعلامنا العظام الذين أسهموا في تقدم العلم وشملوا بنفعه الإنسانية جمعاء.

كتاب الإفادة والاعتبار في الأمور المشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر.

Considérations utiles et instructives, tirées des choses que l'auteur a vues et des événements dont il a été témoin en Égypte.

المقالة الأولى وهي ستة فصول:

Livre premier divisé en six chapitres :

الفصل الأول: في خواص مصر العامة.

Chapitre I : Observations générales sur l'Égypte.

الفصل الثاني: فيما تختص به من النبات.

Chapitre II : Des plantes particulières à l'Égypte.

الفصل الثالث: فيما تختص به من الحيوان.

Chapitre III : Des animaux particuliers à l'Égypte.

الفصل الرابع: في اختصاص ما شوهد من آثارها القديمة.

Chapitre IV : Description des monuments antiques vus en Égypte par l'auteur.

الفصل الخامس: فيما شوهد بها من غرائب الأبنية والسفن.

Chapitre V : Particularités remarquables concernant les bâtiments et les barques, observées par l'auteur de cet ouvrage.

الفصل السادس: في غرائب أطعمتها.

Chapitre VI : Des mets particuliers à l'Égypte.

المقالة الثانية وهي ثلاثة فصول:

Livre deuxième divisé en trois chapitres :

الفصل الأول: في النيل وكيفية زياداته وإعطائه على ذلك وقوانينه.

Chapitre I : Du Nil, manière dont la crue de ce fleuve a lieu exposé, des causes de cette crue et de la marche ordinaire de ce phénomène.

الفصل الثاني: في حوادث سنة خمس وتسعين وخمسماية (٥٩٥).

Chapitre II : Événements de l'an 597.

الفصل الثالث: في حوادث سنة ثمان وتسعين وخمسماية (٥٩٨).

Chapitre III : Événements de l'an 598.

ثانياً : الملاحق

١- كلمات في رثاء الأب چورج قنواتي
٢- ترجمة رسالة سيادة الكاردينال فرنسيس أرينزي
٣- الحوار الأخير للأب قنواتي

كلمات في رثاء الأب چورج قنواتي

١- ريچيس مورلون
٢- زينب الخضيري
٣- كريستيان ڤان نيسبن
٤- محمود عزب
٥- وليم سليمان قلادة
٦- يوسف سكاتولين

في ذكرى الأربعين *

هذا هو اليوم الأربعين لرحيل الأب العزيز چورچ شحاتة قنواتي، وفي هذه الكنيسة نفسها التي أقيمت فيها مراسم الجنازة، تكلّم نيافة الأنبا يوحنا قلتة عن حياة الفقيد الغالي وشخصيته بصورة واضحة، أعجبت الكلمة الحاضرين لأنّها عبّرت عن شاهد أمين في رسالته ومحبّته وعلمه. وأخبرنا أيضاً الصديق الدكتور عاطف العراقي، ممثلاً كافة أساتذة الفلسفة، عما كان يمثّل الفقيد لأصدقائه ولأحبّائه ولوطنه كمعلم وصديق. لا أريد أن أكرّر ما قيل عنه ولكن ببساطة أريد أن أعبّر عن عواطف الأشخاص الذين عرفوه.

جميع الذين عرفوا الأب چورچ قنواتي يشهدون بصفاته كرجل صلاة وكرجل علم وكرجل العلاقات الإنسانية. وكان، بالإضافة إلى جدّيته، يخصّص وقتاً بسيطاً للمرح مع أحبّائه الكرام.

اولا : رجل صلاة

لاحظنا أنّه كان يقضي وقتاً مناسباً في صلاته الخاصّة ولم يترك أبداً الصلاة الجماعية في الدير أيّا كانت الظروف. وخاصّة في صلاته الصباحية أثناء القداس لم ينسَ أبداً أحبّاءه المذكورين في قائمته المكتوبة على الورق وعلى قلبه، لأنّ الصلاة من

* ألقيت هذه الكلمة في كنيسة «سانت چوزيف» بالقاهرة في ذكرى الأربعين لرحيل الأب قنواتي.

القلب، وتشمل القائمة ثلاثمائة وعشرين اسماً، فرداً فرداً، بدون تمييز بين الأصدقاء والأقارب، مسيحيين ومسلمين، أحياء وأموات، علماء وغير علماء، من كل البلاد. وكانوا دائماً أمام عينيه وفي قلبه لكي لا ينساهم في صلاته.

ولا نستطيع أن نقول أكثر من هذا لأنّ ذلك كان سرّ العلاقة الخفية بين الله وبين الأب قنواتي، والآن هو يرى كل شيء بوضوح أمام الله.

ثانيا : رجل العلم

رجل عالِم أنتج ستة وعشرين كتاباً، بعضها بالاشتراك مع علماء آخرين، وأكثر من ثلاثمائة مقالة في مجالات مختلفة، في اللاهوت والفلسفة والكيمياء وتاريخ العلوم والحوار بين الأديان والثقافات، وجميعها منطلقة من صميم الثقافة العربية التي كانت بالنسبة له حياته ووطنه. كان سفيراً لهذه الثقافة متجوّلاً في العالم كله لكي يبيّن لهم قيمة هذه الحضارة، كما بيّنه بعض أصدقائه الأعزاء. كان مجتهداً في عمله، قليل النوم، دائماً في عمل جديد بدون أي تعب ولا إرهاق. كان مهتمّاً بكل المواضيع بدون أي تفرقة، وملمّاً بكل عناصر الحضارة القديمة أو الحديثة، ومُجدّاً في نقده العلمي لكل المشاكل المطروحة على الساحة العالمية. كان معروفاً بأمانته العلمية في النقد والشرح من قِبل كافة العلماء.

فليس من قبيل الصدفة أنّه كان مدعواً من قِبل جامعات مختلفة في كافة أنحاء العالم الشرقي والغربي: أمضى أربع سنوات مُحاضراً في جامعة مونتريال في كندا، وعشر سنوات أستاذاً زائراً في جامعة لوس أنجلوس في أمريكا. كان مدعواً لإلقاء محاضرات ودروس في بلدان كثيرة من العالم، ولم ينسَ أبداً بلده العزيز الذي أخلص له من كل قلبه بالعمل والحب.

ثالثا : رجل العلاقات الإنسانية

وأخيراً كان قلباً حنوناً لكل الأشخاص وباباً مفتوحاً لاستقبال الزائرين من الإخوة والأصدقاء والأقارب وكافة البشر بدون تمييز، وهذا واضح من خلال شهادات الرسائل

والكلمات المعبّرة التي أرسلت إليه من كل بقاع العالم، من أمريكا حتى اليابان، والتي توضح لنا أهمّية هذه العلاقة الحميمة بينه وبين الآخرين، حقّاً إنّ هذه العلاقة ما هي إلا علاقة المحبّة التي تربط بين الناس.. فهي ليست علاقة عابرة.

قادته هذه العلاقات الشخصية والإنسانية إلى علاقات أقوى.. صلبة بين الثقافات والأديان، لأنّ العلاقة هي علاقة الحوار البَنّاء المرتكز على العلاقة الشخصية الواضحة، وغير المرتكز على المبادئ النظرية.

إذاً الأب چورچ قنواتي هو...

رجل صلاة، رجل علم، رجل العلاقات الإنسانية. ثلاث صفات لرجل واحد، متكاملة وغير منفصلة ككل واحد. وفي أي مناسبة ولقاء كان العالِم والراهب والصديق معاً، إنّه چورچ شحاتة قنواتي.

وهكذا نرى الأب قنواتي كنموذج: لرجل الصلاة لكافة المؤمنين، لرجل العلم لكافة العلماء، لرجل العلاقات الإنسانية لكافة البشر.

ونذكر لكم ما قاله العالِم أحمد أمين كشهادة عنه في مقدّمة كتاب «مؤلّفات ابن سينا»: «أقدّم للأستاذ الأب چورج قنواتي شكري على عمله المجيد الذي لا يصدر إلاّ عن رهبنة في العلم كرهبنة في الدين».

ونعضّد قول العالِم أحمد أمين ونستكمله: *إنّ عمله لا يصدر إلاّ عن رهبنة في المحبّة.*

هذا هو الأب الفقيد چورچ شحاتة قنواتي.

الأب ريچيس مورلون

مدير معهد الدراسات الشرقية للآباء الدومنيكان بالقاهرة

الأب قنواتي ودور همزة الوصل *

قُدِّرَ للأب قنواتي أن يلعب، في عصرنا الملئ بالصراع والذي تتنازعه المتناقضات، دور همزة الوصل الساعي للمصالحة حتى تثمر الجهود بدلاً من أن تتبعثر وتضيع هباء. واعتبر الراحل العزيز هذا الأمر رسالته في الحياة فأخلص لها كل الإخلاص وتفانى في أدائها ونجح في ذلك نجاحاً منقطع النظير فيما أعتقد. ورحل الأب قنواتي تاركاً سؤالاً محيراً يتردد من بعده..

هل يمكن أن يجود الزمان مرة أخرى بمثل هذا الرجل ليكمل المسيرة والرسالة في زمننا العصيب هذا ؟ !!

اعتبر الأب قنواتي أن رسالته هي تحقيق التصالح بين طرفي مجموعة من الثنائيات تبدوان متناقضتين فإذا عُنى بهما الأب قنواتي تصالحا وتعاونا. وعلى رأس هذه الثنائيات ثنائية الشرق والغرب، وثنائية الإسلام والمسيحية، وثنائية القديم والحديث. ولقد شعرت برسالة الأب قنواتي هذه منذ زمن بعيد، وإن حال صغر سني وقِلة إدراكي وقتذاك عن إدراك كنهها وعن تعقلها الأمر الذي تحقق فيما بعد مع تقدم العمر والانخراط في درس الفكر.

---

* انظر: مجلة «القاهرة»، القاهرة، العدد ١٣٩ - يونية ١٩٩٤، ملف جورج قنواتي: *الراهب الفيلسوف الإسلامي*، ص ١٥٥.

شعرت بهذه الرسالة بقوة وبعمق وأنا أراه يسير في جنازة أبي في قريتنا الصغيرة باكياً شأنه شأن أقرب الأقارب غير حافل بدهشة سائر المشيعين الذين كانوا بلا شك يشهدون لأول مرة راهباً يشيع أحد ذويهم. فقريتنا ليس بها كنائس، ومنذ العدوان الثلاثي على مصر لم يعد بها مسيحيون، والخضيري أبوه رجل تقرب لله بأن بنى جامعاً كبيراً عني به والدي طوال حياته إصلاحاً وترميماً وتجديداً، فما علاقته بهذا الراهب ؟

أما أنا فقد شعرت أن هذا الراهب المختلف عني في أمور كثيرة يمكنه أن يلعب دور الأب بالنسبة لي. فصحيح أنه مسيحي وأنا مسلمة، ولكنه يستطيع ذلك. وصحيح أنه يبدو نصف أوروبي، بينما أنا نشأت على الالتزام الشديد بمصريتي، بالرغم من أن أبي استكمل تعليمه في باريس وأنني أدرس في مدرسة فرنسية.. ولكن الأب قنواتي يستطيع ذلك. وصحيح أنني كنت لا أراه في بيتنا مع أبي إلا وهو منكب معه على دراسة المخطوطات القديمة وأنا بطبعي أعشق الجديد ولكنه يستطيع ذلك. وترسب في نفسي وقتذاك أن الأب قنواتي يستطيع ذلك لإنسانيته الطاغية الحانية الحاضنة. أمّا (كُنه) هذه الإنسانية المبهرة فهو ما عجزت في حينه عن إدراكه وإن استطعت ذلك فيما بعد مع اتساع تجربتي ومداركي ومع انخراطي في دراسة الفلسفة.

لقد حقق الأب قنواتي هذه الإنسانية المبهرة في ذاته، تلك الإنسانية التي تذيب الفوارق والاختلافات والفواصل بفضل الفلسفة التي تمكّن الذي يعشقها ويعمل بها من التعايش مع الآخر بالرغم من الاختلاف معه ومن الحوار مع المختلف ومن محبة المغاير.

أما تغلبه على تعارض قطبي ثنائية الشرق والغرب وتحقيق المصالحة بينهما في وحدة حقيقية فمرجعه - فيما أعتقد - لجمعه بين أصله الشرقي وميلاده على أرض مصر التي عشقها وتشبع بقيمها الودودة وبمفاهيمها العريقة الأصيلة؛ والتي حددت اتجاهاته الجذرية من جهة، وبين تكوين عقلي غربي في مدارس الفرير الفرنسية في الصغر ثم في جامعات فرنسا وكندا من جهة أخرى، وهو ذلك التكوين الذي مكنه من أدوات منهجية علمية عصرية على النمط الغربي. قيم الشرق ومفاهيمه ومناهج الغرب الحديث أمور اجتمعت في الأب قنواتي وبدلاً من أن تتصارع فيه وتجعله يعاني ثنائية

أو على الأقل ازدواجية تضافرت - ولابد أنه بذل جهداً هائلاً لتحقيق ذلك.. تضافرت لتجعل منه «إنساناً»: لا شرقياً ولا غربياً إنما هو في المقام الأول إنسان. فيه تعانقت الثقافتان الشرقية والغربية بشكل بديع مما وسع من أفق الرجل ومن مداركه إلى أقصى حد ومما جعله قادراً على الإحاطة بكل جوانب أية قضية يعرض لها. والأب قنواتي في هذا نموذج شائع تكرر كثيراً على أرض مصر لأن مصر بطبيعتها وبتاريخها تتيح ذلك منذ أن بنت أول حضارة «إنسانية» عرفها العالم. ولقد يسّر له هذا الجمع بين الثقافتين المشاركة في صنع الاثنتين. ولعل أكبر دليل على هذا مشاركته في تحقيق أجزاء الشفاء في موسوعة ابن سينا الشهيرة التي ظهرت في القاهرة تحت إشراف عميد الأدب العربي الدكتور طه حسين في بداية الأمر ثم تحت إشراف أستاذنا الشيخ الرئيس إبراهيم مدكور؛ ثم قيامه بترجمة إلهيات هذه الموسوعة إلى الفرنسية في جزءين (١٩٧٨ - ١٩٨٥) بعد أن شارك في تحقيقها من أصلها العربي. أما تلك الترجمة ففي اعتقادي أنها ستُخلّد ذكرى صاحبها بما بذله فيها من جهد رصين متصل مبدع لا يستطيعه إلا راهب علم. ولعل العبارة التي يفتتح بها مقدمته لهذه الترجمة تعبر عن وعيه وإيمانه بوحدة الإنسانية الروحية عبر التاريخ بالرغم من أن البشر يحلو لهم تقسيمها إلى شرق وغرب ثم أصبحوا في السنوات الأخيرة يتجهون إلى شطرها شطرين شمال وجنوب. يقول «إن أهمية مساهمة الفلسفة العربية في أرض الإسلام في تكوين الفكر الفلسفي واللاهوتي للغرب الوسيط قد اعترف به مؤرخو الفكر الوسيط المسيحي منذ زمن بعيد».

فالحضارات الإنسانية كلها عند الأب قنواتي تكون وحدة تستكمل بعضها بعضاً عبر التاريخ. وفيما يتعلق بالجانب الفلسفي معها كان يعتقد أن الفلسفة بدأت عند اليونان ثم استكملها العرب وأضافوا إليها من إبداعاتهم ثم تلقفها الغرب المسيحي وقطع بها شوطاً انتهى إلى الفلسفة المعاصرة. إلا أن عقل الأب قنواتي وقلبه تعلقا بحقبة واحدة من مسيرة الحضارة الإنسانية الشاملة هي حقبة الحضارة الإسلامية اذ «بهره ثراؤها» وقدر دائماً عظمتها «وأهميتها بالنسبة للحضارة الإنسانية الكلية» على حد تعبيره في كتابه عن «المسيحية والحضارة العربية». ويخطئ من يظن أن علاقة الأب

قنواتي بالشرق كانت مثل علاقة المستشرقين به، لأن هؤلاء درسوا هذا الشرق وحضارته باعتبارهم أبناء حضارة أخرى أما هو فقد درسه باعتباره ابناً من أبنائه.

وكما حل الأب قنواتي ثنائية الشرق والغرب حل ثنائية المسيحية والإسلام. وهذا الحل عبر عنه في عبارته التي سبق لي الإشارة إليها والتي جاءت في مقدمة لكتابه عن المسيحية والحضارة العربية. فهو ينعت الفلسفة التي أنتجها المسلمون ومعهم إخوانهم المغايرون لهم في العقيدة بأنها فلسفة عربية حتى يحفظ لغير المسلمين حقهم الذي لا يمكن إنكاره في صنع هذه الفلسفة ولكنه يحرص على ذكر أن هذه الفلسفة العربية ظهرت على «أرض الإسلام»، أي أن الإسلام كان هو الإطار الذي أتاح الفرصة للفلسفة لتظهر ولتزدهر ولولاه لما تحقق ذلك. ومن الجدير بالذكر أن الأب قنواتي كان يكثر من نعت الفلسفة التي ظهرت على أرض الإسلام لا بالعربية فحسب بل بالإسلامية أيضاً. وإذا كانت المقولة التالية والتي كان يعلن عنها في كثير من المناسبات «لا دين بلا حضارة ولا حضارة بلا دين» من المفاهيم الجوهرية في فكر الأب قنواتي فإنني أعتقد أن أستاذنا آمن بمقولة أخرى باعتبارها الاستثناء الوحيد لهذه القاعدة وإن لم يعلن عنها أبداً فقد كرس لها جزءاً كبيراً من حياته لرصدها، ألا وهي أن الإسلام لم يقصر بناء حضارته على أبنائه فحسب بل احتضن جهود كل من عاش على أرضه وفي رحابه، أياً كانت ملتهم وأصولهم العرقية.

وفي هذه القاعدة التي آمن بها الأب قنواتي بالقطع والتي لمستها من تعاملي معه منذ أن بدأت أدرس الفكر تتجلى كل قدرته العبقرية الإنسانية الفذة على الجمع بين الإيمان العميق بعقيدته المسيحية التي كرس حياته لخدمتها بفهم نادر وإخلاص لا نظير له يحسب له، وبين إعجابه الشديد بالإسلام الذي كرس جهوده العلمية لدراسة حضارته في مظهرها الفلسفي والعلمي. وعندي أن الأب قنواتي ينتمي بذلك لتقليد مسيحي مستنير بدأ في القرن الثالث عشر مع فلاسفة المسيحية العظام من قبيل توماس الأكويني الدومينيكاني وروجر بيكون الفرنسيسكاني، وهو ذلك التقليد الذي جعل أصحابه يجمعون بين إيمانهم بلاهوتهم ورغبتهم الواعية للانفتاح على الفلسفة الإسلامية.

أما ثنائية القديم والحديث فقد فض الاشتباك بين طرفيها في ذاته بأن جعل من نفسه - كما يقول في مقدمته للترجمة الفرنسية لإلهيات الشفاء - «جسراً بين الأصل العربي (للنص الفلسفي) غير المتوفر لعلماء العصور الوسطى الغربيين الحاليين، وبين الترجمة اللاتينية التي تمت في العصور الوسطى»، الأمر الذي إذا تحقق ساهم في تمكين الباحثين من دراسة أثر فلسفتنا الإسلامية في الفلسفة الحديثة.

كان الأب قنواتي من القوة بحيث لم يشعر أنه في مصر ينتمي للأقلية بل هو وإخوانه المسلمون يربط بينهم حبهم لمصر، وكان من سعة الأفق أنه أدرك أن الإسلام لم يقف حائلاً دون مساهمة المسيحيين في بناء حضارته فخدم دراسة تلك الحضارة، بكل علمه، وكان من صفاء البصيرة أن تبين أن التاريخ متصل يجمع بين البشر جميعهم ولذا لابد من الاهتمام بالقديم والحديث على السواء لأن الله الواحد الحي القيوم خالق السموات والأرض والمحب للبشر الغفور الرحيم يريد ذلك.. وصفات الله هذه هي الصفات التي أعتقد أن ثمة اتفاقاً بين المسيحيين والمسلمين بصددها.

ليرحم الله الأب قنواتي رحمة واسعة وليكن جزاؤه عما فعل في دنياه كبيراً عند الله بإذنه ومشيئته.

د. زينب الخضيري

أستاذ الفلسفة بكلية الآداب جامعة القاهرة

قدسية الإنسان
عند الأب چورچ شحاتة قنواتي الدومينيكاني *

عندما توفي الأب چورچ قنواتي في يوم عيد زميله في الرهبنة ومعلمه في الفكر، القديس توما الأكويني (١٢٢٥ - ١٢٧٤)، يوم ٢٨ يناير سنة ١٩٩٤، ختم حياة مكرسة للدفاع عن الإنسان، عن كل إنسان وعن الإنسان كّله في جميع أبعاده وهذا باسم تكريسه الرهباني، تكريس كل كيانه وقدراته لله سبحانه وتعالى فكان الأب قنواتي في اهتماماته المتعددة يبحث دائماً عن قضية الإنسان ويبرز كرامة كل إنسان - أياً كان - لأنه إنسان، كما كان يعتبر أنّ للإنسان قدسيّته في كل أبعاده، الروحيّة والدينية، الحضارية والثقافية، الاجتماعّية والماديّة، وهذا لأنّه خليقة الله في كل أبعاده هذه، ومخلوق «على صورة الله ومثاله» كما يقول الكتاب المقدس.

وباسم قضيّة الإنسان، كان الأب چورچ قنواتي يتعمّق - في الآن ذاته - في الفكر المسيحي والفكر الإسلامي؛ كما كان يبحث في تاريخ الحضارة العربية والحضارة الأوروبية وفي العلاقة بينهما؛ وكان يشترك في الحياة العامة بمشاركته في المجالس العلميّة والثقافية - المصرية منها والدولية كما نراه يلعب دوراً بارزاً في اللقاءات بين الديانات - وخاصة بين المسيحية والإسلام - وكذلك في لجنة «العدالة والسلام» المصرية. وكل ذلك دون أن تبعده هذه الاهتمامات الفكريّة عن الانتباه إلى الإنسان

---

* انظر: مجلة «القاهرة»، مصدر سابق، ص ١٤٤.

الواقعي الذي أمامه - كبيراً كان أم صغيراً -، فكان يصغي إليه بكل احترام و«كان بابه دائماً مفتوحاً»، كما قال أحد معاصريه في الدير (بمناسبة الاحتفال بذكراه في دار الأوبرا المصرية يوم ١٧ مارس سنة ١٩٩٤).

بالنسبة إلى الأب جورج قنواتي، كان هناك ربط وثيق بين كفاحه في سبيل قضية الإنسان وبين تكريسه الرهباني. فهو الخريج في كليات العلوم والصيدلة بكل ما كان عنده من إمكانيات النجاح الاجتماعي، قد قرّر أن يكرّس حياته وقدراته لربّه. فكان حبه الكلّي لربّه يدفعه إلى مشاهدة صورة الله في الإنسان، الذي هو قمة خليقة الله والذي من أجله خلق الله كل شئ. ولذلك اقتنع اقتناعاً عميقاً بكلمة القديس إيريناوس (المتوفي حوالي سنة ٢٠٠م) القائلة: إن «مجد الله هو الإنسان الحيّ». فكل ما يخدم حياة الإنسان ويجعله ينمو نمواً حقيقياً، يفيد تمجيد الله سبحانه وتعالى. وعلى هذا الأساس كان الأب جورج يؤمن بما يمكن تسميته «الإنسيّة المؤمنة» (أي النزعة الإنسانية المتأسسة في الإيمان). بقدر ما تمثل «الإنسية humanism» التيار الثقافي الذي يعتبر الإنسان محور الاهتمام، كان الأب قنواتي يرى أن «الإنسية» هذه لا تتطلب إطلاقاً إقصاء الله إلى هامش الاهتمام، أو تحويل الإنسان إلى نوع من الصنم؛ بل على العكس تعتبر هذه «الإنسيَّة» أن الإيمان بالله هو بُعدها الأساسي، فبدونه تصبح النظرة إلى الإنسان ناقصة ومبتورة؛ كما أنها تعتبر أن البحث عن الله وخدمته تعالى لا يتحققان إلا من خلال الالتزام غير المشروط بالإنسان. فليست هناك أية منافسة بين الله وخليقته، بين بذل الذات الكلي لله وخدمة الإنسان. وانطلاقاً من هذه الرؤية، تجد كل أبعاد الإنسان قدسيّتها وبعدها الإلهي، الفردية منها والجماعية، وهذا في صميم كونها أبعاداً إنسانية.

وما يميّز هذا الإنسان - وقد أراد الأب قنواتي خدمة نموّه وحياته - هو أنّه كائن حضاري. إذ كان من خصائص الإنسان أنه يواجه حياته ويوجّهها بعقله وحريته، فَتَجَسّدَ مجهوده العاقل والحر هذا في الحضارة، فيعبر عن كل ما في داخله وعن علاقاته بإخوته البشر بل عن علاقته بخالقه، بالنظم والقوانين، وبالفنون والعلوم وبالفلسفات والمذاهب، وبالعبادات والطقوس، أي بكل ما يكوّن الحضارات البشرية.

إن كان الإنسان - خلاف الحيوان، بفضل عقله وحريته، يتميز بالتغيير خلال الأزمنة وبالاختلاف بين الشخص والشخص وكذلك بين الجماعة والجماعة، فكان من طبيعة الحضارة أن تكون متغيرة ومتنوعة ومتعددة مختلفة حسب المكان والزمان. وكما كان الإنسان الفردي لا يصل إلى ملء حقيقته إلا من خلال علاقاته بالإنسان الآخر المختلف عنه، فكذلك الحضارة البشرية لا تنمو ولا تزدهر إلا من خلال التفاعل بين الحضارات، من خلال حوارها وتبادلها، وتأثيرها وتأثرها المتبادلين. ولذلك كان من صميم اهتمام الأب چورج قنواتي الحوار بين الحضارات، فكان يعتبر هذا الحوار عنصراً أساسياً من «الإنسية» التي يقصد خدمتها. فكان يدرس كل جوانب الحوار الثقافي الذي تم في الماضي بين الحضارة (أو الحضارات) الأوروبية والحضارة العربية (بكل مقوماتها)، من بدء ازدهار الحضارة العربية إلى العصر الحديث. وكان يخدم من خلال هذه الدراسة الحوار الحضاري ذاته في عصرنا هذا، لأنه كان مقتنعاً أن كلَّ إبداع حضاري جديد يجب أن يعتمد على جذور في الماضي. يعلمنا تاريخ الحضارة العربية - مثل تاريخ معظم الحضارات الكبرى - أنها وصلت إلى عظمتها وخاصيتها بفضل انفتاحها وبقدرتها على استيعاب الحضارات الأخرى، مثل اليونانية والبيزنطية، والفارسية والهندية. فنكتشف بذلك أن الحوار الحضاري البنّاء لا يلغي الشخصية الحضارية الخاصة بل ينميها ويقويها.

وإذ كان الأب قنواتي يقتنع أن الحضارة العالمية في جوهرها متعددة ومتنوعة، فكان يرى أن التعددية هذه ليست ضرورية فقط بين الحضارات المختلفة بل أيضاً داخل كل حضارة. فتزيد كل حضارة عمقاً وغنى كلما تزيد استيعاباً لكل العناصر المختلفة التي ساهمت في تكوينها. فيكمن غنى الحضارة العربية في أنها استوعبت ما ورد من منابع ثقافية كثيرة واستمرت في التفاعل الحي الخلاق مع كل ما يحيطها من حضارات.

لذلك حارب الأب چورج قنواتي كل انغلاق ثقافي واعتبره خيانة للإنسان كما يريده الله. وفي هذا أيضاً كان الأب چورج تلميذاً وفياً لمعلمه القديس توما الأكويني

الذي استوعب الكتاب المقدس وتقليد الكنيسة وتراث آباء الكنيسة، الغربيين منهم - خاصة القديس أوغسطينوس - والشرقيين، كما استوعب الفلسفة اليونانية - خاصة أرسطو، ولكن دون إهمال أفلاطون وأفلوطين - والفلسفة العربية - الفارابي وابن سينا وابن رشد الذي اعتبره أفضل مفسر لأرسطو. وظهرت عبقرية القديس توما في أنه لم يقع في فخ نوع من التلفيقية بين عناصر غير متجانسة، بل من خلال انفتاحه الكبير على كل القيم الإنسانية مهما تكن الجهة التي ترد منها إليه، جمع توما كل هذه العناصر في وحدة شخصية وديناميكية عميقة. ولقد أصّلَ الأب قنواتي - التوماوي العربي المصري - هذا المجهود الخلاق في داخل إطار واقعنا الثقافي المصري اليوم.

وإن كان دفاع الأب چورچ قنواتي عن الإنسان يتطلب منه الدفاع عن الحضارة وعن الحوار الحضاري - وهذا خاصة في إطار «الإنسية المؤمنة» فكان هذا يتطلب أيضاً بالنسبة إليه الحوار بين الديانات. فما كان الاختلاف الديني يُمَثّل للأب چورچ خطراً على الإنسان وعلى الحضارة الإنسانية، مادام الناس يعيشون هذا الاختلاف في الاحترام المتبادل الصادق والصريح، بل وفي التكامل والإخاء، فكان الأب قنواتي مقتنعاً أن المسيحيين والمسلمين في بلادنا المصرية يقدرون أن يبنوا حقاً حضارة إنسانية واحدة و «إنسية مؤمنة» مشتركة، انطلاقاً من كل ما هو مشترك في موقفنا الإيماني الواحد والمختلف في آن واحد. فلا نستغرب إذ نجده ضمن مؤسسي جماعة «الإخاء الديني» التي تريد أن تشيّد العلاقة بين المسيحيين والمسلمين على كونهم جميعاً متدينين مؤمنين بالله، دون المساومة فيَ شأن الاختلاف الحقيقي بين الديانتين.

فلا عجب أن يكون الأب چورچ قنواتي عضواً من أعضاء لجنة المجمع الفاتيكاني الثاني (١٩٦٢ - ١٩٦٥) التي صنعت النصوص التي تعبر عن نظرة الكنيسة إلى المسلمين، وقد وافق عليها آباء المجمع (أي جميع أساقفة الكنيسة الكاثوليكية وعددهم كان يزيد عن ٣٠٠٠ أسقف). وفي هذه النصوص يتكلم المجمع عن المسلمين «الذين يعبدون معنا الإله الأوحد، الرحيم، الذي سيدين البشر في اليوم الأخير»، فإن كنا نحن المسيحيين والمسلمين نختلف اختلافاً حقيقياً في عقيدتنا الخاصة

بالله، فلا يمنع هذا أن يكون من نعبده جميعاً هو الإله الأحد خالق كل الأشياء وخالق الإنسـان، والذي يعلو كل الاشـياء والذي يعلو نطق كل إنسـان وفهمه، ففي موقفنا المشترك هذا، وفي موقفنا «معاً أمام الله»، نجد الأساس الراسخ لنظرتنا المشتركة إلى الإنسـان، ولاحترامنا المشترك لقدسية الإنسـان فلأننا «معاً أمام الله»، نكون «معاً في الدفاع عن الإنسـان» أيضاً عن شخص الإنسان وقيم الإنسان.

هكذا يظهر لنا الأب چورچ شحاتة قنواتي مناضلاً في سبيل قضية الإنسان، كل إنسان وكل الإنسان – وشاهداً في العالم كله لأهمية الحوار بين الحضارات، كما أن كان منادياً بإمكانية الإخاء الحقّ بين المتدينين المؤمنين في سبيل المسئولية الواحدة تجاه المجتمع الإنساني. وكان مقتنعاً بمبدأ «الإنسية المؤمنة» هذه اعتماداً على جذوره العميقة في أرض مصر وعلى رغبته الشديدة في أن تتجسد هذه «الإنسية المؤمنة» أولاً في وطنه المصري بجهود الجميع معاً، مسيحيين ومسلمين، على أساس كونهم جميعاً مؤمنين مصريين، يستمدون من إيمانهم حبهم لهذا الوطن وحبهم لكل إنسان في آن واحد. فلم نجد قط عند الأب قنواتي أدنى تناقض بين حبه الكبير لمصر، أرض الكنانة، وبين حبّه للإنسان في بُعده الجامع الشامل لكل البشر. حقاً كان ومازال «مُعلم الإنسية المؤمنة المصرية» والشاهد بلسانه وحياته للمساهمة المصرية في تشييد حضارة الإنسان المبنية على قدسية الإنسان، خليفة الله، المخلوق على صورة الله ومثاله. حقاً كان الأب قنواتي عابداً لله، وكذلك عاشقاً للإنسان.

الأب كريستيان ڤان نيسبن

من الآباء اليسوعيين

چورچ قنواتي بين منابع الحضارة الإسلامية ومصباتها *

من الصعوبة بمكان أن تتحدث عن شخصية ثرية عالمية، من موقع قريب مثل أن تكون صديقاً أو قريباً من هذه الشخصية فأنت تخشى أن تكتب تحت تأثير عين الإعجاب والرضا..

وعين الرضا عن كل عيب كليلة،
ولكن عين السخط تبدي المساويا.

وهنا أتذكر ظَرفاً من هذا النوع حدث إذ كان طه حسين يقدم أحمد أمين في أحد كتبه، ولعله كتاب فجر الإسلام إن لم تخني الذاكرة، وتكلم طه حسين عن عقبة أن تقدم صديقاً أو عمل صديق، فتخشى إن أنت مدحته أن تتهم بالمحاباة ! وهل الصحيح إذن أن تخلق له عيوباً غير موجودة، أو على الأقل عيوباً لا تراها أنت، حتى تكون موضوعياً أو محايداً، وأنت تسكت على حقائق جيدة تعلمها فتغمض العلم والتاريخ والفن.

أكاد أقول إنني واجهت هذه المشكلة – مع الفارق الكبير فلست طه حسيناً – وأنا أحاول أن أتحدث عن العالم الفيلسوف چورچ شحاتة قنواتي.

---

* انظر: مجلة «القاهرة»، مصدر سابق، ص ١٤٧.

أما عن كونه عالماً وفيلسوفاً وراهباً كبيراً فهذا مما لا يتطرق إليه أدنى شك.. فطلابه وأتباعه وأصدقاؤه وكتبه، ومقالاته ومحاضراته في المؤتمرات العلمية في العالم كله، وجهوده في مجال الفلسفة وتاريخها والتصوف الإسلامي، كل ذلك واضح وضوح الشمس. ويكفي أنه كان رسولاً أميناً لنقل الفلسفة الإسلامية في أحسن إطار وعلى أروع صورة إلى منتديات العالم الثقافية وجامعاته، ودور بحثه..

وأما عن موقع كاتب هذه السطور منه، فإن الألفاظ قد تضيق عن تعريفه وتحديده.. هل هو موقع التلميذ من الأستاذ ؟ أم هل هو موقع عناق الأجيال ؟

لقد كانت السنوات السبع من أواخر ١٩٨٧ م وإلى الربع الأول من هذا العام ١٩٩٤ قليلة في اتساع مداها الزمني غنية مترامية الأطراف فيما حملت من مشاعر وحوار ورغبة في القرب ومحاولات للفهم وعشق للمعرفة..

كان المتحدث يسعى في حرص شديد على المعرفة والقبس من جبل النار بشغف من يتوق إلى السباحة في بحار النور، وكان المتحدث عنه يسعد بهذا القرب ويعلن عن سعادته تلك التي أفضت إلى حب أظل علاقة الحوار، وعمَّق مجراه وأمده بكثير من الروافد وأثراه.

كان چورچ قنواتي دؤوباً شجاعاً مرحاً خفيف الظل هاشاً سلس اللسان عذب اللغة ينتقل بمحدثه من عربية سهلة معبرة جذلة إلى فرنسية رقيقة ذات إيقاع جميل، إذا كان محدثه على معرفة بها أو يشاركه هذه الازدواجية اللسانية.

أما علمه فكان ينساب في دعة وهدوء وثقة انسياب النيل الدؤوب الواثق الصبور، وكان يعي أبعاد تكوينه الثقافي وعياً نبيلاً يعبر عن نفسه في شكل الأشكال حين الحوار وحين الكتابة، ويقابلك في كل طريق إلا طريقاً واحدة كان وجهه يحمرّ خجلاً حين يجدك تدخله خلالها فيتلعثم ويتعثر ويحاول الهروب ألا وهي طريق المديح والثناء عليه، فقد كان بينه وبين الكبرياء والرياء والغطرسة بونٌ بعيد..

ولم يكن الحوار معه حوار علم وفلسفة وتاريخ وثقافة فحسب بل كان حواراً أشمل وأعم الاتجاهات واسع الآفاق.

فاللقاءات المتكررة في مكتبة الدير مرات خلال الأسبوع تطول كل منها إلى ساعات.. كانت تجعلني أشفق عليه من تعب قد ينتابه ويحاول إخفاءه، فأعطيه من حين لآخر فرصة إنهاء الحوار ليستريح أو لينام.... وكثيراً ما كان يصر على الاستمرار هادئاً مستريحاً عاشقاً لهذا الحوار.

وكثيراً ما كان الحوار يقفز من جانب علمي إلى جانب إنساني إلى فكاهة خفيفة مرحة لا تتعارض مع ما يتمتع به من روح العالم والراهب ولا تخدش من هيبته.. عندما كان يتحدث عن علاقاته الإنسانية – وهي واسعة مترامية الأطراف لا يحدها جنس ولا لون ولا دين ولا مستوى معرفي – كنت تجد انسياباً ودعابة وحباً.

فعن أي جانب وفي أي طرف تريدني أن أحدثك.. ؟ إن الحديث عن هؤلاء الكبار لن ينتهي أبداً. فهم ملح الأرض، وهم ميزان الحق والخير والجمال، وهم مشاعل النور في دروب الحياة، فهم متجددون على الدوام، تفنى الأجيال والحديث عنهم ثر، حلو، عذب لايمل ولا يشبع منه، ما دامت الحياة عاشقة للعظمة، باحثة عن القمم متعلقة بأهداب الحضارة، تواقة إلى الفكر، نزاعة إلى الحقيقة.

قنواتي والحضارة العربية الإسلامية

ولابد أن نوضح بدءاً ماذا تعني هنا الحضارة العربية الإسلامية، أو بالأحرى بالفلسفة العربية الإسلامية. فنحن نقصد هذا المعنى الاصطلاحي الذي يشمل جميع الشعوب والأمم الذين سكنوا الممالك والبلاد الإسلامية والذين استخدموا العربية لساناً في أكثر أو في كل تآليفهم العلمية، فالمجال إذن مجال ما أنتج في هذا الإطار العام بكل أبعاده وفي كل أشكاله وألوانه.

ومرة أخرى أجدني مولياً وجهي شطر تاريخ الأمس القريب لأستفتي تلك الحضارة العربية الإسلامية أين تضع تتاجها من العلماء ممن نبتوا في ظلها وشربوا من رحيقها ثم أمدوها بعد ذلك بروافد ثرة معطاءة، من أخذوا منها ثم اعترفوا لها فأعطوها بلسانها وبمناهجها وفي إطارها، وعلى وجه الخصوص من أولئك الذين لا يدينون بالإسلام ديناً، ولكنهم ينتمون إليه ثقافة وحضارة ومناهج وطبيعة وشكلاً وإطاراً.

يقول جيوم تيوفيل تنمان المتوفي سنة ١٨١٩م في كتابه "المختصر في تاريخ الفلسفة": «أهم من حمل مذاهب العرب الفلسفية إلى المسيحيين هم اليهود الذين نقلوها من بلاد الأندلس، حيث كانت الهمم منصرفة بقوة إلى مدارسة العلوم. على أن اليهود أنفسهم ساهموا بقسط ظاهر في عالم الفكر والعلم، ونشأ فيهم غير واحد من ذوي العقول الفلسفية. منهم الحبر موسى بن ميمون، الذي تخرج بدروس ابن طفيل وابن رشد، ودرس بنفسه كتب أرسطو، ومن أجل ذلك كان ظنيناً لدى المتعصبين من أبناء ملته وقد تعقبوه بحقدهم حتى أدركه الموت في سنة ١٢٠٥م».

ويواصل تنمان «وعلى الجملة فقد كان اليهود في القرنين الثاني عشر والثالث عشر سفراء بين عرب الأندلس وبين الغربيين، بما ترجموا من كتب كثيرة عربية إلى لغتهم العبرية التي كان الغربيون أعرف بها، ونقلت هذه الكتب نفسها إلى اللاتينية في تراجم أكثرها مشوه جداً».

وفي إطار محاولتنا لتوضيح موقع هؤلاء العلماء غير المسلمين ديناً وانتمائهم الحضاري الثقافي الفكري، وكيف تدفقوا منبعاً ومصباً.. - مما يوضح من جانب آخر عظمة هذه الحضارة العربية الإسلامية التي تعترف وتعرف منابعها ومصابها وتحتضنها وتخصبها - نجد العالم الشيخ مصطفى عبد الرازق وهو راية بارزة على صرح الفلسفة الإسلامية يقول: «بل إنني ممن يجعلون ابن ميمون وإخوانه من فلاسفة الإسلام، وقد قلت كلمة ألقيتها في حفلة ابن ميمون بدار الأوپرا في أول ابريل سنة ١٩٣٥ مانصه: "أبو عمران موسى بن ميمون فيلسوف من فلاسفة الإسلام، فإن المشتغلين في ظل الإسلام بذلك اللون الخاص من ألوان البحث النظري مسلمين وغير مسلمين يسمون منذ أزمان فلاسفة الإسلام، وتسمى فلسفتهم فلسفة إسلامية بمعنى أنها نبتت في بلاد الإسلام. وفي ظل دولته، وتميزت ببعض الخصائص من غير نظر إلى دين أصحابها ولا جنسهم ولا لغتهم"» وهذا الكلام ينطبق تمام الانطباق على النصارى واليهود معاً، فها هو الشهرستاني في كتابه «الملل والنحل» يقول: «والمتأخرون من فلاسفة الإسلام مثل يعقوب بن إسحاق الكندي، وحنين بن إسحاق.. الخ.» نحن هنا

بصدد الحديث عن چورچ قنواتي الفيلسوف المسلم إذن بتعبير الشيخ مصطفى عبد الرزاق في الأمس القريب، وبتعبير الشهرستاني قبله في الأمس البعيد.. لنؤكد على هوية هؤلاء العظماء من جانب، ولنؤكد على سمو هذا الوعي في الحضارة العربية الإسلامية كحضارة عالمية إنسانية، على وعي كبير بروافدها ومنابعها ومصباتها.. ممن أخذت ومن أعطت.. على وعي كبير بذاتها وبغيرها.. فهي حضارة إنسانية عالمية من حيث لا تعرف الحدود، ولاتقيم السدود بين كل ما يمكن أن يصب في صالح الإنسانية عامة من أنهار علم ومعرفة. وانطلاقاً من المفهوم نفسه أيضاً وعى العالِم الجليل چورچ قنواتي انتماءه لمصر وطناً، وللشرق أفقاً، وللعربية لساناً ناصعاً خلال كتبه وأحاديثه ولإسلامه حضارة ومنهج تفكير.. وانطلق من كل ذلك إلى رؤية عالمية واسعة الآفاق لا تتنافى مع انتمائه للوطن والفكر واللسان، بل تثريه وترتفع به، فكان ممن قدموا للإنسانية صورة مشرقة عن الإسلام وفلسفته وتصوفه ورجاله وحواره مع غيره عبر التاريخ، وكان أحد أعظم المداخل إلى الشرق، وأبعاده وأعماق روحه الفكرية وعندما نقترب من رؤية چورچ قنواتي نجدها تقوم على ثلاثة محاور ذات أهمية بالغة، تميزت بها خلال النصف الأخير من هذا القرن المنصرم وهي:

المحور الأول: الجمع المتناغم بين العلم والدين والفلسفة، ويتكلم قنواتي عن هذا التناغم - وهو ضروري في نظرنا، وفي نظر القارئ بلا شك في هذه المرحلة من مراحل حياتنا الثقافية والعقلية بل والروحية أكثر منه في أي وقت مضى - فيشير إلى إلحاد العلماء قائلاً: «لكن كبار العلماء مؤمنون». وتأتي أهمية الدراسات الدينية عنده لتحديد إمكانيات العلم «لكن الدين وحده لا يكفي إذ يجب أن تكون عالماً لتفهم، وترى إلى أين يقودك العلم... إلا أنني بدأت بالعلم حتى أكون متديناً أكثر.. وأخذت النظام الدومينيكاني لأنهج نهج العلم بحرية».. وهنا نرجع إلى ضرورة التقريب بين العلم والدين بطريقة عملية علمية.

«والكتاب المقدس أعطاه الله الإنسان بطريقة إنسانية بواسطة اللغة التي تخضع لقوانين لغوية بشرية، لها بيئتها ومجتمعها، وإذا قال الكتاب المقدس إن الشمس تدور أو إن الأرض تدور، فهذه هي المشاهد الإنسانية، وليس العلم المطلق. لأن

الكتاب المقدس ليس كتاب علم طبيعي خالص، ولكنه موجه إلى الإنسان بتصورات الإنسان، وعقلية الإنسان هي مستوى التعامل من خلاله».

«والنص ليس خالداً ولكنه متغير بالنسبة لنظرة الناظر إليه، فالعلم بالكيمياء مثلاً يختلف الآن عنه في وقت نزول الوحي».

والعقل يدخل في القانون الأخلاقي، فمثلاً إذا كان هناك سائق سيارة كبيرة تقل ستين راكباً على حافة جبل ومرَّ أمامه فجأة طفل معرض للموت، فماذا يفعل السائق؟ أيقتل ركابه الستين أم الطفل ؟!

والعقل مرجع كل شئ. ولكن له حدود في هذه المرجعية، «وإذن فلا دين بلا ثقافة ولا ثقافة بلا دين !!».

ومن الخطر أن يتجاوز العلم حدوده ويدخل في مجال الدين، بالقدر نفسه من الخطورة تجاوز الدين حدوده وإعاقته لمسيرة العلم.

قليل من العلم قد يبعد الإنسان عن خالقه، أما كثيره فيقربه منه. ولكن من الذي يحدد لكل من الطرفين ميدانه ؟ أي من الذي يفصل بين العلم والدين ؟ ويضمن عدم جور أي منهما على الآخر ؟ أنها الفلسفة وإنه العقل.

ولابد في ذلك من الرجوع إلى رسالة ابن سينا في تقسيم العلوم فالفلسفة معرفة الوجود كموجود، والميتافيزيقا أعلى درجات المعرفة الأنسانية، والوحي مصدر من مصادر المعرفة، والعقل قادر على المعرفة، وعلى الوصول إلى الحقيقة في الميدان الإنساني في عالم الطبيعة وإذا بقى العلم في ميدانه فلا خوف منه ولا خوف عليه، أما إذا خرج عن ميدانه فقد بدأ الانحراف.

ويخلص بنا چورچ قنواتي بعد حوار طويل حول هذه النقطة إلى أن الفلسفة حَكَم بين العلم والدين، ذينك الطرفين الأساسيين في حياتنا الإنسانية، ودون دور الفلسفة هذا تضيع علامات الطريق بين العلم والدين، فيطغى كل منهما على الآخر في زمان ما أو في مكان ما فيختل التوازن.

وهو يرى أن حضارة كبرى كالحضارة الإسلامية أزهرت وأثمرت وأفادت البشرية كلها حين استطاعت الحفاظ على هذه الأطر، وعلى العلاقات بينها في داخلها، فكان

الدين وكان العلم وكانت الفلسفة وقد كانت تلك الحضارة ومازالت تراثاً إنسانياً عامّاً تنهل منه كل البشرية، ولم تنغلق ولا يجب لها أن تنغلق على المسلمين، ولا أن ينغلق المسلمون عليها وحدها، وإنما هي تدخل دائماً ويجب أن تدخل في ميدان تضافر الحضارات، وفي مجالات التأثير والتأثر والحوار والاقتباس.

وأما المحور الثاني: فهو المسيحية الشرقية - والعربية على وجه الخصوص - فهي مسيحية متميزة، ويظهر تميز هذه المسيحية في حدود وأبعاد وطوابع وطبائع تجعلها مختلفة عن المسيحية الغربية، وهذا أمر طبيعي جداً، فقد ولدت في شرق ذي ديانات سابقة وله مذاقه الخاص به وروائحه ذات الجاذبية الخاصة أيضاً، اليمن وجزيرة العرب، وسيناء وفلسطين وأرض الرافدين والهلال الخصيب تلك البقعة المسماه بالسامية - مهما اختلفنا حول هذه التسمية - والتي شهدت مولد ثقافات لها نسيجها الخاص بها.. وتحاورت هذه الثقافات مع ثقافة مصر تاريخياً..

وعندما نحلل عناصر الأديان السامية من يهودية ونصرانية وإسلام إلى أصولها الأولى، أو قل عندما نربطها بسياقها وبتناغمها نجد جذورها ضاربة في أعماق هذه المنطقة..

أفلا تكون المسيحية الشرقية العربية والحالة هذه ذات طعم ولون ورائحة خاصة بها وهي منتظمة في سلك هذا التاريخ الشرقي، أو لا تكون المسيحية في الشرق قد تنفست تنفساً جديداً مع ظهور الإسلام في هذه المنطقة من العالم..

بلى.. ولاشك أن الزخم العلمي والحضاري الذي شع على الإنسانية بإشعاع الإسلام قد أثر في المسيحية العربية الشرقية التي كان مهدها الشرق جغرافياً والتي تعربت لساناً ومنهجاً واستمرت مسيحية ثرية ديناً... وللغة دورها في صبغ الفكر والعلم والشعور، ودورها تميز تاريخي وجغرافي أو قل إن لهذه العلاقة الجدلية بين اللغة والفكر والعلم والشعور دوراً متميزاً تاريخياً وجغرافياً وثقافياً في طرائق الفكر والحوار والصياغة.

بل إن المسيحية العربية ساهمت في بناء صرح الحضارة في الشرق، وقد أشرنا إلى الدور الرائع للمترجمين والفلاسفة المسيحيين إبان عصر النهضة والترجمة لدى الخليفة المأمون.. كما نبهنا على اعتبار هؤلاء المترجمين والعلماء والفلاسفة، العرب لغةً

والمسيحيين ديناً، جزءاً لا يتجزأ من هذه الحضارة العربية الإسلامية داخلاً عبر سداها ولحمتها. وهنا يؤكد چورچ قنواتي على هذا اللون الخاص للمسيحية الشرقية وعلى نتاجها المتميز من أدب وفكر وفلسفة وكيف لا وهو المتخصص في الفلسفة الإسلامية والتصوف الإسلامي.

إنك إذا تتبعت كتاباته من مراجع وموسوعات أنجزها وحده أو ساهم فيها مع غيره من عرب وغير عرب، مسلمين وغير مسلمين تجده يبدأ بالإسلام وعلمه وفلسفته وينتهي بالمسيحية العربية وعلمها وفلسفتها وهذا الوعي له أهميته حتى لا نقذف عن طواعية وبعدم فهم تراث هذه الأرض التي نعيش عليها والذي هو نتاجها الطبيعي عبر تاريخها الطويل إلى الطرف الآخر من الكرة الأرضية إذ نفصل هذا الفصل التعسفي بين جوانب الحضارة الشرقية وأصولها وروافدها..

وقد بدأت حركة علمية لتحقيق ونشر ودراسة التراث المسيحي العربي الذي نشأ في ظل الحضارة الإسلامية أو هو جزء منها نبت في أرضها وأخذ طعمها ولونها ونهج مناهجها وسلك سبل تعبيرها ونطق بلغتها العربية بل واتخذ مفرداتها ومصطلحاتها العلمية التي أبدعتها، وهذه الحركة العلمية ينسلك فيها باحثون وعلماء مسيحيون عرب كان في مقدمة ركبهم چورچ قنواتي ويستمر بعده بحاث جادون من أمثال سمير خليل وغيره.. والتأكيد على تميز هذه المسيحية العربية لغة الإسلامية منهجاً.. الشرقية أرضاً ومسرحاً يفتح نوافذ جديدة على أبعاد الفكر والفلسفة الإسلاميين.. ويقدم شواهد جديدة – لمن لم يكن يعرف بعد على مدى اتساع هذا الفكر وهذه الفلسفة وعظمتها وشمولها وأخيراً على عبقريتها المتميزة في الأخذ والعطاء والحوار، والمقام هنا يضيق عن تسمية كتب التراث المسيحي العربي في علم الكلام والفلسفة خاصة والإشارة إلى ما صدر منه محققاً وموقفه – من داخله – من الإطار العام الذي ولد ونشأ فيه.. كيف يراه وكيف يحاوره وما أدوات حديثه وتوجهاته وحواراته. وسوف نتحدث عن ذلك في موضع آخر مناسب له.

وأما المحور الثالث: والذي تبرز أهميته أكثر من غيرها فهو محور الحوار بين الإسلام والمسيحية.. وقد كان قنواتي فيه علماً في رأسه نار.. فقد كان يدعو إلى

الحوار ويعرف قواعد الحوار بما يجعله واقفاً على أرض صلبة واعياً بذاته وبالآخر ومقدراً لكل حق قدره.. إذ كيف يدرس الفلسفة الإسلامية ويتخصص فيها ويطيل الوقوف في محطات ابن سينا وابن رشد ثم ابن عربي وابن طفيل وابن باجة.. ثم يعرج على توما الإكويني فلا يشم رائحة ابن رشد.. بل.. إن جورج قنواتي يرى ويعلم ويربط ويقرن ويؤمن بالتميز والتمازج والإبداع والتأثير والتأثر.. وتكتمل في نظره الدائرة فيسمي الأشياء بأسمائها، ويربط الأجزاء بجسمها، ويرى الألوان كما هي.. ثم يرى بينهما تناغماً وانسجاماً، وتناسقاً، ويقدم لنا رؤيته تلك في كتب ومقالات ومؤتمرات حوار.. لقد عاش الحوار في التاريخ ورأى التعانق في محطات العلم.. وشاهد التأثير والتأثر في فيضانات الأنهار بل سبح فيها.. فإذا عاد من التاريخ إلى الواقع وحدث عما رأى فليحدث ولا حرج.. ولنسمعه ونناقشة ونحاوره، وحوار العلماء شيق فرؤاهم ورؤيتهم متكاملة متماسكة لا يخشى منها بتر ولا تمزق.

يقول جورج قنواتي إن الدافع الأول لدراسته لفلسفة الإسلام هو البحث عن أرضية للحوار !!

فلماذا الحوار مع المسلمين ؟

يقول «لأنني في بلد مسلم وفي حضارة إسلامية وأنا جزء من هذا البلد وهذه الحضارة».. وكيف تحاور من لا تعرفه ؟

وكيف يحاورك من لا يعرفك.. وكأن في ذلك تنبيهاً على أن تَعَثَّر الحوار قد يأتي من عدم اكتمال المعرفة والوعي بالذات وبالآخر.. وكلاهما وجهان لعملة واحدة.. أو متلازمان يوجد أحدهما بوجود الآخر بشكل آلي..

درس جورج قنواتي الصيدلة في الإسكندرية وفي بيروت، والدين في فرنسا والفلسفة في فرنسا وفي مصر.. ويحدثنا بعد عودته ويتحدث عن يوسف كرم ويسميه أستاذ الجيل ومنه خرج يوسف مراد وعبد الهادي أبو ريدة وعثمان أمين وغيرهم، وكان يشبه سقراط وقد نشر تعاليمه في ثلاثة كتب معروفة ولكن للأسف لا توجد الآن في السوق. وهي:

١ المدخل إلى الفلسفة اليونانية.

٢ العقل والوجود.

٣ كتاب في الطبيعة.

وهي تمثل التعليم الأرسطي الأصيل مع إضافات ليوسف كرم.. وكان يوسف كرم يدرس في الإسكندرية ويتصل بالأب چوسان الذي أسس دير الدومينيكان وقد تحاور أبناء هذا الجيل يوسف كرم وتلاميذه والأب چوسان وناقشوا الفلسفة الإسلامية وترجموا المدينة الفاضلة وعملوا قاموساً عربياً فرنسياً للفلسفة وكانت حركة الحوار العلمي هذه مؤثرة في الإسكندرية أكثر منها في القاهرة ويقول قنواتي «وعندما وصلت إلى فرنسا سألني مدير الآباء الدومينيكان: لماذا دخلت إلى الدير؟ فقلت له بسبب الحوار المسيحي - الإسلامي».. وبما أن حياتنا الفلسفية المسيحية قادمة من ابن رشد فلا بد من دراسة الفلسفة ثم تأسس معهد الدراسات الشرقية بدير الدومينيكان بالعباسية عام ١٩٥٨ وهو يهتم أساساً بالحوار ويصدر دوريات علمية في هذا الإطار وفي الفترة نفسها لنشاط هذا المعهد كان هناك إقبال من علماء الدين الإسلامي والمثقفين المسلمين وأذكر منهم على وجه الخصوص الشيخ محمد يوسف وكان أستاذ علم التفسير في الأزهر وكان يترجم كتباً من الفرنسية إلى العربية، وكان يسألني ويحاورني، كما أذكر الشيخ محمد بن فتح الله بدران الذي كان يعد رسالة دكتوراه عن الشهرستاني، وأتى إليّ وأخذ المصادر العلمية عن المسيحية، وأذكر أيضاً وخصوصاً الشيخ أحمد حسن الباقوري أحد مؤسسي جماعة الحوار والإخاء الديني في مصر.

وقد عاش چورچ قنواتي عاملاً في سبيل هذا الحوار داخل مصر وخارجها وعرفته المؤسسات العلمية العالمية واحداً من أبرز من أسسوا هذا الحوار وأثروه وساندوه حتى آخر نسمة حياة لفظوها.

د. محمود عزب

أستاذ اللغات السامية، جامعة الأزهر

دارس عالم ورجل حوار طيب

كان الأب قنواتي إنساناً ذا قلب كبير يغمر كل من اتصل به بفيض من الحب والتعاطف والتشجيع. وبهذه القدرة الفذة استطاع أن يكون طرفاً في علاقات إنسانية حميمة في مصر وفي العالم العربي بل وفي مختلف بقاع العالم.

كان عالماً على أرفع مستوى - ولكنه في نفس الوقت أستاذ يرعى المبتدئين في البحث، يأخذ بعقولهم البازغة حتى يستقيم عودها وتترسخ في أرض العلم، مقدمة ثماراً ثمينة.

ويمكن أن ندرك مدى عطائه حين ننظر إلى الحديقة التي يقع بها المعهد، والمكتبة التي عاش فيها أكثر من نصف قرن. كنا نأتي إليه في الأربعينات، وكانت هذه الأرض رمالاً صفراء تتناثر فيها بعض العيدان الخضراء الضعيفة.

انظر إليها الآن.. غابة من الأشجار وأنواع الزهور - لو أنك جلست فيها لغمرك الظل الوارف والنسيم العطر والهدوء.

هكذا كان - وعاش الأب قنواتي.

وبهذه الشخصية المفعمة طيبة وتعاطفاً وحباً للآخرين، كان له دوره المتميز في الحوار بين الأديان - على وجه الخصوص بين المسيحية والإسلام. وجاب أقطار المسكونة يلقي المحاضرات ويحضر الندوات، وهدف سعيه إقناع كل إنسان بأن يرى لدى الآخر خير ما فيه، وأن يقدم للآخر خير ما عنده. وأحسب أن جهده في هذا المجال يستحق أن يتابعه دارس يرصد منهجه ويقدم مساهماته.

وعلى سبيل المثال – للأب قنواتي دراسة طويلة في ٧٧ صفحة عن «الجدال والدفاع والحوار الإسلامي المسيحي. المواقف التقليدية في القرون الوسطى، والمعاصرة» . « Polémique, apologie et dialogue islamo-chrétiens. Positions classiques médiévales et positions contemporaines ». نشرها عام ١٩٦٩ في *Euntes Docete*, Rome, 1969, t. xII, p. 375-452.

وقيمة هذه الدراسة تتمثل ليس في كم المعلومات التي وردت بها ولكن أيضاً في الرؤية الموضوعية الحكيمة، وفي التعاطف مع الشعوب الشرقية إزاء حركة المد الاستعماري وما صاحبه من هجوم فكري على تراث هذه الشعوب، والآثار التي ترتبت على ذلك. وأرى أن ترجمة هذه الدراسة تخدم الحوار خدمة جليلة.

نموذج آخر لحكمة رجل الحوار الأصيل هذا: ألقى الأب قنواتي في ٢٩ نوفمبر ١٩٦٣ محاضرة في جامعة القديس توماس بروما، خلال انعقاد مجمع الڤاتيكان الثاني عن «الإسلام في زمان المجمع L'Islam à l'heure du Concile» نشرت في مجلة Angelicum, 41, 1964, fasc. 2، ختمها بقوله: اننا لم نعد في القرون الوسطى، العصر يفرض التعددية الثقافية التي يمكن أن تكون لها ثمار طيبة، وأن تحقق التعاون والأخوة بين المسيحيين والمسلمين، ومن ثم التفاهم المتسع والاحترام المتبادل.

هذان مجرد نموذجين من عمل رحب متواصل. يحتاج إلى التعرف عليه جمهور كبير من الدارسين والمثقفين.

وثمة اقتراح:

أن يطلق اسم الأب قنواتي – بشكل أو بآخر – على المعهد والمكتبة حيث عاش هذا الرجل الدارس العالم الطيب الأمين – وخدم، وقضى..

تحية خالصة لروحه وتقديراً واحتراماً..

د. وليم سليمان قلادة
وكيل مجلس الدولة
مستشار بالمحكمة الإدارية العليا (سابقاً)

رجل الحوار بين الشرق والغرب وبين العقل والإيمان *

المرشد الحكيم

لاشك أن رحيل الأب چورچ شحاتة قنواتي ترك فراغاً لا يعوّض عند الكثير من أصدقائه الذين اعتادوا على مر السنين أن يروا فيه العلاّمة المرشد، والصديق الأمين والمرجع الثابت في العديد من المشكلات الفكرية، والشخصية، التي تواجِههم مرة بعد مرة.

وإنّي لأرى واجباً عليَّ أن أضمَ صوتي إلى أصواتهم لكي أذكر بعض السمات لهذا الرجل الذي لوّن حياتي لوناً جديداً ووجَّهها إلى آفاقٍ بعيدة منذ عرفته.

ولقد عرفت الأب چورچ قنواتي وأنا طالب في إحدى الكليات اللاهوتية بروما حيث حضر ليُلقي بعض المحاضرات في الدين الإسلامي - فأثَّر كلامه فينا، إذ كان يفتح أمامنا بأسلوب هادئ مقنع عالماً جديداً ظلَّ في تصورنا حتى ذلك الحين بعيداً غريباً. ولاشك أن لذلك اللقاء معنى خاصاً في حياتي إذ إنني انطلقت منذ ذلك الحين إلى دراسة الحضارة العربية والإسلامية فبدأت اتفتَّح على العالم الذي يمتد على الشاطئ المقابل في البحر المتوسط.

---

* انظر: مجلة «القاهرة»، مصدر سابق، ص ١٥٢.

فظل شخص الأب چورج قنواتي المُشع دائماً علِماً ومودة، دافعاً قوياً لكي أتقدم خطوة خطوة برغبة وحماس في هذا المجال الجديد الواسع.

ولقد انتهى تجوالي هذا تحت إرشاده الحكيم إلى التخصص في التصوف الإسلامي برسالة عن الشاعر الصوفي المصري العبقري عمر بن الفارض.

ولا يسعني الكلام لكي أعبر عن شكري لهذا الرجل الذي وقف بجانبي طوال سنين عديدة مرشداً حكيماً وصديقاً أميناً.

لكن هناك بعض سمات من شخصيته أحب أن أشير إليها، إذ هي بمثابة أغلى وصية تركها لي ولغيري من المفكرين هذا العلامة العظيم والمرشد الحكيم.

رجل الحوار بين الحضارات

امتاز الأب چورج قنواتي ببصيرة فريدة ينفذ بها دائماً إلى كل ما هو إيجابي وبنّاء سواء فيِ الأشخاص الذين كانوا يقابلونه كما في الأحداث الواقعة حوله.

وقد ظنّ بعضهم أن هذه المزيّة لم تكن إلا ثمرة طبيعية لمزاجه المتفائل. ولكن أغلب الظن عندي أن هذه المزيّة نمت وتقوّت فيه من جراء تجواله الطويل المتسع في تاريخ الحضارات الإنسانية.

إن التاريخ ظلّ له أستاذاً عظيماً في تربية إنسانية الإنسان. و يعلمنا هذا الأستاذ أولاً وأخيراً أن الثقافة والحضارة، والعلوم والفنون على مختلف أشكالها وألوانها ليست في حوزة شعب دون شعب أو جنس دون جنس أو دين دون دين.

إننا جميعاً مدينون لحضارة إنسانية مشتركة تضرب جذورها في عمق التاريخ البشري وتمتد أطرافها إلى كل أقطار المعمورة. فلا مجال هنا للتفاخر القبلي أو للتنافر القومي.

وأذكر أن الأب چورج قنواتي كان يتأسف، خاصة في هذه السنوات الأخيرة، على هذا التيار الرجعي الظلامي المتعصب والمتطرف والجارف في العالم العربي والإسلامي بصفة خاصة.

إن هذا التيار يتلبس بشعارات دينية براقة لكنه يرفض في الحقيقة تقدم الفكر الإنساني الحضاري ويكاد يهوي بالإنسانية إلى هاوية العصبية القبلية ويضربها في أصولها الحضارية التي قامت عليها منذ بدايتها.

وكان الأب چورچ قنواتي يرى أن عمله الطويل في مجال الفلسفة العربية والإسلامية هو كفاح طويل ضد كل الأنواع من الانغلاق الفكري والحضاري - ولقد حاول في كل ما كتب أن يرفع الإنسان إلى كامل إنسانيته بكل القيم التي اكتشفها عند أكابر المفكرين من الشرق والغرب - وكان بذلك العمل يعبر عن إيمانه العميق بالإنسان كإنسان وبكل قيمه الإنسانية، حسب قول الكاتب الروماني القديم ترنسيوس: «إني إنسان فيهمني كل ما يهم الإنسان».

تظهر هذه السمة الإنسانية واضحة جلية في آخر كتاب تركه لنا وعنوانه «المسيحية والحضارة العربية» حيث استعرض مساهمة المفكرين المسيحيين في بناء الحضارة العربية.

وكان الأب چورچ قنواتي يحب أن يصف العلاقات بين الشرق والغرب كعلاقات حوار حضاري متصل وممتد عبر القرون والأجيال فتارة يأخذ الغرب من الشرق وتارة يأخذ الشرق من الغرب. إن الحضارة المسيحية التي كانت الوارثة للحضارات القديمة، اليونانية والرومانية خاصة، ساعدت في إقامة الحضارة العربية والإسلامية في طورها الأول. وبعد ذلك بقرون فإن الحضارة العربية والإسلامية هي بدورها ساعدت الحضارة الأوروبية في نهضتها الأولى.

وأخيراً في عصرنا الحديث فإن الحضارة الأوروبية الحديثة حركت العالم العربي الإسلامي في صحوته من التجمد الحضاري والفكري في نهضته وتقدمه إلى آفاق العلوم والفنون الحديثة.

وكان الأب چورچ قنواتي يرى أن هذا الحوار الحضاري هو من أهم المميزات لشعوب حوض البحر المتوسط، فلابد من مواصلته في عصرنا هذا، ضد كل التيارات الرجعية والظلامية التي تحاول أن تنفث في قلوب أبناء جيلنا روح التجمد والتقوقع على الذات وقطع الحوار الحضاري.

إلا أننا نعتبر عمل الأب چورچ قنواتي نفسه نموذجاً حياً وحلقة متصلة مثمرة في هذا الحوار الحضاري بين الشرق والغرب - إذ أنه المصري الشرقي المسيحي الذي استوعب مناهج البحث العلمي الحديث من الغرب ثم طبقها في مجال الدراسات العربية والإسلامية فساهم بعمله مساهمة مشكورة في إحياء التراث الفلسفي الإسلامي حتى أصبح مرجعاً لا غنى عنه في الدراسات الإسلامية.

وستظل أعماله دون شك خير تركة تركها لنا هو لكي نواصل نحن كفاحه من أجل حوار حضاري أوسع يرجع بالفائدة المرجوة على كل شعوب حوض البحر المتوسط وغيرها.

رجل الحوار بين العقل والإيمان

وهناك وراء هذا الحوار بين الحضارات في فكر الأب چورچ قنواتي حوار آخر له أهمية وخطورة: هو الحوار بين العقل والإيمان.

إن العقل والإيمان عنصران أساسيان في تكوين الحضارتين المسيحية والإسلامية.

ولاشك أنه كان من أبرز سمات الأب چورچ قنواتي هذا التوافق الفريد والتوازن المتميز بين البعد العقلي والبعد الإيماني. لقد كان يعطي لكل طرف حقه ودوره. فلا العقل فيه ينفر عن الإيمان، ولا الإيمان فيه يكفر العقل.

وكما يقول قول روماني قديم: «العقل السليم في الجسم السليم»، كذلك يمكننا أن نصف شخصية الأب چورچ قنواتي بِمَثَل مكمّل للسابق: «الإيمان السليم في العقل السليم»، وكان يردد دائماً: «لا دين بغير ثقافة ولا ثقافة بغير دين».

إذ أن الإنسان إذا فقد البعد الإيماني يتوه في حيرة الشك وعدم اليقين وكذلك إذا فسد العقل فيه يجد نفسه متوحلاً في مستنقعات الخرافات والأساطير. هاوياً في هاوية التعصب القبلي الأعمى المدمر. ومن الملاحظ أن الأب چورچ قنواتي كان قد تتلمذ على يد أكابر المفكرين من الشرق والغرب الذين حققوا هذا الحوار بين العقل والإيمان على مستوى فكري رفيع من أمثال ابن سينا وابن رشد في الشرق، والقديس أغسطينوس والقديس توما الأكويني في الغرب.

ويمكننا أن نكتشف في أعمال الأب چورچ قنواتي حواراً مستمراً مع هؤلاء المفكرين المستنيرين الذين يمثلون نضج العقل المقترن بنضج الإيمان.

إلا أن هذا الحوار لا يصح أن يكون شيئاً ثابتاً متجمداً في الماضي غير قابل للتطور والتغيير. فلم يكن الأب چورچ قنواتي من الداعين إلى مجرد التقليد الأعمى للماضي وتكراره الممل. والواقع أن الفكر البشري يعيش في حركة دائمة هي حركة الحياة التي إذا لم تنم تموت.

وهناك في مسار التاريخ البشري مسائل جديدة تطرأ للإنسان في كل جيل، وتحديات جديدة لفكره إذ أن التاريخ لا يعيد نفسه.

وإذا فقد الإنسان الصلة بالواقع التاريخي يدخل إلى دائرة مميتة هي دائرة الانفصام الداخلي بين عقله وإيمانه، ولهذا الانفصام نتائج خطيرة جداً على المستوى الفردي والجماعي.

لقد دخل الإنسان منذ قرنين في طورٍ جديدٍ من تطور عقله ألا وهو العقل النقدي، وقد استطاع هذا العقل أن يخلق لنفسه منهجاً جديداً للبحث والمعرفة أعاد به النظر في الكثير من المُسلَّمات القديمة - ولا أحد ينكر أن هذا العقل النقدي فتح أبواباً جديدة وانطلق إلى آفاق واسعة لم تخطر ببال أحد من القدماء، ولقد نفذ هذا العقل النقدي إلى أقصى أبعاد الكون وإلى أصغر مكونات المادة، وكذلك ألقى ضوءاً جديداً على عصور الماضي الأكثر غموضاً وغاص في أخفى أسرار النفس، وإزاء هذا التطور الهائل فعلى الإيمان أن ينمو ويتسع حتّى يلائم التطور العقلي فلا يزال الإيمان سجيناً في دائرة خرافات عقيمة.

ومن الملاحظ أن الأب چورچ قنواتي مع إعجابه البالغ بالمفكرين القدامى كان واعياً بأنهم لم يقولوا الكلمة الأخيرة في المعرفة البشرية - إنما هم حلقة في سلسلة التطور الفكري والتقدم الحضاري.

وقد رأينا هذا الراهب المفكر في أسفار مستمرة وتجوال دائب بين دور العلم ورجاله في كل أنحاء العالم، فليس هناك مكتبة أو جامعة أو رابطة فكرية إلا زارها أو حاضر فيها.

ويحفظ سجل الزائرين في مكتبته عدداً لا حصر له من أسماء المفكرين الكبار على اختلاف اتجاهاتهم الفكرية وانتماءاتهم الجنسية الذين كانوا يزورونه بصفة مستديمة حتى أصبح ديره مُلتقاً عالمياً يجد فيه الكل الترحيب الواسع والمساعدة المخلصة.

وظل يصغي ويبحث ويناقش ويكتب حتى آخر حياته حيث توفي وكان قد كتب على الكومبيوتر الصفحات الأخيرة في كتاب عن الأسماء الإلهية.

فما أحوجنا نحن في أيامنا هذه إلى أمثال الأب چورچ قنواتي !! نقول في أيامنا هذه حيث تحاول تيارات عديدة من العصبية الرجعية الظلامية أن تخمد تقدم الفكر الحر المستنير، إننا في أمَسُّ الاحتياج إلى مفكرين مستنيرين يتمتعون بالنضج العقلي والنضج الإيماني على مستوى من التوافق والتوازن اللذين تمثلا في الأب چورچ قنواتي.

فلا أمل هناك لتقدم حقيقي ومستمر إلا على أساس مثل هذا الفكر المستنير المتفتح إلى حوار إيجابي بين الحضارات المختلفة وبين العقل والإيمان.

وبحق تفخر مصر بالأب چورچ شحاتة قنواتي كواحد من أبرز أبنائها الذي بَنَى بأعماله الفكرية صرحاً عالياً منيراً لأجيالها المقبلة والذي استطاع أن يَعبُر حدود الثقافة القومية الضيقة إلى آفاق الثقافة العالمية الواسعة.

إلا أن هذا المفكر العظيم بقدر ما أثرى وطنه فخراً وشرفاً فإنه كان مثالاً من الأمانة والالتزام يُحتذى به. فعلى أبناء وطنه أن يواصلوا عمله نحو عالم أوسع أفقاً وأعمق اتصالاً بغيره من الحضارات والثقافات، وإلى الكفاح ضد التيارات الرجعية الظلامية بشتّى أنواعها.

إن الأب چورچ قنواتي سيظل مثلاً عالياً لعمل إنساني يتميَّز بقوة عقله ورسوخ إيمانه المفيد للأجيال المقبلة في بلاده وفي غير بلاده.

الأب يوسف سكاتولين

من الآباء الكومبونيان

رسالة سيادة الكاردينال فرنسيس أرينزي

٢٥ مارس ١٩٩٥

عزيزي الأب مورلون

يسعدني أن أكتب - بأحاسيس مليئة بالعرفان - بمناسبة إعداد كتاب في ذكرى الأب چورچ شحاتة قنواتي. والأسباب التي تحملنا إلى شكر الله عديدة: حياته وعمله كرائد أول في مجال العلاقات المسيحية الإسلامية.

أنشأ قداسة البابا بولس السادس هذا المجلس عام ١٩٦٤ لترجمة المفاهيم الكاثوليكية الجديدة لعلاقاتها مع أناس ينتمون إلى ديانات أخرى. وكان الأب قنواتي مستشاراً ومهندساً ديناميكياً للعلاقات المسيحية الإسلامية. لقد عمل مستشاراً من عام ١٩٦٥ حتى عام ١٩٧٣، وهي السنوات الحاسمة لوضع الملامح والعمل بروح المجمع الڤاتيكاني الثاني والتي أعلنتها الوثيقة البابوية: «في عصرنا Nostra Aetate» والتي كانت يجب أن تُنقل إلى الكاثوليك في العالم كله. لقد اشترك الأب قنواتي اشتراكاً ملحوظاً في رسم الخطوط العريضة للحوار بين المسيحيين والمسلمين والذي نُشر عام ١٩٦٩.

كان لقائي الأخير بالأب قنواتي عام ١٩٩١ في الاجتماع الذي دعا إليه مجلسنا، واشترك فيه الأب قنواتي بالرغم من تقدمه في السن. وكانت ملاحظاته وتدخلاته وأسئلته تنم عن ذهن متوقد حاد وخبرة طويلة وعميقة.

ونذكر الأب قنواتي ليس فقط بسبب علمه الواسع ولكن أيضاً لعلاقاته وصداقته المتجذرة في المسيحية والتي امتدت إلى الجميع، دون النظر إلى دينهم. وكانت علاقاته علاقات حارة. إنه مثال - أثر في كل من تعامل وتقابل واشترك معه في حوار - للتعاون بين المسيحيين والمسلمين.

ليبارك الرب مركز الدراسات الشرقية للآباء الدومينيكان الذي أسسه الأب قنواتي وتديرونه أنتم الآن.

الكاردينال فرنسيس أرينزي

رئيس المجلس البابوي للحوار بين الثقافات

الحوار الأخير للأب قنواتي

الحوار الأخير

الأب چورچ قنواتي يتحدث عن نفسه

عرفنا الأب چورچ قنواتي منذ وعينا اسماً يُذكر إذا ما ذُكر عمداء الفكر والثقافة في مصر والعالم العربي، أما معرفتنا الشخصية به فقد بدأت في ندوة الجمعية الفلسفية المصرية التي أقيمت بجامعة القاهرة في يونيو ١٩٩٠. ولكن سرعان ما تحولت معرفتنا به إلى ارتباط وثيق به كإنسان. وأصدق ما يوصف به هذا الارتباط هو صلة القرابة.

وجدنا أنفسنا نزوره في الأعياد ونشتاق إلى بساطته، وإلى مزاحه معنا، وإلى مرحه الذي أنسانا سنين حياته العامرة بالأعباء والتجارب، فكنا نذهب لزيارته مختلقين الأسباب. ظللنا نتردد عليه ناعمين بحوارنا معه الذي لم يكن ينقطع بانقطاع أحدنا عن الآخر.

وفي إحدى زياراتنا له في خريف ١٩٩٢ بادرناه برغبتنا في نشر بعض أحاديثنا معه لإيماننا بأنها على درجة كبيرة من الأهمية حضارياً وإنسانياً. فتجاربه الاجتماعية تمتد زماناً ومكاناً، مكونة بذلك جزءاً حياً من تاريخ مصر الحضاري المعاصر؛ وتجاربه الشخصية تضيء جوانباً من حياة إنسان يتفانى في فعل الخير دون أن يفقد ابتسامته،

وعالمٍ يبحث عن الحقيقة، وراهب يؤمن بدينه، ومتصوف يعتنق محبة البشر. ولم يجهدنا كثيراً في إقناعه برغبتنا على عكس ما تخوَّفنا بادئ الأمر إيماناً منه بضرورة المشاركة في حوار إنساني واسع المدى يمس الإنسان بالدرجة الأولى ثم الإنسان المثقف في مصر.

وتعددت اللقاءات على مدى أكثر من عام وحتى بدايات ١٩٩٤، فازداد الود عمقاً، وازدادت حياتنا بحياته رحابةً.

ثم صمت عنا... وصمته ذو شجون...

محمود عزب

هدى عيسى

يناير ١٩٩٥

أول الطريق

نريد أن نقسم الحديث معك إلى مراحل. المرحلة الأولى أن تكلمنا عن حياتك، أين ولدت، أين نشأت وأين تعلمت التعليم الأول ؟

طيب كويس، ده سهل ده. ولدت بالأسكندرية، الميناء الغراء، عروسة البحر المتوسط.. (مازحاً): ينفع كده.. ؟

من عائلة مسيحية عريقة في المسيحية، أورثوذوكسية، ووالدي كان موظفاً في الحكومة المصرية في إدارة الميناء، وكان مدير عام مخازن، كان اسمه شحاتة بك قنواتي. والدي كان راجل مثقف، يعرف إنجليزي كويس ويعرف فرنساوي، وبيقرا كتير، كان عنده مجلة «المقتطف» ومجلة «الهلال» ويقرا كتب، لكن كان كبير عليَّ، ما أثرش عليَّ من الوجهة الثقافية. لكن كان شديد من الجهة الأخلاقية، كان يمشينا زي العسكر كدة تمام، إذا كان الواحد ما يمشيش دوغري. أتذكر مرة قال لنا ماتلعبوش كورة في الأوضة، فلعبت الكورة وكسَّرنا الإزاز. ولما جا: مين كسر الإزاز ؟ وأنا كنت عارف إن القصاص هو قلم أو قلمين، قلت له: أنا، راح طاخ ! وخلاص انتهت المسألة. بس وبعدين خلص، لكن كان محب لأولاده. محب أوي، وعلَّمهم الجميع.

كنا ستة أخوات، اتنين تخصصوا في الأثريات، كان عندهم ولا يزال لغاية دلوقتي المحل بتاعهم في شارع الحرية. كانوا متعلمين كلهم في المدارس، الفرير الأول وبعدين واحد منهم في ڤيكتوريا. الاتنين التانيين علمهم أطباء في بيروت. كان يقول لك: اتنين اتنين لازم يشتغلوا سوا عشان يساعدوا بَعض في الحياة. الاتنين الأخرانيين اللي أنا كنت منهم آخر العنقود. وكانوا حطِّينا في مدارس الفرير في اسكندرية، وكان العربي بتاعنا يُرثى له. أتذكر عند الفرير كنا عشان تتذكر بيت شعر بالعربي، كنا نكتبه بحروف فرنساوية. Ma mère aussi venait du Caire, mais était d'origine syrienne، عيلة «بنوت»، أفتكر، من الشام. وكانت متعلمة – مش كتير خالص – لكن متعلمة في مدارس الفرنسيسكان. تعرف الفرنسية كويس، وشوية إيطالي. والدي كان يعرف إنجليزي كويس. وكان بيعلموهم في المدرسة أغنيات طلياني: Piove, piove, la gallina

fa l'uovo يعني الدنيا بتمطر والفرخة بتبيض بيض، فكان فيه كلام طلياني يخش في البيت. كان زي أي ناس عادي في العيلة الكلام بالعربي الدارج، بس بموجب تعليمنا في المدارس الفرنساوي كان ييجي كلام فرنساوي يخش، كلام طلياني، كلام إنجليزي، بحيث إن الواحد مايعرفش أي لغة كويسة. يعني أنا ولو كنت تلميذ فرير مجتهد وكل حاجة، كنت أحس نقص – عقدة النقص – لما ألاقي نفسي اتكلم فرنساوي، ومع العربي زيادة كمان: المصري بيتكلم عربي كويس أوي، والفرنساوي بيتكلم فرنساوي كويس خالص، فكان فية نوع من النقص نحو العنصرين، العنصر الأجنبي، والمصري الأصلي. على كل حال اتعلمنا فرنساوي برضه كويس، وخدت البكالوريا الفرنساوي سنة ١٩٢١ وكان سني ١٦ سنة، وكنت من المجتهدين الحمد لله، تملّي تقديري من الأوائل، فعاوز تعمل إيه، تعمل إيه ؟ فوالدي قال: إنت تعمل صيدلة زي أخوك. أنا بقه كانت جت لي شوية لحسة فرنساوية أياميها – بس ماتكتبوش ده – فعاوز تعمل إيه ؟ ! Je veux devenir comme un officier français Légion d'honneur. L'idéal c'était la chevalerie, la patrie. كنا متعودين إن نعيش هذا الجو المثالي La patrie، لكن ما كانش الواحد يحس بيها كعربي. لدرجة إنه مرة كان في حفلة كده بتاعت المدرسة وكان في مسرحية فرنساوية، فواحد من الفرير بيقوللي:

– Qu'est-ce que vous êtes ?
– Je suis égyptien.
– Non, vous êtes français !

يعني، كان عقليتهم كده، تلميذ الفرير يبقى فرنساوي مادام بيتعلم فرنساوي والعقلية وكده. المقصود يعني، طلعت مع كومبلكس شوية، ولا أنا فرنساوي ولا أنا مصري أوي أوي، خواجاتي، وأصحابي كلهم من أوساط الـ Bourgeoisie alexandrine. كنا ساكنين في سانت كاترين، أبلة كان في باب الكراستة، جنب الجمرك – مش عارف جاية منين باب الكراستة دي – Et après on est venu à Sainte Catherine وبعدين رحنا الرمل جنب برج السيوف. C'est là-bas que j'ai passé la dernière partie de ma jeunesse, dans une grande ville.

لكن الميزة بتاعت التعليم الفرنساوي كنت مولع جداً أولاً بالثقافة والقراءة، كنت

كل يوم أقرأ في قاموس لاروس بعد ما آكل وبتاع، لازم لي نقرا صفحة صفحتين، مش البحتري والحاجات دي. C'était une culture purement française ما أعرفش أطلّع بيتين شعر ولا حاجة زي ما كان بيتعلموها في المدارس، بحيث لما أشوف قراءة من المدارس المصرية، J'étais écrasé. Finalement je n'ai pas regretté parce que la culture française est difficile à acquérir si on ne commence pas dans sa jeunesse et pendant de longues années. يعني شوف اللي تعلموا فرنساوي في مدارس الحكومة، تَمَلّي الفرنساوي بتاعهم ملخلخ. Mais en français - grâce à Dieu - je faisais partie de l'Académie Française. كان فيه حاجة اسمها l'Académie Française في المدرسة، وكنت من الأوائل. J'étais bon en français, c'était ma langue.

Dans quelles matières étiez-vous meilleur ?

En tout, en tout. Je vais vous montrer mon carnet. Premier, premier.. علطول كده، J'étais premier de la classe، الدراسة كنت أحبها جداً جداً، يعني ليل نهار كان الواحد يشتغل كتير أوي، تَمَلّي عاوز اتعلم حاجات جديدة، يعني Faire des leçons par correspondance, dessin par correspondance، يعني حاجات تَمَلّي تكميلية عشان أتقدم. وفيه كان حاجة دلوقتي تستغرب لها، كان فيه نزعة نحو الطموح الكبير، Je veux devenir un grand homme, un grand savant، علشان كده عاوز الأول في المدرسة، وبعدين لما دخلنا الصيدلة عاوز نبقى الأول في الصيدلة، يعني L'idée de devenir le premier en tout, et la même chose quand je suis devenu religieux, parce que j'étais toujours très pieux, dès mon jeune âge, j'étais orthodoxe, mais enfin il n'y avait pas de différence ; maintenant je suis catholique parce que les frères étaient des catholiques. Et depuis les débuts j'étais tellement pieux que mes professeurs qui étaient des frères des écoles chrétiennes ont deviné une vocation religieuse, c'est à dire que j'étais destiné à être religieux، وكانوا ييجوا يزقّوا كده شوية : تعمل فرير، تعمل فرير، تخدم الرب وبتاع. Mais en même temps - parce que nous avons parlé de la conciliation

de la foi et la science، كان فكري Je veux devenir un grand savant ; grand savant، يعني حاجة كبيرة أوي، مش Prix Nobel لكن Grand savant، يعني تَمَلّي الأول، Et en même temps un grand religieux، بحيث إنك تورّي للناس إنه ممكن تعيش كعالِم وراهب في وئت واحد. Ça c'était l'idée prédominante. Et quand je sentais un appel du point de vue religieux pour entrer en religion، كان الرد بتاعي: لأ، بلاش نخش في الرهبنة، نتعلم كويس العلوم عشان نبقى ندّي الشهادة راجل عالم وراجل متدين. Ça c'était l'idée prédominante qui m'a empêché d'entrer en religion plus tôt، نقول لأ، ماتهربش من الحياة، لازم تتعلم وتبقى عالم كبير عشان تقدر تدافع عن الدين. وكنت أقرا كتب دينية Pour défendre la foi. دخلنا عند الفرير وكان فيه بقه أساتذة كويسين Qui m'ont encouragé dans la religion، وبعدين طيب نروح فين، قال لازم تعمل صيدلي. الصيدلي Ça comporte de faire une année de pratique سنة تقعد في صيدلية، تشتغل في صيدلية، سنة Pratique pharmaceutique.

عملنا سنة ووئتيها عندي وئت بقه أدرس فلسفة كنت وبدأت اشتغل في الفلسفة وأدرس علوم. وبعدين قلت العلوم، لازم تبقى Pharmacien ; pharmacien, la partie scientifique c'est la chimie. قلت نبقى أستاذ في الكيميا، وبدأت نعمل Laboratoire في البيت مع أخويا، ونعمل أدوية، ونشتري أدوية، وفكري أبقى كيماوي أخترع حاجات. رحنا بيروت برضه. دخلنا بيروت ليه ؟ عشان كانوا أخواتي تعليم فرنسي، ما يعرفوش يروحوا الجامعة المصرية، فبيروت كانت أقرب لهم، كان لسة بعد الحرب واليسوعيين عندهم المدرسة، فكانوا يشجعوا. الـ Recteur بتاع المدرسة كان يلف كده على العائلات ويقول لهم: عندكو أولاد عاوزين يتعلموا في بيروت، تعالوا، عندنا جامعة، الجامعة اليسوعية، فيها بقه كان Ingénieur, médecin, pharmacien, dentiste، وبيطلّعوا ناس كتير أوي في الشرق الأوسط. وكانوا أخواتي الأتنين الأطباء بيتعلموا هناك، كانوا هناك ليهم أربع خمس سنين. فلما في آخر حياتهم الجامعية، أخويا اللي قبلي وأنا رحنا سوا إلى بيروت. أخواتي اللي اشتغلوا بالأنتيكات درسوا كده عملياً. كان عندنا أخوال، Des oncles qui avaient un grand magasin d'antiquités كانوا مش

أثرياء، كانوا يشتغلوا بتجارة الآثار وأخدوهم معاهم. أخواتي بالترتيب بالسن كانوا: أنطوان الكبير أوي، والتاني إدوار. شوف بقه الأسامي مش سمير ولا .. !! أنطوان، إدوار، ألكساندر، إميل، ألفريد، وانا چورچ، وأختي اللي بعدي كاترين، وواحدة تانية اسمها لوريس. La plus jeune c'est Laurice, alors moi j'étais avant les deux sœurs، وكنا أصحاب أوي مع اخواتي، وكانوا يحنّوا عليّ، ولما عرفوا إن انا عاوز أعمل كاتوليك شجعوني وكل حاجة، وكانوا يتفاهموا لأن كانوا في مدارس راهبات. Ils sont tous rentrés chez le Seigneur، الكبار الوالد والوالدة، و Successivement l'aîné, l'aîné لغاية لما في الآخر من سنتين تلاتة أخويا اللي قبلي كمان. Ma sœur qui est restée la dernière, c'est celle qui m'a précédé auprès du Seigneur, qui s'appelait Laurice qui était très gentille. Elle est morte d'un cancer je crois. Elle avait épousé un syrien de nationalité anglaise qui s'appelait Khouri Haddad, une famille de grands commerçants.

وأيام الحرب اضطرّوا يسافروا، وراحوا من انجلترا على بيروت، وبعدين هاجروا راحوا À côté de Londres، وكنت أفوت عليهم. Alors ma sœur était extrêmement gentille, cultivée, très bonne, et nous étions beaucoup unis de cœur، يعني وأصحاب أوي. J'étais parti tout seul à Beyrouth, sans mes parents, pour rejoindre mes frères، لكن كان كل ديني هو العلم. طول النهار دراسة ومعمل. كان أنا وأخويا عندنا معمل كيماوي، Avant l'université, nous avions déjà notre laboratoire à Alexandrie. الأستاذ بتاع الجامعة بتاعنا جه عشان يشوف المعمل بتاعنا في اسكندرية.

À part l'étude, qu'est-ce qui vous a intéressé le plus ?

Le foot-ball ! .. أسسنا نادي بتاع الجامعة، وكنا نلعب في المدارس. كانت نوع من الهواية يعني. C'était l'âge de seize, dix-sept ans. Trois ans à Beyrouth d'enseignement, avec un an de pratique de pharmacie auparavant dans une pharmacie، كانت في السبع بنات، في المنشية.

غير الفوت بول ؟

طول النهار دراسة و Laboratoire. En ce temps-là je cherchais beaucoup à étudier, à lire tout ce qui était intéressant en philosophie ; il y avait un cercle philosophique ; je m'intéressais beaucoup à l'histoire, et toujours cette idée de servir la religion ; devenir plus savant pour mieux porter témoignage ، يعني كل ما تكون مثقف، كل ما الشهادة بتاعتك تبقى كويسة. لأن لما ما تعرفش حاجة وتبقى جاهل، الشهادة مالهاش قيمة.

Aviez-vous des contacts avec l'art, la musique ?

L'art un peu. Nous avions un cercle chez les frères, cercle des anciens, dans une école à Beyrouth, et on donnait des conférences, des concerts, j'assistais à quelques séances, mais la partie la plus importante, c'était tous les jeudis et les dimanches une partie de foot-ball. Il y avait des matchs.

كنت شامبيون، يعني كنت باعمل جونات كويسين أوي. ونسافر بقه مع فريق بيروت.

Est-ce que à cette époque-là, étudiant la pharmacie, vous vous intéressiez à la philosophie ?

عشان الفلسفة . La philosophie, c'était déjà dès mon enseignement secondaire راح تجيب لي العلم. Alors je lisais des livres, je me faisais prêter des bouquins, toujours en français ، العربي بتاعي كان ضعيف شوية.. Après trois ans à Beyrouth j'ai mon diplôme. Qu'est-ce que vous allez faire ? J'étais alors très amoureux de la chimie, j'ai dit à mes parents, écoutez, je veux me spécialiser encore plus ، قالوا راح تعمل إيه ؟ قلت لهم : À l'école de Chimie Industrielle à l'Université de Lyon. J'ai fait deux ans à Lyon en surplus de ma formation, et j'ai eu le diplôme d'ingénieur chimiste ; juste après la pharmacie.

اختيار المقدور

لما كُنت بقه في ليون وقلت أنا كاتوليك وأهلي مش عارفين، راح يبقى وجع دماغ. خَلّيني في فرنسا أشوف لي شُغلة هناك. Je m'étais converti à l'âge de seize ans, à l'école en Égypte, mais je pratiquais d'une façon secrète pour ne pas déranger mon père qui était membre de la communauté orthodoxe، وكان تبقى فضيحة لما اعمل كاتوليك. أخواتي كانوا متفقين معايا، لكن Restant orthodoxes, parce que pour la fille c'est plus compliqué ensuite pour leur mariage, il était très fervent de cœur، فالمسألة، قلت: لأ ماتسيبهاش، لازم ترجع مصر. رجعنا مصر بعد الكيميا. تعمل إيه، تعمل إيه؟ تشتغل موظف في معمل كبير عشان تعمل كيميا؟ ماكانش مفروض. Deux frères médecins, il fallait une pharmacie à côté, ça c'était le schéma classique، فكان عندنا أجزخانة في القباري و Il y avait une clinique, mes frères médecins venaient pratiquer, et moi je tenais la pharmacie. Il y avait un laboratoire aussi que nous avons fondé à la maison, et on faisait des analyses de laboratoire, surtout cliniques, et moi, chimiques, mais toujours alors il y avait cette idée la chimie, la chimie, devenir un grand savant, un grand savant، يعني حنقعد نبيع صابون ومش عارف إيه؟ في الصيدلة Ce n'est pas ça qui va me mener à la science. Et puis alors, dès ce moment de nouveau la question de l'appel de Dieu pour une vie religieuse، تسيب الدنيا، Si vous voulez être parfait, quittez tout et suivez-moi.

نعمل إيه؟ حانروح إزاي؟ والدي مش راح يقبل، Alors j'ai lutté pendant des années, et c'est là où ma sœur m'a aidé, encouragé, même mes amis orthodoxes m'ont vu un peu malheureux dans ma vie, je n'étais pas bien dans ma peau. Ils m'ont dit : « Il faut que tu te fasses religieux » ... fasses religieux ?!، طيب تروح فين؟ ما انا ما كُنتش دارس لاتيني. اللي كنت نعرفهم، C'étaient les frères des écoles chrétiennes, les

Franciscains et les Jésuites qui étaient à Beyrouth. Alors ce qui paraissaît le plus plausible, le plus haut d'une certaine manière c'étaient les Jésuites ; ils avaient des universités. Alors je me dis, je rentrerai chez les Jésuites.

لما رجعت هنا رُحت شُفت قسيس يسوعي، Religieux, qui était historien, un homme très cultivé. Je lui ai parlé de ma situation, il dit : bon ! nous allons voir, examiner. Et j'ai commencé à prendre des leçons de latin avec lui. Tout était très encourageant، وماشيين كويس، وبعد خمس ست اشهر قلنا بقه المسألة جد ولازم نسيب، L'heure de la vérité était arrivée. De temps en temps je parlais à ma mère que je veux me faire religieux : « Tu vas me quitter, tu vas me tuer ! » ياستي اسمعي ! وكنت عشان نسليها، نلعب طاولة معاها.

Avec mon père il n'en était pas question, il était très très sévère. Mes parents étaient les deux très pratiquants. Et quand ils venaient en France, ils pratiquaient chez les catholiques. Ils n'étaient pas du tout fanatiques. Ils allaient là où ils pouvaient trouver une messe. Alors un jour j'ai dit comme ça, je veux me faire religieux. Mon père a éclaté : « Religieux !! بلاش كلام فارغ، تقعد هنا si tu veux convertir des gens, tu as déjà ta famille, tes cousins et tes cousines, commence par là. Pourquoi veux-tu te faire religieux ? Tu as étudié tout ça pour aller t'enterrer dans un couvent ? » Et ma mère me faisait des scènes. C'était en 1928/1929.

المقصود ، La partie était difficile. On est impressionné de voir sa mère pleurer، وتقول لك حتموتني ومش حتموتني.. حتموتني إيه ؟ Et j'ai demandé à mon confesseur ، يعني إذا رحت أنا ووالدتي توفت ؟!! قالي : Mon cher ami, la mort est entre les mains de Dieu ! ، ده يبقه نوع من التهديد ده. المقصود .. À ce temps-là est passé au Caire un prêtre Dominicain - français - qui était carré, solide, il était très brillant, connaissait le Russe, il avait été en Russie et avait fondé un centre pour l'étude avec les Russes, très bon parleur. Il était de passage au Caire, connaissait mes ennuis, il m'a dit : Si je peux un peu vous aider, je suis prêt à venir voir la famille. Parce que ma

Ils m'ont . « مين ده اللي أكل مـخك ؟ هاتُه هنا عـشـان نكلّمـه » : mère me disait emmené, et ils l'ont invité à prendre le thé chez nous. Alors mon père et ma mère se sont Parce qu'ils étaient très ، وحضّروا نفسهم كويس عشان يستقبلوه ، mis en quatre : ووالدتي تقول له ، gentils. Il était venu : « Alors mon Père qu'est-ce qui se passe ? » Dites-lui mon Père, parlez-lui, il veut nous quitter, il faut qu'il reste avec nous. Il n'a pas Vraiment le !! والدتي إتخضت ، perdu la face et dit : Et si le Seigneur l'appelle ? . Seigneur l'appelle ? Il dit : D'après tout ce qui paraît, il semble très bien que ce soit vrai

- Mais il peut servir l'Église et Dieu en restant dans le monde...

- Oui, mais il y a une mission plus importante pour travailler, donner toute sa vie au travail religieux.

من وقتيها اتغيرت الأمور.

Alors à ce moment ma mère me demandait : Qu'est-ce qu'il te faut comme habit pour te préparer ? Et mon père commençait un peu à tourner tout ça dans sa tête.

C'était alors la cause du choix de l'ordre Dominicain ?

Oui, j'avais déjà vu un Père Dominicain ici, à Alexandrie, j'avais assisté à sa retraite. Je me suis dit : C'est exactement ce qu'il me faut, la vie Dominicaine, c'est une vie de travail intellectuel, une vie contemplative, une vie d'étude.

Le départ. Mon père, le jour de mon départ, se tenait toujours بس، وبدأنا نحضّر très solidement, il ne voulait pas montrer son émotion. Il me dit : « Je reste ton père », Et tu vas ، قالّي : حاتروح . parce qu'il avait une idée très vague de la vie religieuse Je reste ، حايقفلوا عليك ومش حاتقدر تكتب ولا حاجة .. tomber dans une prison !! ton père. Si jamais tu as des difficultés ou des ennuis, envoie moi un télégramme, je . viendrai moi-même te chercher. C'est formidable !

Alors le jour du départ toute la famille sauf mon père - il est resté à la maison - ma mère et tous mes frères et sœurs sont venus. On voyageait par bateau autrefois. Alors j'ai pris

le bateau pour entrer au noviciat, à l'aventure, au sud de la France, à côté de Grenoble, Coublevie, pour faire un an de noviciat. C'était une vie nouvelle d'entrer dans une communauté de jeunes. Vous allez apprendre un peu de l'histoire de l'ordre, de l'histoire de l'Église. ويجربوك، بيشوفوا طبعك وحش، شرس، إذا كان طبعك وحش يقولولك : من فضلك تتفضل بره، ماتنفعش. Si vous vous adaptez etc., au bout d'un an, vous « faites profession », la profession simple, c'est-à-dire une profession pour trois ans seulement. Si vous n'êtes pas content après trois ans, vous quittez ; si eux ne sont pas contents de vous, ils vous disent : Allez, au revoir. Et après trois ans j'étais comme un poisson dans l'eau, j'étais très heureux. Si on peut consacrer toute sa vie à prier, à travailler, à étudier, c'était mon idéal. فكنت في غاية السعادة. Après trois ans on fait une retraite avant de faire la profession solennelle : trois ans, et puis après c'est pour la vie. Le Père maître m'a dit : « Alors, est-ce que vous êtes toujours décidé à vous faire religieux ? » ، قلت له : أنا تركت أهلي وكل حاجة، Qu'est-ce que c'est hésiter ? je n'hésite pas une seconde, je suis sûr de ma vocation. بس، ودخلنا بقه، Et j'ai continué mes études de philosophie et de théologie, non à Grenoble même, mais dans le nord de la France dans le meilleur studentat des Dominicains, dans la province de Paris. Alors, quand j'ai vu le père maître, celui qui me dirige، قال لي : « Pourquoi êtes-vous rentré dans l'ordre et qu'est-ce qui vous a attiré ? » ، قلت له ع الديالوج من وتتيها، شوف بقى لها تلاتين اربعين سنة، Je veux faire le dialogue avec l'Islam puisque je viens d'un pays musulman. C'était déjà décidé. J'avais lu Massignon en 1932/1933. Alors je me suis dit que pour dialoguer avec l'Islam, il fallait connaître sa religion, de façon profonde ، مش كده على قشور. كنت عايش على مقالات الجرايد، Mais ce n'était pas sérieux. Si on veut connaître l'Islam, il faut aller à l'Azhar et faire toutes les études complètes. Alors il m'a dit : « C'est une très bonne vocation. Maintenant on s'intéresse à st. Thomas, mais mon cher ami, vos amis musulmans vont s'intéresser aussi à st. Thomas, ils vont vous dire, st. Thomas a tout pris d'al-Ghazali et d'Averroès, qu'est-ce que vous allez

répondre ? Il faut que vous connaissiez al-Ghazali et les autres. Et d'une façon honnête ». Je lui dis que je voudrais entrer à l'université et discuter avec mes compatriotes d'une façon claire, honnête et scientifique et, comme ça, travailler à la compréhension. Ce n'était pas pour la conversion, parce que la conversion paraissait tellement lointaine - convertir un musulman, ce n'est pas une petite affaire - mais pour la compréhension mutuelle. C'est énorme. Il faut que les chrétiens comprennent ce que c'est que l'Islam, quelles sont les valeurs de l'Islam, et que les musulmans connaissent les valeurs du Christianisme. J'ai donc commencé comme ça. Il m'a dit : « C'est très bien, c'est tout à fait dans l'esprit de l'Ordre. Commencez à bien étudier d'abord votre théologie chrétienne. Il faut pas combiner les deux, sinon vous allez n'en faire aucune très bien »، أدرس كويس الأول الدين المسيحي – عميق – والفلسفة والتاريخ وكل حاجة، وبعدين تبقى تتخصص في الفلسفة. Mais déjà donc, dès mon entrée, j'étais destiné aux études arabes et musulmanes. Au début, c'était à Coublevie, à côté de Grenoble, dans un couvent Dominicain, mais après j'ai choisi d'aller dans la province de Paris, au Saulchoir d'Étiolles, qui était plus intellectuel, où il y avait des professeurs plus éminents. Au Saulchoir d'Étiolles, j'ai connu de grands professeurs, et là aussi j'étais parmi les premiers, tout le monde m'a poussé, et il était visible que le Seigneur me poussait dans cette ligne, sans aucune hésitation .. إن راح نرجع لورا. مافيش كانت حاجة زي كده ابداً. J'ai alors connu Massignon à cette époque, et Mary Kahil aussi est passée une fois nous voir au couvent, une épopée aussi، دي حكاية دي نبقى نحكيلك عنها.

En 1939, avec la guerre, où est-ce que j'allais me spécialiser ? J'avais été ordonné en 1939 et j'étais venu voir mes parents à Alexandrie, et la guerre a alors éclaté. Pour rentrer de nouveau en France ça n'a pas été facile. Les bateaux ne fonctionnaient pas. Il y avait au Caire le Père Jaussen qui connaissait l'ambassadeur de France qui m'a trouvé une place sur un bateau de guerre pour rentrer à Marseille. C'était en septembre 1939.

J'ai continué encore un an au Saulchoir à côté de Paris, et encore une autre année à côté de Grenoble, de façon à terminer toutes mes études théologiques. Pour me spécialiser il fallait alors maintenant faire des études islamiques sérieuses. Où est-ce que je pouvais aller ? Paris était occupé par les Allemands. J'ai dit que le mieux était d'aller à Alger où nous avions un couvent, c'était en zone libre, je pouvais faire mes études à la Faculté d'Alger, où j'ai obtenu ma licence d'arabe. Là j'ai connu Léon Gauthier, Georges Marçais, l'historien de l'art, j'ai vu aussi William Marçais. Blachère, je l'ai vu après tous les autres, parce qu'il ne venait pas à Alger. J'ai vu aussi Lévi-Provençal. J'ai donc obtenu ma licence d'arabe, c'était en 1942, 1943, 1944.

Y avait-il des professeurs arabes qui enseignaient l'arabe à l'époque ?

Très peu. Des algériens، *مازحاً وهو يقلد اللهجة الجزائرية* : كرازتني الأوتوموبيل ولاصوني مـورصـوهات مـورصـوهات !! Non. Mais il y avait Mr. Canard, qui était un italianisant qui enseignait l'arabe, il connaissait bien sa grammaire, mais c'était tout. Il y avait aussi Mr. Pérez. Je suis resté trois ans en Algérie. J'ai assisté au débarquement en 1942. J'ai fait alors à Alger la connaissance de Mr. Louis Gardet، بعـد ذلك عـدت إلى القاهرة في أغسطس ١٩٤٤، من الجزائر إلى القاهرة مباشرة، ولم يوجد في الدير هنا إلا الأب بولانچيـه، وهو رئيس الدير وخطيب عظيم، شـاطر، وراجل روحـاني، وكـان Aumônier des étudiants، في لوزان في سويسرا، وفي بوردو، ومتحمس جداً للشباب، ولما حاولوا جماعة من الشباب، علمهم الفلسفة التوماوية، وصاروا يدوا محاضرات في نادي سموه النادي التوماوي Le Cercle Thomiste.

ارتياد الجسور

في القاهرة، كل يوم خميس كان يبقى فيه محاضرة يحضرها الطلبة نفسهم لأنهم عادة كانوا ناس لسه بيشتغلوا برضه، مش طلبة، زيادة عن طلبة، يعني مهندسين أو أفوكاتية، ويدوا محاضرة هم يحضَّروها والأب يراجعها، أو يعزموا ناس يعملوا محاضرات.

كان في واحد اسمه يوسف كرم. هو أصله لبناني، لكن مولود في مصر. إدّى سلسلة من المحاضرات في الفلسفة، يتكلم عن إخوان الصفا وعن المدينة الفاضلة وعن كانط Kant، وكان فيلسوف العصر يعني. وكان له كتاب تذكاري عنه، فيه محاضراته اللي كانت تُعطى في الـ Cercle Thomiste، محاضرات قيمة كانت تُعطى باللغة الفرنسية وترجمناها باللغة العربية، وعن حياته ومقالات عنه. وكان عندنا مجلة صغيرة اسمها Les Cahiers du Cercle Thomiste جَمَعِت هذه المحاضرات الفرنسية. والمجلس الأعلى للثقافة والفلسفة خصص كتاب تذكاري ليوسف كرم، وكتبنا عن حياته ونشرنا مؤثراته، منهم المحاضرات اللي ألقت في الـ Cercle Thomiste وتُرجمت إلى العربية.

وزي ما قلت سابقاً كان الأستاذ يوسف كرم حقيقة فيلسوف الجيل، لأنه منه خرج أبو ريدة ويوسف مراد وعثمان أمين وغيره وغيره. وكان راجل كانوا يشبهوه بسقراط، كان يتكلم بهدوء، ويقول الشيء كما هو، ويحلل الأشياء بكل اطمئنان، ونشر التعليم بتاعه في تلات كتب معروفين، وللأسف لا توجد الآن في السوق. لكن هي: «المدخل إلى الفلسفة اليونانية» – إذا كان عاوز تدرس فلسفة يونانية، كمدخل، مافيش أحسن من الكتاب ده، ثم كتاب في «العقل والوجود» وهو كتاب تحت علم النفس، ثم كتاب في «الطبيعة»، وكل هذه الكتب تمثل التعليم الأرسطي الأصيل مع ما أضاف إليه الأستاذ يوسف من توما الأكويني. كان يدرس في الأسكندرية وبعدين درس في مصر، فاتصلت بيه، وكان متصل كمان في الأسكندرية بالأب چوسان اللي أسس الدير ده. وكان الأب چوسان راعي لمدرسة راهبات في الرمل وكان كوّن في الأسكندرية برضه نواة نادي توماي. وكان فيه الأستاذ شلالة. وهناك درَسوا الفلسفة الإسلامية، ترجموا كتاب المدينة الفاضلة للفارابي، وعملوا

قاموس عربي/فرنسي عن الفلسفة. كانو بيشتغلوا جد يعني.

هل كانت الحركة مزدهرة أكثر في الإسكندرية أو في القاهرة ؟

كانت دي طلعت في الاسكندرية، وبعدين لما نقل إلى القاهرة أسس هنا ندوة للفلسفة الإسلامية أيضاً عن التصوف، وكل المحاضرات دي تجدها في الكتاب التذكاري اللي خصصه الأستاذ عاطف العراقي.

ده يديلك فكرة عن الجو اللي عشت فيه يعني. يوسف كرم دارس الفلسفة في فرنسا، في L'Institut Catholique واخد الدكتوراه هناك، ممتاز خالص، وعمل رسالة عن ديكارت، فكان متعمق جداً في الفلسفة التوماوية. وفضلت باتصال عميق معاه. أنا كنت لسه في الإسكندرية، كنت لسه ما دخلتش الدير، فزي ماقلت لكم وجدت في مجلة «السياسة الأسبوعية» وهي كانت مجلة عقلانية للحزب السياسي بتاع محمد محمود، حزب الأحرار الدستوريين. كان فيه مجلة ثقافية عندهم، جيدة جداً، ولئيت فيها «ما وراء الطبيعة».. الله، قلت إيه ما وراء الطبيعة ده ؟ يعني ميتافيزيقا، أريت المقالة لئيتها أرسطية توماوية مية في المية. قلت ده اللي انا عاوزه. رحت مترجمها إلى الفرنساوي وبَعَتّها له، ليوسف كرم. عرفت هو فين، عنوانه كان في مصر، وقلت له ده ابتداء دخولي في الفلسفة، حَبّيت اتعلم مصطلحات فلسفية، أرجوك أن تسامحني وتصلح لي. فَردّ على وقال لي: يا سلام، الابتداء ده جيد جداً، ونهنيك ولازم تِكَمّل، وإن شاء الله لما تيجي مصر أشوفك. ورحت له مصر. وبعدين تقابلنا بقه مراراً وكانت لقاءات جيدة جداً وكان صديق رفيق. كان أستاذ في جامعة الاسكندرية أولاً وبعدين في جامعة القاهرة.

هل كان من الآباء ؟

لأ، كان عازب لأن أخته فقدت زوجها وهو تولّى الأطفال.

هل هو من جيل عبد الرحمن بدوي ؟

أستاذه وأستاذ الكبار. وبعدين، قعدت أكلمه، قلت له أنا حاسس فيَّ دعوة أن أدرس الفلسفة وأتخصص، أخش في السلك الديني. قعدنا نتكلم، تخش فين ؟ تخش فين ؟ قلت له نخش عند الدومينيكان ؟ قال لي : أيوه دول كويسين. وراح كتب لماريتان وقال له: أنا عندي صديق مهتم بالفلسفة وعاوز يخش وتأثر بيك أوي. قام ماريتان رد لي : « Des témoignages comme le vôtre, sont très consolants pour moi, je vous félicite, bon courage ». ومش عارف إيه، بس. من وئتيها بقه قررت أني أخش عند الدومينيكان. هنا كان فيه دير دومينيكان في القاهرة، كان الدير ده موجود، لكن أنا كنت في الأسكندرية مع أهلي. كنت رجعت من دراسة الصيدلة والكيمياء. قعدنا نتراسل وقابلت ناس هِناهُه، دومينيكان برضه، شجعوني، منهم واحد كان قدير جداً، خطيب، اسمه Père Omez، كان أسس مركز للحوار مع الشيوعيين، وكان راح روسيا، راجل خطير، أنا حكيت لكم.. أفتكر حكيت لكم القصة دي. قابلته هنا وحكيت له الحكاية. قال لي: لا، لا، ده كويس، خليك شجاع وبتاع. إذا كان أقدر أساعدك نقابل أهلك ونقنعهم، أنا ماقولش لأ. قلت له: طيب. لأن والدتي كانت تقول لي : مين القسيس ده اللي أكل مخك ؟ دير إيه وبتاع إيه ؟ هاته هنا، هاته عشان نكلمه. وأخدنا ميعاد ييجي ياخد شاي. والدي كان رجل تقي، بيروح الكنيسة، أورثوذكسي يعني كان لما يروح فرنسا مافيش كنايس أورثوذوكس، يروح الكنايس الكاتوليك، ولما يروح روما يشوف البابا، يعني راجل متسامح. بس يقول لك: أورثوذوكس أورثوذوكس، كاتوليك كاتوليك... فقعدنا نتكلم. فهم يقولوا له: كَلِمُه، كَلمُه ! إقنعه أنه ما يروحش.

– أنا أقنعه ؟ إذا كان المسيح بينده له.

والدتي قالت: المسيح ؟ هو المسيح اللي بيندَهُه ؟

– الله ، أمال مين ؟ ماهو ده آعد هنا مبسوط وكل حاجة، وعاوز يسيب كل حاجة ويروح، يبقى مين اللي نادااله ؟

– يعني مصدق إنه المسيح ؟

- أمال، ميّة في الميّة.
- مسكين، لكن لما راح يعيا بعدين حيعمل إيه ؟
- فهو التاني على طَرِيْته الغربية: إذا كان يعيا نوديه المستشفى !! وبعدين هو راجل كان سمين وقوي أوي: إنتي شايفاني أنا تعبان ؟ مافيش حاجة. لا، ماتخافيش أبداً. إحنا مهتمين أوي بالرهبان.

من وئتيها بَدَإت تحضر لي الهدوم وبتاع. وانتهت المسألة. فأخدنا الميعاد عشان السفر. العادة زمان كنا نسافر ع البواخر عشان فرنسا وإيطاليا، من اسكندرية. وييجوا الأهل كلهم بقه يطلعوا على الباخرة. فكل أهلي جُم ووالدتي، إلا والدي، والدي فِضل في البيت. إنما قد كده إنه كان منفعل كتير: شوف ياچورچ، إنت إبني، إنت حتسافر دلوئتي، وأنا خلّيتك تسافر، لكن ماتنساش إنه إنت إبني، إذا كان عاوز أي حاجة، إذا كان فيه صعوبة هناك تبعت لي تلغراف، أنا نَفسي آجي آخدك !! C'est très beau، قلت له: لا إن شاء الله تطَمِّن.

وسافرنا ورُحنا الدير في فرنسا. وبعدين والدي اللي كان مُفتَخر بي أكتر من كل أخواتي. أخد صورة معايا أنا في الدير، كان جالي بعدين واتصورنا، ولو كان ممنوع الواحد يتصور قبل إنتهاء التعليم.. !! وبعدين يحطّها في جيبه وكل ما يشوف واحد يقول له: ده إبني، دومينيكاني ! وبعدين راح هناك الدير وشاف الـ Consécra-tion, il était très fier.

ومن وئتيها لما يكون فيه صعوبات حد مع الأهل.. تملّي بنقول للي عاوز يخش الدير: ما تخافش، م الأول كدَهُه، انت اللي حاتبقى الشخص اللي تبقى أقرب لأهلك لما هاتكون في الدير، لأن انت أولاً هاتصلّي لهم من الصبح للضهر، وهاتكتب لهم وراح تشوفهم وراح تسأل عنهم.. إخواتك التانيين ح يتجّوزوا وكل واحد ياخد ناحية. ووالدي اقتنع بهذا وصار الدومينيكان دول حاططهم في السما !! بس مسكين مرة جه يشوفني وكان في L'ordination, c'est une grande manifestation، ويبقى فيه ناس كتير والأهل، وكله جه يشوفني في السولشوار. وقبلها بليلة جاءت له كريزة بالليل، وأختي كانت مع والدتي، وطلبوا طبيب، وجه عمل له إبرة. لازم الإبرة كانت

وسخة وللا إيه، عملت خُرّاج. وديناه المستشفى وبعد يومين تلاتة الراجل قال له: لازم نقطع رجلك !! فكانت خَضّة. كانت حاجة تحزّن. المقصود، كانوا الآباء حنوا عليه وشاف إن الحياة Humaine، ومن وقتيها أصبحنا أصحاب خالص. دي في المدة لما وصلت فرنسا.

ولما وصلت ورُحت شُفت مدير الآباء، قاللي: إنت دخلت الدير ليه ؟ عاوز تعمل ايه ؟ قلت له عشان الحوار المسيحي الإسلامي. شوف من وقتيها سنة ٣٢. قلت له: دلوقتي الإسلام بيتقدموا وبيدرسوا وبيعرفوا أصول الشيء، بكرة حاييجوا يقولوا لكم: إنتو كل حياتكم العقلية جاية من ابن رشد، حاتقولوا لهم إيه ؟ تردوا عليهم بكلام بس كده ؟ لازم تشوفوا، تقارنوا. قلت له: أنا قصدي أحب أروح أتعمق في الفلسفة الإسلامية، وأخش في الجامعة الحكومية ومع الأساتذة نتحاور، يبقى فيه حوار. شوف الكلام ده من سنة ١٩٣٢. قال لي: ده أفكارك عظيمة جداً، وده شغل الدومينيكان من وقت ما أسِسوا وأحنا نشجعك على كل حال. إنما دلوقتي انت قَوّي نفسك بالدراسات اللاهوتية وبعدين ربنا يسهل. ومن وقتيها كنت برضه باتصل بيوسف كرم. بَعَت لي الشهرستاني وبعت لي كتب عربية، الغزالي، تترجمها عشان تتمرن. وبعدين شُفت الـ Père Chenu. ما سمعتوش عنه ؟ اللي كان رئيس التعليم في Le Saulchoir، وراجل مثقف جداً ويعرف في القرون الوسطى. فقال لي: إحنا من زمان قاعدين نفتش على ناس يعرفوا عربي، إنت جيت وقت الطلب، شد حيلك ياللا، ولما تخلص دراساتك اللاهوتية نبعتك تتخصص ونشوفلك اتنين تلاتة كمان يشتغلوا معاك. فكان: ولقى Père Jomier, père de Beaurecueil. إحنا التلاتة اللي جِينا في الفوج الأول، أنا جيت ١٩٤٤ وهُمة جُم ١٩٤٥ عشان نؤسس معهد الدراسات الشرقية في القاهرة، وسَميناه كده Ideo : Institut Dominicain d'Études Orientales اللي هو ده. وعلي فكرة من شهرين لما كنت في باريس عملنا اجتماع مع ناس مختارين ولَمّينا كده عشرين تلاتين واحد في مجموعة رسمية مُعترف بيها من الحكومة، اسمها « Les amis de l'Ideo ».

هل الحوار المسيحي الإسلامي كان فكرة تأسيس المعهد من البداية ؟

الأول خالص كان فيه دير بس، والـ Ideo كانت بس إسمية. كانوا فيه أنا، و Père Boulanger. père Jomier et père de Beaurecueil جُم بعدين، وقلنا ده، راح نعمله معهد . وبعد تلات أربع سنين الـ Provincial a institué un institut d'études orientales au Caire.

هل كان فيه دراسة ؟

كان يُعطَى فيها محاضرات عامة وكانت تبقى الغرفة مليانة وكان تحت فيه غرف كبيرة، وكانوا فيه ناس مهمين، أساتذة من فرنسا بييجوا، دْريوتون Drioton وغيره، بس ما كانتش لها هيئة رسمية. وكنا ننشر Les Cahiers du Cercle Thomiste، وموجود منها هنا عَشَر أجزاء، إذا كان تبقى عاوز تشوفها. فيه منها مقالة غريبة راح تبقى تعجبك.

لما رُحت أول مرة في الصحراء أبيض سيدي الشيخ، مَطْرَح ما في Les Petits Frères de Jésus، فأول مرة رُحْت على الصحراء هناك، قعدت شهر هناك، وكانت صلة كويسة أوي. فتأسس بعد ست سبع سنين هنا مع De Beaurecueil, Jomier والعبد الفقير، وبعدين جه Boilot, Monnot واتلمينا وكنا كده عشرة تقريبا سوا، وبعدها ناس من بره جُم وسـابوا. Et jusqu'à maintenant c'est l'Ideo qui est l'Institut Dominicain d'Études Orientales à l'intérieur du couvent des Dominicains. Le couvent, c'est une chose religieuse. L'Institut c'est l'activité scientifique des Dominicains : Islamologie en général, culture religieuse du Moyen-Âge, al-Ghazali, st. Thomas, Avicenne, des choses intellectuelles.

فكرة الحوار الإسلامي/المسيحي كانت لسه مش باينة. أنا لما جيت كان فكري إنه عاوزين نعمل الحوار، وكان فيه أبونا چوسان، هو فكره من زمان عاوز يتحاور. هو يعرف كان شوية عربي، وترجم «المدينة الفاضلة»، وكان بيشتغل مع تلاتة أربعة بيعرفوا عربي كويس. يعني كان فيه برضه الفكرة إنه يعملوا حوار. وهو بقه اللي

شجعني، قاللي : إنت لازم تدرس تمام المنطق عشـان تأثيره في الإسـلام كبيـر جداً، وجاب لي كتب وبتاع، وكان عنده مكتبة لا بأس بها. يُعتبر هو المؤسس بتاع الدير.

هل جاء الاهتمام بالإسلاميات مجرد صدفة ؟ أم كانت له دواعي عامة في ذلك الوقت ؟

كان فيه جَو، لأنه ماسينيون، أنا تأثرت بيه جداً، وكنت أقرأ ماريتان. Maritain est philosophe de la culture فكان يقــول لك : Il faut ouvrir le christianisme au monde. Comme st. Thomas a assumé Aristote, il faut assumer Mohammad. Et pour cela, il ne faut pas le faire dans un but apologétique, il faut le faire dans un but d'ouverture à la culture. La culture musulmane existe en elle-même. Je n'étudie pas la culture musulmane pour la détruire. Pourquoi voulez-vous la détruire ? C'est une chose belle par elle-même. Alors il faut faire valoir les choses belles dans tout ce qu'il y a en l'autre, que ce soit chinois, taoïste ou autre. Vous faites valoir les vraies valeurs qui sont dans tous les hommes, c'est ça l'esprit de st. Thomas. Le sens d'assumer c'est d'accepter les valeurs qui se trouvent dans les autres, dans n'importe quel domaine, l'art chinois, l'art musulman... Alors la culture musulmane ouvre un champ extraordinaire pour le dialogue. Les musulmans ont besoin de nous, et les chrétiens ont besoin des musulmans, parce que les deux cultures se sont entremêlées. Vous ne pouvez pas comprendre l'art gothique ou l'art en Europe sans comprendre l'art musulman. Quand vous entrez dans certaines cathédrales, vous trouvez des mots coraniques sur des éléments chrétiens. Et puis la même chose pour les musulmans, pendant quatre ou cinq siècles en Espagne. Pour le dialogue, je distingue trois domaines très différents : le domaine religieux dogmatique : le ciel, l'enfer, l'éternité. كل الحـاجـات الدينيـة المحض. في الحـاجـات المحـض دي Il y a des différences qu'on ne peut pas transgresser, elles sont très profondes ; encore que si on étudie bien on trouve qu'il y a beaucoup de rapprochements. Mais enfin c'est un domaine réservé exclusivement à ceux qui

connaissent bien la théologie chrétienne et la théologie musulmane . مـاتقـدرش تاخـد راجل من الشـارع، يقول لك: أنا مـا أعرفش غيـر كـلام القرآن وبس. لكن لما واحد متعلم زي سيادتك، واحد أستاذ في الأزهر، إذا كان عنده دكتوراه من لندن أو من باريس، نحاول نتحاور معاه، نحاول نساعده، إذا كان هو يعمل عمل على توماس الأكويني مثلا والغزالي، حنقول له تعالى، أنا عندي توماس الأكويني هنا، ها أديلك كل المراجع والمصادر وأترجم لك النصوص اللاتينية إذا كان عاوز، راح يبقى بحثك بحث قَيِم.

مرة جالي واحد تركي عاوز يعمل بحث عن الملائكة في المسيحية. قُلت له اتفضل ياسيدي. بنديلهم المصادر علشان يَخدوها، وهُمة يقولوا اللي يقولوه بقه حسب المصادر. إذا كان عندهم روح علمية حيقولوا إن إحنا بنقول كده، إنتو بتقولوا كده، وبس. إنما ما تقولولناش إحنا بنقول خرافات. فدي يتاخد ويت. لأنه بيبقوا في الأول مستغربين، ليه كل الكتب دي ؟ قُلت له : ياسيدي إحنا عاوزين ندرس الشيء على حسب أصوله زي ما هي تكون معروفة. مش نِبَكّش. زي إنتو بقه لما عاوزين تدرسوا المسيحية، من فضلكم تعالوا نديكم المصادر. مش أنا اللي ها أكلمك، خللي المصادر تتكلم . C'est pour ça que dans le fond de l'Islam, il y a la possibilité . العـالم الصـحيح مابيقوللكش لأ. وكتير كانوا بييجوا يسألوني : الله، بيقول إيه توماس الأكويني ؟ الله إيه في المسيحية ؟ مرة كان في واحد من مكة، نشر كتاب عن الصيام، كتاب كلاسيكي. وعاوز يعمل المقدمة. عاوز يعمل الصيام في اليهودية والصيام في المسيحية. قاللي تعالى ياخويا، إنت تعمل لنا عن الصيام في اليهودية والمسيحية. قُلت له طيب. موجود الكتاب عندي هنا. إديت له، إحنا بنقول كده وإنتو بتقولوا كده. Et tant qu'on n'arrivera pas à ce niveau de communication honnête, on ne fera pas de progrès هو الخوف من المتعصبين اللي مش عاوزين.

في فترة نشاط الـ Ideo هنا، ما كانش فيه من جانب المسلمين المثقفين أو رجال الدين الإسلامي إقبال على الحوار المباشر معكم ؟

طبعا، طبعاً. الشيخ محمد يوسف موسى كان أستاذ علم التفسير في الأزهر، وكان يترجم كتب من الفرنسية إلى العربية، فاستعان بي وكنا بنعمل سوا تصحيحات. ويسأل كل نقطة إنتو هنا بتقولوا إيه ؟ وهنا بتقولوا إيه ؟ بس. وغير الشيخ موسى كان فيه الشيخ محمد فتح الله بدران. كان بيعمل رسالة دكتوراه عن الشهرستاني. والشهرستاني بيتكلم عن المسيحيين والنساطرة. جه هنا عشان نساعده. قُلت له الشهرستاني بيقول كده، إنت لازم تروح تشوف هم المسيحيين بيقولوا إيه ؟ آدي الشغل اللي تقدر تعمله. فإديناله المصادر. المصادر مش مخَبِّية ولا حاجة.

عاوزين إنه المسلمين المتعلمين يشتغلوا حسب العلم بتاعهم، من غير Préjugés. يقول لك الإسلام هو الحق !! طيب، ده إيمانك. لكن دلوئتي إحنا بنشتغل في العلم، راح نسيب، إنت الإسلام هو الحق وأنا المسيحية هي الحق، وبعدين نشتغل، النصوص بتقول إيه ؟

غير الشيخ فتح الله بدران، هل كان في مسلمين آخرين إهتموا بالحوار المباشر ؟

كان عندنا الإخاء الديني. كان كل أسبوع. بس بقه زي ما قلنا، إحنا إنتهينا إلى إن الحوار ما نحاولش. ماهو قال لنا الشيخ الشعراوي مرة: كلمة حوار دي مش كويسة، حوار دي، لما الواحد يلعب كورة عاوز يوقع التاني !! الأحسن لقاء، لقاءات لتبادل الفكر.

قلت لنا إنه في الحوار فيه ثلاث مستويات، الأول مستوى العقيدة، والثاني ؟

وبعدين الحياة المدنية. إنتي عندكِ حقوق وأنا عندي حقوق، المنافع والعلاقات. دي كلها ممكن نتحاور فيها. إذا كان تيجي تقولي لي الدين بيقول لنا إن إحنا نقطع الإيد، نقول لك خَلّي بالك، زمان كُنتو تقطعوا الإيد مش دلوئتي. لأنه ماكانش فيه

سجون تحطوا الناس فيها. أو تقولوا ده ذمي. مافيش حاجة دلوئتي اسمها ذمي. في تطور، والمسلمين المتنورين بيقبَلوا ده. مش التجديد في العقيدة، لكن التجديد في قوانين الحياة المدنية. كانت أياميها كده، ودلوئتي الأيام صارت كده، إتغيرت العروف.. بس.

والمستوي الثالث ؟

الحضارة.

الحضارة دي ميّة في الميّة في إتفاق بين الإتنين، لأنه دي حاجة موضوعية. الجوامع، الآداب، الفلسفة، كل دي موجودة، بندرسها لنفسها، وبندرسها إذا كان في صِلة مع الآخرين. ابن رشد، بندرسه، هل أثّر على توماس الأكويني، نشوف إذا كان توماس الأكويني بيذكر ابن رشد وللا لأ. والفنون الجميلة بقه دي كلها ممكن الواحد يدرسها. الفنون والحضارة الإسلامية كحضارة، تستحق الدراسة من أي إنسان عنده شوية عَقل. لازم يكون في كُرسي حضارة إسلامية في الجامعات الكبيرة – زي ما لازم يبقى في كُرسي للحضارة المسيحية في الجامعات الإسلامية الكبيرة – لأن دي تراث إنساني، مش إسلامي فقط.

إذا كان على كل حال الدين كان هو المحرك، لكن إدّانا حاجات إنسانية. لما تشوفي المسجد، لما تشوفي المنازل، كل اللي حَققوه في القوانين، في الموسيقى.. فهذا الميدان واسع جداً جداً ومافيش نقاش فيه. النقاش لما ييجي يقول لك إنتو أخدتوا دي من عندنا !! إحنا حنتعارك بقه ؟ نشوف مثلاً إذا كان في كلمة عيني عينك عربية، مضطر الراجل يقول دي جاية من العربية. وفي حاجات إتّخذِت من جهة العلوم، من جهة الفنون، من جهة الزراعة. فكل دي تدلنا على تضافر الحضارات، وإزاي ممكن الواحد يتعايش مع كل هذا بدون تعصب.

نرجع تاني للنقطة التانية المهمة جداً: حقوق الإنسان.

لازم نقبل حقوق الإنسان. ودي أفتكر بَرضُه المسلمين بيقولوا إن إحنا عندنا

حقوق الإنسـان قبل منكم. طيب كـويس، ياسيدي إن كنتو إنتو قلتوا قَبله نطبقها، نطبق حقوق الإنسان على الجميع. مش عشـان انت مسلم وأنا مسـيحي تضربني !! لأ. ولا الدين بيقول كده. وهنا ليه ممكن الحوار، لأن المسلم بيقبل هذا. ماسينيون كان يقـول لنا « Nous sommes justes ! » Il faut prendre au mot les musulmans. طيب، Au nom de la justice je vous demande mes droits. Je suis absolument sûr de la possibilité d'un Islam modéré.

هل تفتكر في فترة عمل معهد الدومينيكان للدراسات الشرقية مدى اقبال المسلمين على الحوار ؟

بس مين المسلمين ؟ أنا عندي نُخبة من المسلمين المثقفين، مع دول الحـوار ماشي ومستمر حتى الآن، والدليل إنهم بييجوا ويطلبوا مننا دراسات وتحقيقات، ولهم ثقة بينا. ده إللي كنا عاوزينه.

معناها إن إنت مطمئن ومتفائل.. ؟

جداً جداً، أنا متفائل للإسلام، فترة التوتر دي بنسميها بس تراب، عواصف، لأن المسلمين عندهم عقل والدين بتاعهم دين سليم. الدين مابيقولكش إخرب وبتاع، مافيش ! أنا باتكلم وإعتقادي كده، أنا مع واحد مسلم مؤمن، زيه زي أخويا. مافيش فرق تاني. إنت كده، ربنا إدّالك دينك، وأنا إداني ديني.. وبس. Alors il faut arriver à cette possibilité. C'est pour ça que ماحدش يقدر يتهمني إني بالعب ألعبان. ما بالعبش. أنا باقول لك: خليك مسلم، بس مسلم مستنير. وأنا مسيحي مستنير، لأنه فيه مننا برضه ناس مُتعصّبين. بس، إذا كان كده، مشينا يد بيد، ونعيش سوا، ليه لأ ؟

هذا مع الإسلام ؟

مع الأديان التانية نفس الشيء، مادام الإنسان إنسان ! الدين حر. إنت يهودي

لاسمح الله !! طيب وجرى إيه ؟ تعبد الله الواحد وتمشي على الدين .. لأ ده مغضوب عليكم ومش عارف إيه !! إيه الكلام ده ؟

هل هناك مثقفون يهود دخلوا في الحوار ؟

تعبنا خالص من دد عشان الحساسية السياسية . ده في مصر بس .

هل يوجد خارج مصر حوار إسلامي مسيحي بصورة علمية ؟

في من كل ناحية ، بين المسلمين وبين المسيحيين وبين العلمانيين وغير العلمانيين ، الدنيا ماشية . لكن هنا عشان معظمنا مسلمين كانت المسألة حساسة ، إنما لو كنت تكلمهم واحد واحد يقولوا لك ليه لأ ، اليهودي إنسان زيي زيه . بس فيه حساسية خالص لأن في الوئت الحاضر أعمال إسرائيل بتخلّي الواحد ينفر منهم خالص . لكن زمان كان في هنا جالية يهودية كويسة ، مثقفة ، وخسارة دول ناس زي التانيين ، بس خَسَّروا الدنيا بمسألة إسرائيل .

نرجع بالتفصيل لعلاقتك بالفلسفة الإسلامية ، وإختيارك لنصوص فلسفية معينة . لماذا بالذات هذه النصوص ؟

أولاً زي ماقُلت لكم ، لما كنت شاب كنت مُغرم بالفلسفة . وأريت فلسفة ، وأريت ماسينيون وماريتان ، ودول أبهروني .

أولاً ماسينيون كان شخصية عملاقة وراجل يعرف الإسلام كويس أوي ومتفتح للإسلام خالص . وبعدين ماريتان كمان الفلسفة بتاعته كان بيقول على saint Thomas : « Il a assumé Aristote » ، بمعنى إنه أخد من أرسطو كل اللي ممكن يأخده . لكن علشان الواحد يقدر يفهم المسلمين ، لازم أولاً يكون فاهم دينه كويس ، فإذاً لازم دراسة الدين المسيحي بعمق . Sans théologie on ne peut rien faire . وبعدين نتجه بعمق إلى الإسلاميات . واللي إتضح لي بقه إنه لما درست الفلسفة في القرون الوسطى ، في كتير توماس الأكويني بيذكر ابن سينا مئات المرات ، يعني قاريء له

ويحترمه. Il utilise également Averroès، لكن مع تحفظ. لأنه بيقول: « Il a perverti la philosophie plutôt que de la commenter. » ، وبعدين أخدت الرسالة بتاعتي عن ابن سينا، عن الخلق عند توماس الأكويني وإتصاله بالفلاسفة العرب. يعني إتضح لي من وئت الدراسات في السنتين الأخرانيتين إنه لازم ندرس الفلاسفة العرب. وكان الأب چوسان في الإسكندرية، وكان برضه بيدرس عربي، وهو مغرم برضه بمسألة الديالوج. قال لي: « Il faut étudier la logique arabe à fond pour pouvoir comprendre les philosophes arabes »، فكنت جيت بعد رسامتي كاهن عشان أشوف أهلي، كنت أروح عند أبونا چوسان. وكان بييجي في إرسالية راهبات هنا في الإسكندرية. من الصبح، من تمانية إلى إتناشر نقعد، أترجم «المحصل للمتقدمين» للرازي، ترجمة حرفية. الإتجاه إتضح وتأكد أنه لازم نهتم بالعرب وبالفلسفة الإسلامية. بس حاروح فين ؟ وجات الحرب بقه ١٩٣٩ و ١٩٤٠، نقعد في باريس ؟ كانوا الألمان جاؤا. قلت بقه مافيش إلا نروح الجزائر. في الجزائر كان فيه واحد اسمه Léon Gauthier, historien de la philosophie musulmane راجل دارس كويس أوي، يعرف عربي يعني، بس بقه شوية Rationalisme, Rationaliste, positiviste ، فماسينيون قال لي: خَلّي بالك، الإسلام مش positivisme، خَلّي بالك من جوتييه، وماتاخدش الفلاسفة بس، خد المتكلمين، لأنهم دول بيدرسوا المسائل الدينية أكتر. فإتصلت، كان فيه في كلية الآداب هناك مركز إسلامي، كان فيه ليڤي بروڤنسال ومارسيه – الفنان، مش التاني – و Brunschvig، أخدت بعض دروس معاه في الفقه الإسلامي. ووئتيها بقه قابلت في الجزائر الآباء البيض، وعندهم المركز الأساسي في الجزائر. وكان فيه واحد إسمه مونسنيور مرسييه إللي هو رئيس الآباء البيض في الصحراء، للتدريس. برضه قابلت جارديه، جارديه كان Petit frère موجود عند الآباء البيض. واتصلنا، قلنا نعمل إيه ؟ الأول طيب نترجم كتاب في التصوف وبدينا نترجم. وبعدين مونسنيور مرسييه قال: أنا عاوز للطلبة بتوعي Manuel ، كتاب صغير نقدر نديّهم الأساس بتاع الإسلاميات. طيب، هم معروف عندهم رسالة الباجوري «شرح الجوهرة. المفيد في علم التوحيد». قال: طيب، نترجمها. ترجمناها بالفرنساوي، من أولها لآخرها، مع Annotations . فدَه كان أول

إسهام، والكتاب موجود هنا. ده ملخص وفيه الأساس يعني. وبعد شويه وقال: طيب مادام عملتم حاجة للمبتدئين، عاوزين حاجة جد بقه كبيرة أوي. ماتكتبولنا كتاب عن علم الكلام. فأنا وجارديه قعدنا نشتغل *Introduction à la théologie musulmane*, 1948، قعدنا نشتغل أولاً في الجزائر وبعدين هنا، وكنت أروح روما وأروح فرنسا، وبعدين قبل Gilson الكتاب في الـ Collection بتاعته. C'était un honneur pour nous d'être dans sa collection d'études philosophiques. ومن وقتيها بقه تخصصت.

بقيت كام سنة في الجزائر؟

أربع سنين. كنت أدرس وأدَرِّس وندّي محاضرات. وغريبة المحاضرات. كان في نادي جنب الكنيسة بيدوا Cycles de conférences، طلبوا مني محاضرة عن L'Église d'Orient بصفتي شرقي وده إختصاصي وأنا درسته يعني. وعملت واحدة عن L'Église Russe وكانوا يطبعوا Résumé كدة. وفي يوم من دول واحد راح دق لي تليفون، قال لي: Monsieur, vous êtes spécialiste de l'Église Russe قلت له: ولا Spécialiste ولاحاجة، بس بحاول.

بس، من ١٩٤٤ كان الكتاب تقريبا إنتهى. جيت مصر هنا يوم ١٥ أغسطس ١٩٤٤. وكنت لوحدي هنا، وكان فيه الأب بولانچيه. فقعدت أكمّل الأسامي الموجودة وأسامي الكتب الموجودة، وكانت أياميها لسه «الجوهرة» كمان. فبدينا بقه نكتب في *L'introduction à la théologie musulmane* وكل واحدة جزء منها. وتُرجم للعربي. جارديه كان راجل منطقي وشاطر أوي. بس. طلع الكتاب وكان له رواج. وبعدين قلنا: طيب، ده أول كتاب، مانعمل حاجة تانية. قال: نعمل كتاب عن التصوف الإسلامي. وعملنا كتاب ملخص عن التصوف الإسلامي: *Initiation à la mystique musulmane* ملخص عن التصوف الإسلامي، ونَشرت بقه مقالات كتير. كان فيه هنا النادي اللي سميناه Cercle Thomiste وكان الأب بولانچيه بيلم شوية شبان مصريين وبيعلمهم الفلسفة التوماوية. وكنا ندّي محاضرات. وكان في مجلة صغيرة اسمها *Les Cahiers du Cercle Thomiste*، موجودة هنا في المكتبة، فيها مقالات. فيها

مقالة حتعجبك كتبتها : *Une Visite aux Petits Frères de Foucauld dans le désert* مقالة كده Descriptive كان في الجزائر في الصحرا عند إخوة يسوع الصغار. وفي عدة مقالات برضه عن الإسلاميات جمعتهم في كتاب *Études de philosophie musulmane.* Les grands titres, d'abord une partie historique au début, et une partie théorique d'analyse.

Est-ce que c'est vrai – d'après vous – ce qu'on dit :

إن التصوف مش أصيل في الإسلام ؟

Massignon dit que c'est à l'intérieur de l'Islam. Il se peut qu'il y ait des influences chrétiennes، لكن الأصل الأول من الإسلام. فيه في الإسلام عناصر باقية من الحضارات الشرقية. وكانوا كمان العُبّاد المسلمين يروحوا يزوروا العُبّاد المسيحيين في الصوامع ويسألوهم أسئلة، لإزاي الواحد يحاول إنه يتقرب من الله. وهو أفتكر إنه التصوف اللي يسمح بالتقارب بين الأديان، إنما القانون ! الطرق الصوفية حاولت تكمّل النقص اللي يكون من جهة تطبيق القانون. الناس عاوزة متعطشة للروح. الأب بوركوي Beaurecueil نشر كتاب عن « تصوف الأنصاري ».

كتبت إذاً عن التصوف الإسلامي بشكل عام وعن تاريخه ونماذج من كبار متصوفي المسلمين.

واستعملت خاصة طبعاً ماسينيون. ماكنتش آري كل التصوف، إنما الأفكار الأساسية. واستعملت الجزء الأول من كتاب تاريخي لماسينيون *Textes de mystique musulmane*، وكتابه عن الحلاج راخر مليان على كل حال. هو وطه حسين كانوا أصحاب خالص، وطه حسين هو اللي دَخّله المجمع اللغوي وقَدَّره. هو الميزة الكبيرة بتاعت طه حسين إنه كان يقَدَّر الناس ويعرف لهم قيمتهم خالص. وماسينيون المسلمين كان مُغرم بيهم أوي لأنه هو كان مش عارف حصل له إيه في بغداد وفيه عائلة بغدادية كفلته، فمن وقتيها أحس بالشعور الإسلامي العميق، بالمحبة. هو كان فقد إيمانه لما كان صغير وبعدين كان مرة في الـ Institut Français عاوز يفتش على

رسالة، فَبيقَلّب كده شوية كُتُب لقى رسالة اسمها «الحلاج». أخد الكتاب وقعد يدرسه وأخرج بقه كتابه. هو اللي قلب له كل كيانه.

بعد دراستك عن التصوف الإسلامي، أين تضعه من التصوف المسيحي ؟

فيه حاجات قريبة جداً يعني. لما تيجي تاخد المحاسبي مثلاً: المحاسبي C'est saint Ignace de Loyola عملت إيه النهارده، شفت مين وعملت إيه ؟ بيحاسب نفسه كل يوم. وبعدين تاخد كتاب «المحبة» بتاع الغزالي، حاجات بتلائيها في المسيحية. فافتكر أنه كل ما الواحد بيعلا في التصوف، بيجد نفسه مع آخرين من الأديان الأخرى. طبعا فيه الفروق إنه عندنا المسيح هو المركز الأساسي، وفي الإسلام الله هو الأساس. فيه حاجات كتيرة واحدة.

المسافة اللي إنت قطعتها مع الفلسفة الإسلامية، أو مع التصوف الإسلامي، الميزان إيه ؟

الفلسفة يمكن هي اللي درستها زيادة شوية، لأنه كان تكويني فلسفي. وتوماس الأكويني، كنا عاوزين نقارن مناهج، منهج الرازي أو غيره، وخصوصاً بقه بعدين إهتميت بابن سينا.

ابن سينا كان جه العيد الألفي لابن سينا، والجامعة العربية عاوزة تعمل العيد الألفي، تحتفل بيه. وكان في الإدارة الثقافية في الجامعة العربية أحمد أمين. قلت لهم: أول شيء إذا كان عاوزين تدرسوا ابن سينا، لازم تبحثوا عن المصادر بتاعته. الكتب بتاعته إيه وإيه. وأنا عارف إنه في استنبول فيه ألوف من المخطوطات. قالوا: لو نبعتك استنبول تروح ؟ قلت لهم: أروح أوي، قالوا: بس لازم تلبس خواجه ! قلت لهم: مش مشكل.

رحت قعدت تلات اشهر في استنبول، من الصبح تمانية لما عشرة بالليل نشتغل في المخطوطات. الصبح نروح المكتبة نشوف المخطوط، وبالليل ندوّنه. وبعدين طلع كتاب عن مؤلفات ابن سينا، كتاب ضخم، خُمسميت صفحة. وعمل التقديم أحمد أمين

وإبراهيم مدكور. أحمد أمين قال: «هذا الكتاب لا يصدر إلا من رهبنة في العلم كالرهبنة في الدين». وكان إنسان فكره واسع وكويس.

ونفس الشيء لما حبّوا يعملوا مؤتمر ابن رشد عشرين سنة بعديها في الجزائر. قالوا: طيب ما انت عملت مؤلفات ابن سينا، إعمل لنا مؤلفات ابن رشد. فَطَلّعت كتاب ضخم كده عن مؤلفات ابن رشد. يعني Ce sont des instruments de travail. وفي كتاب ابن سينا، كل مخطوط بِتِدّي أول سطر وآخر سطر بتاع المخطوط، وعدد السطور. هو ده اللي خَلاني معروف في الأوساط الإسلامية والمسيحية بإني مختص بابن سينا، وهو اللي خَلاني أروح مؤتمرات. وكنت برضه ألف في المانيا، في باريس، في لندن، ندور على مخطوطات ابن سينا. فطلع كتاب كلاسيكي يعني. وكان فيه واحد في إيران اسمه محمد مهدوي عمل تقريبا نفس الشيء. وبعدين دلوقتي فيه واحد بلچيكي بعد عشرين سنة بيعمل كتاب ضخم عن كل ما نشر عن ابن سينا. Il a dédié le livre au Père Anawati، لكن افتكر إن الدراسات السيناوية كان أساسها هذا الكتاب وسَمَحت للناس إنه تفتش على مخطوطات جديدة. وبعدين كان كل ما هو إسلامي علمي يهمني. وكنت أروح مؤتمرات وصرت معروف في الأوساط العلمية. ولذا من سنتين مؤتمر أوتاوا Ottawa لتاريخ الفلسفة في القرون الوسطى إدّت عضوية شرفية للجمعية لأربع أشخاص منهم العبد الفقير. ده كان شرف برضه. وشوية شوية صرت معروف حتى للأوساط في وزارة الخارجية.

مرة مثلا رحت اتصلت بكامل حسين. محمد كامل حسين مؤلف «قرية ظالمة» كان صديقي صحيح يعني وكان فيلسوف، وكنا نتكلم في حاجات روحانية. فكتبت مقالة طويلة عريضة في الـ MIDEO : *La cité injuste* مقالة في خمسين صفحة تقريباً. فاتبسط منها، وعَرَّفته بالأوساط الخارجية.

ذكرت في كلامك عن الفلاسفة المسلمين: ابن سينا وابن رشد..

والرازي،

... quelle est l'importance de ces philosophes par rapport à la relation : philosophie-science-religion ?

Tous les trois sont importants. Avicenne a présenté une synthèse totale du savoir à la fois philosophique et religieux. C'est pour cela que lorsque sa Métaphysique a été traduite en latin, l'Europe l'a acceptée avec reconnaissance, plus que pour les œuvres d'Averroès. Pour les européens médiévaux, Averroès soutenait, il leur semblait, que l'âme n'est pas immortelle, tandis qu'Avicenne, qui était un spiritualiste et un mystique, était un esprit qui avait présenté toute une synthèse de la théologie et de la philosophie. Avicenne a eu une influence importante dans les milieux philosophiques européens. Il a suscité un avicennisme latin qui s'accordait avec les doctrines philosophiques latines qui l'ont beaucoup exploité, et saint Thomas a témoigné un grand respect pour Avicenne. Il le considérait comme un grand savant et un grand philosophe, tandis qu'Averroès, connu dans ses versions latines, a été considéré, sur un point important, comme louche, parce qu'on pensait que pour lui l'âme n'est pas immortelle. Il a distingué entre les esprits religieux et les esprits philosophiques qui estiment pouvoir dominer la réalité entière ; le peuple religieux parlant, lui, en images, ainsi que dans le Coran. Pour Averroès, les *Mutakallimun* sont pas assez intelligents pour accéder au stade du vrai philosophe, ils mêlent la philosophie et la religion. Il n'est pas tendre avec les *Mutakallimun*, Averroès, c'est un très grand esprit tout de même !

Alors al-Razi par rapport aux deux ?

Al-Razi ? il a fait aussi une synthèse. C'est ce que m'avait dit Massignon : prenez al-Razi parce que, dans son commentaire du Coran, al-Razi, a propos d'un thème, fait toute une discussion. Ce sont des questions philosophiques qu'il traite, ce qui fait qu'il les traite avec beaucoup de force et d'ingéniosité. Il a dit aussi beaucoup de choses sur la

philosophie orientale, c'est un très grand esprit.

Comment le classifiez-vous par rapport à Averroès et Avicenne ?

Je le place du côté d'Avicenne, je suis avicennien, c'est-à-dire que je préfère Avicenne, parce qu'il est le plus spiritualiste. Il a analysé l'âme, une question extrêmement délicate, il a divisé, classifié les aspects de l'âme humaine. Averroès a surtout été un commentateur d'Aristote, il l'a commenté entièrement toute sa vie. Il y a eu un courant averroïste à Paris qui a exagéré les positions d'Averroès, peut-être plus qu'il ne l'a fait. Dissociant âme et intellect, qui seul serait éternel, il a paru estimer que l'âme n'est pas immortelle. On en a conclu : si l'âme n'est pas immortelle, alors amusons-nous puisqu'il n'y a plus rien après. Tandis que la pensée d'Avicenne n'a pas subi pareille critique. L'Église du treizième siècle a condamné un certain nombre de propositions avancées par des philosophes latins se réclamant de penseurs arabes : al-Kindi, Averroès, al-Ghazali, etc. C'est que l'influence arabe à l'Université de Paris était importante. Pour certains milieux, Averroès a eu plus d'influence peut-être qu'Avicenne, il y a eu un averroïsme décidé à Padoue et ailleurs en plusieurs grandes écoles. Ce qui fait que les Arabes ont une grande importance pour le dialogue intellectuel. Au lieu de se battre et de s'insulter, il n'y a qu'à travailler ensemble. Tous ont le même héritage venu de Platon et Aristote, transmis en partie aux Latins par les Arabes, autant travailler ensemble. Et actuellement, c'est pour ça que j'avais écrit un article sur « Avicenne et le dialogue islamo-chrétien », le dialogue actuel, pour une conférence que j'avais faite sur ce dialogue.

Quelle est la solution qu'a donnée al-Razi à la question : religion-science ?

Al-Razi avait une très grande foi. C'était un intellectuel, mais qui acceptait la foi telle qu'elle était proposée. Il n'a rien d'Averroès, il a utilisé beaucoup Avicenne. Avicenne a eu une grande influence sur tous les théologiens postérieurs dans le monde musulman,

surtout en Iran. Les grands philosophes iraniens des seizième et dix-septième siècles sont des avicenniens. Il y a des écoles d'Avicenne. Quand nous avons tenu un congrès sur Avicenne en Iran, à Téhéran, on nous a conduit dans un groupe de gens qui parlaient d'Avicenne comme s'ils parlaient de leur père : ils étaient des gens qui vivaient avec Avicenne, qui commentaient ses livres. Et jusqu'à maintenant c'est une doctrine vivante en Iran.

A partir de quelle idée pouvait-il faire la synthèse ?

Sa synthèse est d'inspiration néoplatonicienne : Dieu créateur a créé une succession d'êtres, qui, tous, participent en quelque chose de la lumière divine. Il viennent de Dieu et puis y font retour, toutes les créations ont à remonter vers Dieu. C'est très religieux.

Alors la base de sa philosophie n'est pas dualiste ?

Non. Dualiste, non. Dieu est créateur de toutes choses, même de la matière. Avicenne, sur ce point, est le plus proche des occidentaux. Je crois que, pour l'avenir de la culture et du dialogue, c'est celui-ci qu'il faut cultiver le plus. Averroès a toujours été considéré surtout comme un grand commentateur d'Aristote. Alors pour comprendre Aristote, les commentaires d'Averroès sont très précieux, bien qu'ils soient marqués eux aussi, parfois, de nuances néo-platoniciennes.

ياترى بعد جولتك الكبيرة في الفلسفة الإسلامية وفي علم الكلام الإسلامي وفي التصوف الإسلامي، هل كان ده له تأثيره على مفهومك الأول للمسيحية ؟

نظرتي إنه المسيحيين ما كانوش فاهمين الإسلام، في أوثات كتير كانوا يقولوا لك: دول بيعبدوا محمد وللا مش عارف إيه، Il y a les calomnies les plus stupides concernant l'Islam ، وعادة انت عارف إنه في الأوساط المسيحية هنا فيه ghetto شوية، بيخافوا من المسلمين A propos ، بيخافوا من المسلمين.

مرة سألت محمد عمارة قلت له : إنتو ليه بتخافوا من المسيحيين ؟ قاللي : علشان المسيحيين طابور خامس داخل الإسلام، و أنا عندي كتاب من جماعة الكنائس بيقولوا : إن العدو الأول هو الإسلام. المسيحيين اللي موجودين في مصر هنا باين عليهم ميالين للمسيحيين بتوع بره، يجب أن نتغلب على هذا التيار.

تدريس الدين الآخر : الإسلامي للمسيحيين، والمسيحي واليهودي للمسلمين ؟

دي حاجة شعرنا بيها إنه لا بد منها، ومن عشرين تلاتين أربعين سنة واحنا نقول للمدارس اللاهوتية المسيحية – حتى في أوروبا – إن يكون عندهم دروس خاصة بالإسلام. فيه مسائل إسلامية لاهوتية تهمهم : قضاء وقدر، صفات الله، لازم يدرسوها. من جهة المسيحية بقه الخطر يروحوا يجيبولك أبو زهرة أو ابن حزم ويجيب لك كتب قديمة عن المسيحية ويقول لك: أهو ده المسيحية. يظل عدم الثقة موجود، لكن المبادرة لازم تيجي من الأغلبية. من السهل أن نتبادل الإتهامات.

ملح الأرض

بالنسبة لوجودك ومعايشتك للفلاسفة المسلمين، ماذا ترك عليك من أثر ؟

يعني نبتدي بطريقة تاريخية. لما جيت هنا ما كنتش اعرف حد، إلا بس بالكتابة. مثلاً الدكتور مدكور، عمل رسالة عن الفارابي، أصبحت كلاسيكية في باريس يعني. كنت أريتها. والباقيين مش معروفين. زي ما قُلت لكم، أول ماجيت هنا رئيس المعهد الفرنسي قال لي: نعمل إحصاء لكل الكتب العربية اللي نُشرت في ١٩٤٢ إلي ١٩٤٤. فَرُحت دار الكتب يومياً أفحص الكتب وأحدد. وهناك قابلت واحد اسمه فؤاد السيد، كان أمين المخطوطات. وده راجل متفتح جداً وعارف المستشرقين، وكل اللي بييجوا يروحوا دار الكتب ويسألوا عنه، وخصوصا قال لي: لازم تتعرف بواحد اسمه محمود الخضيري، كان سكرتير شيخ الأزهر سنة ١٩٤٥-١٩٤٦. والشيخ عبد المجيد سليم برضه شفته. والشيخ مصطفى عبد الرازق كان شيخ الأزهر وقتيها. وعندي هنا رسالة من الأزهر، كنا بعتنا بعض كتب للأزهر وقال لي: نشكركم باسم شيخ الأزهر على التعاون. فتعرفت بالخضيري وصرنا أصدقاء كبار جداً. بنته الدكتورة زينب الخضيري في قسم فلسفة. وكان عنده مكتبة حلوة أوي، كان بيشتغل دكتوراه عن الطوسي في باريس. فحصلت الصداقة بيننا وكان يتردد على الدير وراجل متفتح جداً، يعرف فرنساوي كويس وإنجليزي والماني. وكان يعرف الكتب الإستشراقية، الألمانية والفرنساوية. قعد في باريس عشر سنين.

الأستاذ التاني في الفلسفة كان فؤاد الأهواني. ده برضه اتصاحبنا كتير أوي وقعدنا نترجم كتب سوا ونشرنا كتاب «النفس» لأرسطو، وعملت أنا المراجعة على اليوناني، وهو ترجمه من الإنجليزي، ونشرنا كتب تانية سوا وكنا تَمَلّي على اتصال دائم. وبعدين عرفنا كمان عثمان أمين وكل أساتذة الفلسفة في مصر. عثمان أمين، ده كان أستاذ الفلسفة الحديثة، وكان متحمس جداً لديكارت وللثقافة الغربية. كُنا نروح له عنده في البيت. وبعدين اتعرفت بالدكتور مدكور، وابتدينا بقه صداقة متينة جداً لأن كُنا تَمَلّي نسافر سوا في مؤتمرات الفلسفة. أوقات كُنا نحضَر خُطب

بالفرنساوي. فمع الفلاسفة دول الدكتور طه حسين اتعرفت بيه برضه. خدني عنده، مدير المعهد الفرنسي عرفني بيه، وكان طه حسين وزير التعليم. وقال لي : إحنا نرحب بيكم. الدومينيكان دول بيشتغلوا كويس، بس ما تشتغلوش في السياسة. بواسطته لَمّينا الفلاسفة كلها عشان العيد الألفي لابن سينا. قاللي : عايز تحط مين في اللجنة ؟ قلت له : الخضيري والأهواني. ولَمّينا كل الصفوة من الفلاسفة، واشتغلنا سوا. طلّعنا عشرين جزء من «كتاب الشفاء»، وعملنا نفس الشيء لـ «المُغني» للقاضي عبد الجبار. فكان صلة وثيقة. وتعرفت بعبد الرحمن بدوي. بدوي أراد أن يتعرف بي. كان فيه واحد اسمه صلاح الدين المنجّد كان رئيس معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية. قال له: أنا رحت عند الأب قنواتي، تعالى إعرفَه. ومرة جابهولي هنا ورحبنا بيه وكل حاجة. وكان بيتردد برضه ع المكتبة، وعرَفت كتبه لأنه أنا عرفت بدوي بكتبه، يمكن ست سبع كتب في الفلسفة كان ناشرها لأنه كان عنده إنتاج واسع: مُؤَلَّف كبير في الفلسفة الإسلامية من جزئين. كان يترجم كتير، كده زي ما الواحد بيشرب شاي !! وألف كُتب كمان ونشرها، ونشر مخطوطات كتير وطبعها عن فلسفات القرون الوسطى. فلازم يعني الواحد *يرفع القبعة*، مابنقولش بالعربي دي يعني لازم ينحني له. غير عبد الرحمن بدوي كان نجيب بلدي كان عامل دكتوراه بالإنجليزية عن باركلي. كان يجيد الإنجليزية أوي والفرنسية كمان وكان راجل مثقف جداً وكان أستاذ في جامعة اسكندرية. ده كان صديق صميم ومسيحي كاثوليكي، وكان ييجي أوقات يقضي أيام بيناتنا. فخدوه جامعة اسكندرية يدرّس، وبعدين راح مراكش وزُرته هناك. إشتغل في الأخلاقيات، واللاهوتيين والفن، خصوصاً مدرسة الإسكندرية. وعرفت كمان الشيخ التفتازاني. كان في الأسكندرية، وكنا نسافر تَمَلّي في مؤتمرات الفلسفة في بغداد، في طهران، في باريس.. وكنا سكنّا سوا في غرفة مرة. ونشر كتب في الفلسفة، ورسالته كانت عن ابن عربي. وطبعا قلت لكم كنت اتعرفت بيوسف كرم، شيخ الفلاسفة. وقابلت منصور فهمي إللي كان يُعتبر شيخ الفلاسفة وثنيها، ولو مالوش كتب عديدة في الفلسفة، كان كاتب الرسالة بتاعته عن «المرأة في الإسلام»، مطبوعة بالفرنسية. وهنا أفتكر هاجموه خالص لأن بيقول المرأة

حالتها وحشة في الإسلام. كان مدير المجمع اللغوي. البهي عرفته بالصدفة كده وتقابلنا وجه هنا. محمود قاسم كنا أصحاب جداً. هو كان شيئ ميّة في الميّة، وكان بيدافع دايماً عن ابن رشد وعن مواقفه الفلسفية. كتب كُتُب كتيرة وهاجم توماس الأكويني، بيقول: توماس الأكويني نهب ابن رشد من غير مايقول !! يعني تجاوز شوية اللباقة، إنما نشر حاجات كتيرة. درس في فرنسا مع جيلسون. ده كان أكبر أستاذ في تاريخ فلسفة القرون الوسطى. وأسس سلسلة كتب Série de philosophie musulmane الأستاذ ماهر، اللي عمل الكتاب التذكاري لمحمود قاسم، مترجم مقالة لجارديه: «موقف المسيحية من الإسلام». مقالة حلوة أوي، رزينة ورايقة، كويسة. يعني فيه دلوئتي ناس من المفكرين المسلمين بيقروا حاجات غربية، لأنه بيدي أفكار المستشرقين عن موقف المسيحية من الإسلام وإيه هو الإسلام، لكن بطريقة مهذبة يعني. وعرفت، وكان صديق حميم، الشيخ محمد يوسف موسى. كان بيعلم تاريخ الأخلاق في جامعة الأزهر، في أصول الدين. ده كان متعلم برضه في فرنسا وعمل رسالة عن ابن رشد في فرنسا، وكنا نشتغل سوا، وكنت نساعده. كتب كُتُب كتيرة كويسة في الأخلاق. وكان فيه واحد أزهري تاني اسمه الشيخ محمد فتح الله بدران. ده بيشتغل كان طول الليل، ونشر الشهرستاني «المِلَل والنِحَل»، وكان مجتهد جداً. وده حضرت الرسالة بتاعته لما نوقشت في كلية أصول الدين. «المِلَل والنِحَل» فيه قسم خاص بالمسيحيين، فهو لجأ إلى قساوسة وإلى ناس متعلمين مسيحيين عشان يشوفوا إذا كان الكلام اللي بيقوله ده مظبوط واللا لأ، فكان Étude critique كويسة. فهو قدم الرسالة وكان رابط الجأش وكويس أوي. فبعثت Compte rendu عن الرسالة وقلت: أنا كنت في أوروبا وحسبت الأزهر متأخر جداً، وإذا لما رجعت هنا وسمعت إنه فيه رسالة دكتوراه واستغربت جداً لأنه كان مستوى عالي. بعدها بشوية عينوه أستاذ في الجامعة. قام بعد شهرين جاني واحد تاني اسمه الشيخ جبر قاللي: أنا عندي الرسالة بتاعتي، إكتب لي عنها حاجة، عشان يعينوه. وكتبتله. هي كانت عن «المتكلمين بين المتقدمين والمتأخرين». مش عارف إذا كان عينوه بعدها واللا لأ !! وهم كانوا بيأخدوا برأي المستشرقين في الأزهر إذا كانوا لقوا حاجة كويسة. وفيه الشيخ أحمد

عبده الشرباصي كان في إخوان الصفا وبعدين بقه يجينا في الإخاء الديني. والشيخ سليمان دنيا من الأزهر. كان راح أمريكا ده. والشيخ عبد الرحمن بيصار، درس في إنجلترا وعمل رسالة عن ابن رشد وطَلَّعه إنه مسلم، إنه مش ملحد ولا حاجة، وإنه حاور الفلاسفة الإلهيين. كان دارس للمصادر بتاعته وللمستشرقين. والشيخ عبد الحليم محمود. كان كل لما ييجي شخصية دينية كبيرة من الڤاتيكان، كان القاصد الرسولي يقول لي: إشترك معاه عشان نروح نشوف الأزهر، فكُنّا نروح نشوف شيخ الأزهر، وعندي صور منه. قبل كده كان شيخ الأزهر الشيخ محمد الفحّام. الشيخ محمد الفحام ده كان شخصية خرافية، كان كويس أوي أوي أوي. كان مع أولاده في باريس بيعمل الدكتوراه هناك، وكان أهل الأب چومييه يستضيفوا الشيخ الفحام، وكان أيام الحرب كانوا يجيبوا له أكل وبتاع، وأصبحوا أصحاب جداً. الشيخ الفحام كان لغوي. مرة كان عنده ضرس تعبان وكان راح عند الحكيم الأسنان. الحكيم قال له:

– Il faut que vous veniez dans une semaine !

– Il faut que vous veniez, c'est le subjonctif, n'est-ce pas ?!!

كان الراجل كل فكره مسألة النحو، كان تخصصه اللغة. كان في اللغة العربية متين، وكان بيلم الأمثال، لما تقول له مثل بالعربي يروح جايب لك المقابل الفرنساوي. كان عامل زي القاموس. عرفته قبل ما يكون شيخ الأزهر، وكان ييجي يزورنا هنا بالجبة، وابنه رمضان كان ييجي يجري يقول على والده: شيخ الأزهر جاي، وتحقق إنه أصبح شيخ الأزهر. ولما كان شيخ الأزهر كنا نروح نزوره في بيته لغاية ما طلَّعوا إشاعة إنه شيخ الأزهر تَنَصَّر!! ما كُنَّاش نتحاور في حاجات دينية، إنما في الثقافة. كان فيه مرة واحد من المسلمين ييجي ويتردد عليَّ، وكنت باطلب منه يساعدني في مسألة ترجمة ومراجعة الكلام، فالمخابرات مسكته:

بتروح فين ؟ إنت بتروح ليه عند الأب قنواتي ؟ إنت مش عارف، ده راجل خطير جداً، ده بيبَشَّر !!

قال لهم: بيبشر إيه يعني ؟ هاينَصَّر الشيخ الباقوري ؟!!

ياترى خارج مصر، في البلاد العربية، هل التقيت بالمهتمين بالفلسفة ؟

فيه واحد كان اسمه جميل صليبا في دمشق، راجل فيلسوف كويس أوي، وعامل كتاب عن أفلاطون. وواحد اسمه العوًا، من دمشق برضه. وفيه ماجد فخري في لبنان. دول شوية كويسين. وبرضه في العراق. كنت ألتقي بيهم في المؤتمرات وكنا نتكلم ونتبادل.

إيه رأيك في الفيلسوف المغربي محمد عابد الجابري ؟

والله ماقريتلوش مع إنه لازم أقرا له، بيقولوا حاجة مهولة، كويسة وجديدة.

المحاوران: *له كتابين «بنية العقل العربي» و«تكوين العقل العربي». هو نظير لحسن حنفي في المغرب، بس حسن حنفي مرتبط بالتراث أكثر منه، في حين إن الجابري في كثير من أطروحاته يريد مصادرة التراث.*

إنت ما كلمتناش عن زكي نجيب محمود.

زكي نجيب محمود ما عاشرتوش أنا، كنت أقرا له الكتب، وكنت آخذ عليه لأنه كاتب كتاب اسمه «خرافة الميتافيزيقا» ومفيش فيلسوف ينكر الميتافيزيقا، هي أساس الفلسفة. هو كان أسير الوضعية الإنجليزية لأنه دارس في انجلترا. ولكنه على كل حال مفكر ويأخذ الموضوع من كل ناحية. شفت له «حصاد العمر». كَتَب كتير أوي، المقالات بتاعته كانت تخوفني، لازم لك ساعة عشان تقراها. صفحة كبيرة في الأهرام. أنا رحت له زرته مرة أو مرتين من أربع خمس سنين، راجل مؤدب، كويس، كنت عارف كويس صديقي عبد الهادي أبو ريدة.

فصل المقال

خصوصية الفلاسفة العرب في نظرك..

أكبرهم شهرة الكندي والفارابي وابن سينا وابن رشد. وكمان بيعتبروه شوية – ولو إنه مش فيلسوف – الغزالي، لأنه راجل روحاني وراجل متصوف.

الصفات الـ Caractéristiques الخاصة بالفلسفة الإسلامية هي إنها مُنصبّة على الله والنفس، محورها كلها بتنتهي إلى وجود الله، الله خالق كل شيء، وصفات الله. ومهتمين جداً بوجود النفس و Son caractère immatériel وخلود النفس. فإذن بِيصلوا من جهة إلى ما يقوله عموماً الدين: مسألة وجود الإنسان، خلود النفس والحياة الأخرى. فإذا من هذه الناحية لهم شهرة في عصرنا الحاضر، لأنه إذا ما كانش الفيلسوف يصل إلى وجود الله تبقى فلسفة خاسرة، مالهاش مضمون. فمن هذه الجهة تبقى الفلسفة العربية الإسلامية خالدة. ومن جهة التفاصيل، واحد زي ابن سينا دارس المنطق بطريقة دقيقة جداً، والمنطق بتاعه لغاية دلوئتي بيُدَرَّس في الجامعات لأنه حاجة عقلية. وابن سينا في تحديد النفس وملكات النفس وازاي الحركة الفكرية بتمشي، فكل ده لغاية دلوئتي ممكن الواحد يستفيد منه. ومن جهة ماوراء الطبيعة ابن سينا إدّى ما هو ضروري بالذات وما هو ممكن بالضروري، مافيش حاجة ضروري إلا الله، واجب الوجود، والإنسان ممكن الوجود. فأرسى الميتافيزيقا والخلق كله لله. والخلق مخلوق ممكن بذاته ولكنه بالخلق يصبح ضروري.

فمن هذه الناحية إذن فلسفة ابن سينا فلسفة ممكن إنها تعيش لغاية دلوئتي على شرط إنه الواحد يدَخَّل فيها ما كسبناه من العلوم الطبيعية مثلاً، خاصة علم النفس وغيره، إنما الأساس بتاعها أساس قوي.

ما دور الإنسان والفكر في فلسفة ابن سينا ؟ هل هو إيجابي ؟

الإنسان بيتأثر جداً من خلود النفس، لأنها غير حسية، وإذاً لما الواحد يموت، حتفضل روح الإنسان وتلاقي الله. وهنا من هذه الناحية عرف يقرّب الفلسفة من

الدين بمعطياته العليا. والدين، الأساس إنه بيعرفنا اننا مخلوقين من الله، في كل الأديان يعني، وإننا حياتنا بتنتهي من هنا لكن فيه حياة أخرى، وإن السعادة هي الإتصال بالله، هذا من جهة السعادة والبحث عن السعادة بالبحث العقلي، وهو من معطيات ابن سينا. ثم ابن رشد بقه، ده بيسمح لنا إننا نفهم أرسطو، لأنه فسر كل كتب أرسطو بدقة، ولغاية دلوقتي حتى، كل المختصين بأرسطو بيستشهدوا بابن رشد. فإذن الفلاسفة دول Ils ont une actualité، والواجب على المدارس والجامعات إنهم يدرسوا ابن سينا. هي فلسفة روحانية Spiritualiste، وضد الفلاسفة الـ Positivistes اللي مابيعتقدوش إلا في الحاجات المادية. إنما الفلسفة الإسلامية روحانية وبتدي مكان للدين، مش ملحدة.

إحنا بنتكلم على التلاتة الكبار. وخصوصا ابن رشد بقه بيميز ما هو للدين وما هو للعقل «فصل المقال وتقرير ما بين الشريعة والحكمة من الإتصال». فَدي كمان نقطة مهمة جداً إنك ماتلخبطش كل حاجة وتدخلها في الدين. بيقول لك الدين ضروري، فيه حاجات الواحد مايفهمهاش، وعلى حسب مستوى الإنسان، وبيدي تلات مستويات للعقل: في الناس العامة، دول مايفهموش إلا الحاجات الحسية والمادية، عشان كده القرآن كلمهم بحاجات حسية. يقول لهم: الله فين ؟ يقول لك: فوق !! الطبقة التانية هم المتكلمين، اللي بيحاولوا يفلسفوا الدين إنما مابيَصلوش إلى هذا، وبيضحك عليهم كتير. وبعدين بقه الطبقة الراقية إللي هم الفلاسفة، إللي بيقدروا بطريقة برهانية يثبتوا إن الله موجود وإن فيه عالم آخر.

فإذن أنا أفتكر إن الإسلام لازم يفتخر بهؤلاء الفلاسفة، لأنهم أثبتوا عمل العقل واحتفظوا بالدين. ماهُمّاش ولا ملحدين ولا حاجة، وقدروا يوفقوا بين الفلسفة وبين الدين. الغزالي بقه حاجة تانية لأن ده بحر من جهة التصوف وإحياء علوم الدين، والبحث الدقيق عن أحوال النفس وإزاي بتعيش. وفي القرون الوسطى (المسيحية)، اللي عُرِفوا شوية الكندي والفارابي. الفارابي راجل فيلسوف عظيم ! وخصوصا بقه اللي تُرجِموا كانوا: ابن سينا وابن رشد. ابن سينا تَرجموا له كتاب «الشفاء»، وخصوصاً

الميتافيزيقا كانت أساس لفلسفة توما الأكويني وغيره. إستفادوا من ابن سينا، ليه ؟ لأن ابن سينا كانت الفلسفة بتاعته مقدمة كفلسفة مع الإحترام للمعطيات الدينية. يعني كان في Synthèse مع الإتنين، فَدي عجبت اللاهوتيين المسيحيين. قالوا : ده كويس، إحنا نطَبقه على الكتاب المقدس ويبقى فيه فلسفة ويبقى فيه دين. فمن هذه الناحية هو أوجد فلسفة سيناوية في أوروبا.

ماذا أضاف ابن سينا لفلاسفة المسيحية ؟

ما أضافش فلسفة لأنه ماكانش يعرف الفلسفة المسيحية، إنما إدّى أساس منهجي يفرّق بين الضروري الموجب الوجود، الخالق، وبين المخلوق : عند الله، الذات والوجود واحد : في كل المخلوقات بيبقى فيه فرق بين الوجود والذات، لأنها مخلوقة، ودي ميزتها Contingente. فأوضح الفرق بين الخالق وبين المخلوق. وخصوصاً بقه أعطى الطريق للوصول للسعادة العقلية : راح يرقى لغاية ما يصل لله إذا كان ممكن. فلسفته ممكن أن تنطبق على الطبيعيات وممكن أن تصل إلى اللاهوت. فمن هذه الناحية كان مرغوب فيها وقُبِلت من الفلاسفة الغربيين وساعدتهم. يعني توما الأكويني بيذكر ابن سينا ربعمائة مرة في الـ Summa Theologiae / Summa de Veritate Catholicae Fidei. فالمسيحية استفادت من ابن سينا، إنما ابن سينا مااستفادش منها. كان مثلا بيتناقش مع بعض فلاسفة مسيحيين، كانوا بيتحاوروا، لكن ماكانتش هي المحور بتاعه.

وأين الرازي من الفلسفة المسيحية ؟

أي واحد فيهم ؟ في اتنين رازي: فخر الدين الرازي صاحب «تفسير القرآن». والتاني : أبو بكر الرازي اللي هو الفيلسوف والطبيب، ده كان نصف ملحد، وكان متشبع بالفلسفة اليونانية لدرجة الإلحاد. كانوا بيقولوا عنه إنه ملحد، ولو إني ما أفتكرش إنه كان يبقى فيه واحد مسلم ملحد، ولو إن عبد الرحمن بدوي كتب عن «الإلحاد في الإسلام» وكان في ناس بينكروا.

هو فيه الملحدين المسلمين والملحدين النصارى والملحدين اليهود ، لأنه بيظل الطابع التكويني الأول، الثقافي، موجودين لدى الملحد وفي لغته، وبيظل بشكل ما مسلم أو يهودي أو نصراني. ألا تري معي هذا ؟

أولاً ممكن الواحد يكون ملحد داخلياً، اعتقاده كده، إنما بيحتفظ بالمظاهر الدينية عشان مايخرجش على المجتمع.

ده أنا عايز أقول إنه بالرغم منه بيظل شيء من الثقافة الدينية في إلحاده بحكم النشأة.

طبعاً. حتى الملحدين في أوروبا، الثقافة المسيحية مؤثرة فيهم. لكن لما ييجي ملحد يقول لك إن القرآن ده صناعة إنسانية وأنا نقدر نكتب قرآن، أو يقول لك إن الله مش موجود والمادة خالدة. فالرازي كَتَب كُتُب إلحادية عن خوارق النبوة، بس كان عالم كبير من جهة الطب.

هو فلسفياً المعروف عنه إنه قال بكفاءة العقل واستغناؤه عن النبوة، يعني إن النبوة مش ضرورية، والوحي مش أساسي.

الإلحاد بيتصف أولاً بإن مافيش حاجة اسمها نبي، لأنه أي شخص ممكن يصل إلى العلوم اللي بيقول عليها النبي، وبعدين إن الخلق مش ضروري، ممكن خلق أبدي، ينكروا وجود الله، وكمان بينكروا وجود الآخرة، الدنيا دي بس هي اللي موجودة. Ce sont les principes de l'incroyance، وده اللي أخذوه كمان على ابن رشد. كانوا فهموه اللاتين إنه ما كانش بيقول بخلود النفس، لأنه في بعض تفسيراته لأرسطو كان بيقول إنه فيه عقل فَعَّال واحد بس لكل الناس، فلما الفرد بيروح مابيفضلش منه حاجة، بيدوب في العقل الفَعَّال الكبير. فكانت الناس تقول له: مادام الدنيا كده بقه خُد حظك من الدنيا وماتسألش. يعني إنتشرت في بعض أجزاء إيطاليا وغيره بين الناس إنه يقول لك: خُد حظك من الدنيا، مافيش حاجة اسمها خلود. فَده الخطر من الفلسفة لما تصل إلى مسائل عملية. لما تقول لي في الفلسفة إن النفس تفنى مع

الجسد، يبقى مافيش ثواب وعقاب. فكانت من هذه الناحية خطر على المجتمع كمان. وبعدين يقول لك: إعمل اللي تعمله، إسرق، بس ماتخليش حد يمسكك !! فالإلحاد بيوصل إلى نتائج عملية وحشة أوي. لكن الرازي كان بيقول فيه خمس حاجات خالدة، زي الزمان والمكان.. إلخ. ولكن واخدها من بعض الفلاسفة اليونانيين. إنما ما أظنش إنه كان ملحد بالمعنى التاني، لأنه زي ما باقول لسيادتك، أفتكر في روح الشرقيين فيه نزعة دينية قوية. حتى أكثر الشخصيات الملحدة كان يفضل لها جزء من التدين. هو كان فيه تيار ملحد، اللي بيسموهم الزنادقة، في العصر العباسي، كانوا بينكروا وجود الله. ماكانوش فلاسفة، بس برضه كانوا بيتذرعوا بالفلسفة. كان فيه الفلاسفة اليونان، Lucrèce وغيره اللي كانوا أنصار اللذة: خُد من الدنيا Carpe diem، إمسك كل يوم لذة. هو فيه فرق بين الإلحاد الإعتقادي والإلحاد السلوكي.

هل كانت الرغبة في إنكار النبوة مرجعها الإعلاء من شأن العقل وأهمية إعتماد الفرد عليه في سلوكه أو حتى في اقتناعه بالعقيدة ؟

بس لما تنكروا النبوة راح تنكروا الشريعة، لأن الأنبياء جاؤا بشرائع.

لكن لسه الشريعة موجودة لوحدها من بعد الأنبياء، فربما جاء التقليل من أهمية شأن الأنبياء كوسيلة، الهدف منها إعلاء شأن الشريعة والجانب العقلي فيها ؟

هو عادة الملحدين بيبقوا أحرار من جهة الفكر ويقدروا يقولوا كل اللي عايزينه، لكن هم قصدهم يشيلوا من على النفس هذا الوزن، Surpoids، للشريعة عشان يعملوا اللي عاوزينه، وكمان ما بيعتقدوش إنه فيه الله خالق كل شيء ولا إنه راح يسألنا عن أي عمل نعمله. هو على العموم كان فيه ملحدين في المجتمع الإسلامي زي الزنادقة.

نرجع إلى الفارابي والكندي.

الكندي والفارابي وابن سينا، كل واحد مُتأثر بالتاني. الكندي كان عامل حاجات في الفلك، والفارابي كان بيشتغل في الموسيقى، ومدرسة الفارابي كانت كبيرة لأنه تخرج منها فلاسفة كتير، كان فيه مجموعة من الفارابيين، وابن سينا تأثر بيهم. وكان النقطة المهمة كمان إنه كان فيه مسيحيين معاهم، فلاسفة زيهم، منهم ابن أبي زُرعة مثلاً، وكانوا يتناقشوا وكان فيه مجادلات مسيحية عن اللاهوت.

الأب سمير خليل أعطى في محاضراته في قسم الفلسفة بجامعة القاهرة فكرة عن هذا بتقديم كتاب «تهذيب الأخلاق» ليحيى بن عدي. كان استضافه الدكتور حسن حنفي، وده منتهى الشجاعة.

لعل هذا يجعل البعض ينتبه ويدرس الحاجات دي.

لا شك إن معرفة الحاجات دي محتاج جهد كبير جداً. على كل حال هناك ضرورة لمعرفة التراث الإسلامي والمسيحي لمن يريد أن يدرس فلسفة القرون الوسطى المسيحية في الشرق. - تكلّمنا عن فلاسفة المشرق: بالنسبة لفلاسفة المغرب، أين ابن طفيل من ابن سينا وابن رشد ؟

هو أقرب لابن سينا. في رسالة «حي ابن يقظان» نفس النزعة: إنه خُلِق في جزيرة وبعدين بقه يبتدي شوية شوية يصل إلى المخلوقات، وبعدين إلى الحياة والملائكة وبعدين إلى الله. يعني تدريجياً يصل إلى الله، زي عند ابن سينا: الصعود إلى واجب الوجود. ابن طفيل والرازي والكندي وابن سينا وابن رشد، هم دول بيكوّنوا كوكبة من العلماء، مافيش تنافر كبير، فلسفة منصبة على الخلق والخالق والنفس: والخالق هو واجب الوجود؛ وعلى الاتصال: الإنسان بعمله وتفكيره ممكن يصل إلى الله. والفارابي أيضاً كتب كتاب «أصحاب المدينة الفاضلة» وبيركز على تكوين المجتمع بالفلسفة، إن كل إنسان لازم يعمل كل جهده عشان يعيش زي الفيلسوف، فإذن الفلسفة هي البحث عن الخالق بالعقل، لغاية لما يصل.

من خلال تجربتك الشخصية كعالِم ورجل دين وفلسفة. كيف ترى العلاقة بين الفلسفة والعلم والدين ؟

العلم هو البحث عن الحقيقة، وفيه مستويات في الحقيقة. فيه الحقائق التي يستطيع الإنسان أن يصل إليها بمجرد عقله: العالَم، والمخلوقات، وتعدد العلوم. فالعاقل ممكن أن يستعمل فكره علشان يصل إلى الحقائق. وطبعاً مافيش تضاد في الحقائق، فإذن إذا لقينا في دراسة الحاجات القديمة قبل التاريخ حاجات مش موجودة في الكتب المقدسة، فلازم نحاول نتحقق جداً لأن مش ممكن يكون هناك تضارب في المعلومات. على كلٍ، وظيفة الكتب المقدسة ليست العلوم بالمعنى الحديث، القرآن والإنجيل ماهوش كتاب كيميا أو كتاب طبيعة، هو إرشاد للوصول للخير وعمل الخير. فإذا استَعمَل في بعض الأحيان تعبيرات أو إشارات علمية، فبيستعملها كما تظهر للإنسان : الشمس بتدور حول الأرض. يعني بياخد إشارات كما تظهر للإنسان العادي، ماقصدهاش تدي علوم رياضية أو علوم كيماوية. فإذا كان العالِم نزيه لازم يكون متأكد إنه مافيش تناقض بين العلوم والنص المقدس.

العلوم الطبيعية بتختلف بحسب الموضوع بتاعها. موضوع الرياضيات مثلا، زي ماكان بيقول ابن سينا وابن رشد وغيره، ممكن استخراج المعاني من الأشياء لنصل إلى إتصال الرياضيات والمشاكل الرياضية بينها. وموضوع الفيزياء هو المادة بمختلف حركاتها، المادة والحركة. والكيمياء مثلا بتدرس تحويلات المادة من حالة إلى حالة، وعلم الفلك بيدرس حركات الكواكب. فبكل هذه المعرفة نصل إلى معرفة حالة المادة بجميع وظائفها. وهنا لا يوجد شيء يدخل في علم الدين إلا إذا مررنا إلى الفلسفة، فنجد في العالم نظام، ونجد في الأشياء جمال وعلم، وده يدلنا على إننا نسأل مين إللي صانع هذا الجمال وهذه الدقائق فنصل إلى الخالق. وفي هذا الوقت مش العالِم إللي حيتكلم، الفيلسوف هو اللي حيقول النظام ده جاي منين، ومين خلق هذا العالَم. فبتجريد نتائج العلوم يقدر الفيلسوف يصل إلى استنتاج وجود الله، المصدر الأول لكل موجود، ومصدر الحركة، ومصدر الجمال، فيقدر يصل من وجود الله إلى صفات

الله. الكمال والصفات الكويسة الموجودة في العالم لها أساس، أصلها جاية منين ؟ فالله هو أساس كل جمال وكل حق. فالفيلسوف يستطيع أن يصل إلى معرفة أسرار العالم المادي بكل أحواله وأن يستعمل هذه الأسرار وهذه النتائج التي يصل إليها ليتقدم في التكنولوچيا. ولكن حيفضل من جهة العلوم يصل بالعلوم إلى تأكيد وجود صانع لهذا الكون.

لكن من هو هذا الصانع ؟ ما هي صفاته ؟

يستطيع أن يستنتج من وجود العالم الطبيعي إلى معرفة صفات الله. هذا من جهة العالم الطبيعي، ولكن هناك عالم آخر هو عالم الأخلاق. فيصل الفيلسوف برضه إلى تأكيد وجود صانع وقاضي Auquel nous pouvons demander justice، ويحاكمنا على أعمالنا، فطبعاً نجد في أنفسنا ما نسميه الضمير اللي هو ما طلبه منا الخالق في الوصايا العشر. فالدين بيعطينا أيضا علامات عن الفضيلة وإزاي نصل إلى الفضيلة، وما يجب أن تكون عليه الصلات بين الإنسان والإنسان الآخر وموقف الإنسان في العائلة والأسرة، وموقف الإنسان في الدولة، والمسئولية، وما يربط العمل بالإنسان والله. فكما نقول، هناك مستويات: المستوي العلمي الذي يدرس المادة وقوانين المادة وأحوالها، والفلسفة التي تحاول أن تفهم وتحلل من أين أتت هذه المادة وماوراء المادة، فقمة الفلسفة هي الميتافيزيقا، ما وراء الطبيعة. فَدي درجتين: العالِم بيشتغل في المعمل في طرق تحليل الأشياء واستنتاج أشياء أخرى للتقدم، والطبيب بيدرس الجسم الإنساني والأمراض. فمفيش اختلاف أبداً: الطبيب لما يدرس جسد الإنسان حايُبهَر بما فيه من نظام، فيبقى في هذا إشارة إلى خالق هذه الأشياء. ده العالَم الطبيعي والعلوم الطبيعية. درجة تانية الفلسفة: هي اللي بتبحث عن أصول الأشياء بعمق. الميتافيزيقا بتحلل الوجود وصفات الوجود، فالفلسفة الحقيقية بتصل إلى وجود الله. أكبر الفلاسفة أكدوا وجود الله – وصفات الله اللي بيستخلصوها من الصفات الموجودة في العالم. وواجب الإنسان نحو الله، الاحترام والعبادة.

Le terme *Dieu* dans la philosophie n'est pas justement le Dieu chrétien ni le Dieu musulman ni le Dieu juif, c'est la force derrière les phénomènes. La métaphysique c'est réfléchir sur l'absolu, mais elle ne mène pas nécessairement aux religions. Qu'est-ce que vous pensez :

رجال الدين بيعارضوا الفلسفة لأنها - حسب قولهم - تؤدي إلى الهرطقة باعتبار انها ما بتحددش دين معين ولكن بتتكلم عن مصطلح مطلق.

الفلسفة الحقيقية بتصل إلى إله خالق السموات والأرض وخالق كل شيء، والتاريخ بيدلنا على هذا، وإنه يجب يكون فيه أصل الصفات الطيبة إللي موجودة في هذا العالم. جاية منين هذه الصفات الطيبة ؟ فإذن حانقدر نقول: الخير المطلق والجمال المطلق والعقل المطلق والحق المطلق.. إلى آخر هذه الصفات. كل هذه الصفات تتجسد في الله. فيبقى من هذه الناحية هذا هو *الله* عند الفلاسفة. لكن مانقدرش نصل إلى صورة محددة، أو هل الله، هذا الخالق اللي بيصل إليه الفيلسوف، إتصل بالإنسان. ده موضوع الدين بقه. فيبقى الفيلسوف يصل على عتبة الدين. الدين يخلّي الوحي بقه - إذا كان الله أعطانا دلائل على ما هو من الصفات - يبينها في الكتب المقدسة.

- لكن الكتب المقدسة بتختلف، والمذاهب الدينية حتى داخل المسيحية، حتى داخل الإسلام أحياناً بتحارب بعضها. فهل في النهاية الفلسفة تساعد وتنقذ الدين من أضرار هذه الخلافات أو هي خطر على الدين، كما تظن المؤسسات الدينية في مختلف الأديان ؟

- هل الفلسفة ممكن تنقذ الدين لأنها بتتحرك في المجال إللي أي إنسان ممكن أن يقبله دون أن تخص بالحقيقة دين معين، أو هي، لنفس هذا السبب، بتهدم الأديان ؟ هل هي سلاح ذو حدين ؟

الفلسفة هي تطبيق العقل للبحث عن الحقائق، فالعقل بيعطي مثلاً قانون العلة،

والعلوم المختلفة نفسها لها مبادئ، فكل دي بتؤدي إلى إقرار بوجود خالق ذي أوصاف. فكل إنسان عاقل إذا كان يفكر تفكير حسن، لازم يصل بالمبادئ العامة إلى نفس النتيجة، إلى وجود المطلق. هايصلوا إلى إله واحد خالق السماوات، ممكن في الفلسفة، حتى أرسطو بيصل إلى مثل هذا، وأفلاطون أو كانط وغيرهم من الفلاسفة. لكن ما هو هذا المطلق، وكيف نستطيع أن نتكلم عنه، هذا هو موطن الاختلاف. وهنا يبدأ دور الدين. المسيحية تقول لك الله محبة.

هل للفلسفة دور إيجابي في شرح الاختلاف بين الأديان ؟

الفلسفة تحاول فهم هذه الاختلافات، وهل هي اختلافات حقيقية أم شكلية. مثلاً مبدأ الله واحد. المسيحية بتأكد بكل قوة إن الله واحد، والإسلام نفس الشيء واليهودية نفس الشيء. نيجي بقه إحنا نقول لك: إن الله في المسيحية مثلا يتكلم بالرسل، وبإن المسيح نفسه كلمة الله التي تجسدت، هو كلمة الله وأيضاً إنسان، دي خصوصية دينية للمسيحية.

في القرآن هناك تعبير «رسول الله وكلمته».

آهو ده ـص: *كلمته* هنا قريبة من *الكلمة* إللي إحنا نعنيها، *كلمته* يعني بَعت جبريل، مش *كلمته* نفسه. هنا يجيء الاختلاف من فَهْم النصوص.

ما دور الفلسفة بين العلم والدين ؟

الفيلسوف يتعالى شوية على العالِم، يقول له: إنت الميدان بتاعك مجال الطبيعة وبس، ماتقدرش تروح إلى ماوراء الطبيعة. والفيلسوف يحدد للعالِم مجاله الذي لا يحق له أن يتخطاه: الكيميائي يتكلم في الكيميا، الفلكي يتكلم عن الفلك. لكن ماوراء هذا فَخَلّيهولي أنا لأنك ماتقدرش تصل إلى ماوراء الأشياء. الفلسفة وحدها التي تحاول أن تبحث في العلاقة بين ما نعرفه من علوم وبين الخالق.

موقف الفلسفة من الدين ؟

Il y a des aspects différents منهم يقول لك الدين الحقيقي للفلاسفة هو العقل. ما يقرره العقل ويصل إليه، هو ده دين العقل. أما الدين بقه فبيخاطب العامة. ابن رشد كان يقول نفس الشيء. كان يرى مثلا إنه إذا سألت العامة: الله فين ؟ يقول لك: الله فوق ! من وجهة نظره مظبوط. سيبه يقول الله فوق، لأن على مستوى تفكيره فوق يعني فوق كل شيء. أنما تسأل الفيلسوف: الله فين ؟ فيقول لك: في كل ناحية، موجود في كل شيء. وبيقول ابن رشد إن القرآن، كل طبقة من هذه الطبقات يقدروا يستفيدوا منه، لأنه بيخاطب كل المستويات على عقليتها.

وفي الإنجيل ؟

بس الإنجيل بيشدد على براءة روح الإنسان L'innocence de l'esprit الله أعطى لهؤلاء الأطفال مثلاً أنهم يعرفوه، وحجز هذا عن العلماء المتغطرسين. الفلسفة الخوف منها الغطرسة. الإنسان لما بيكون إيمانه عميق بيفهم نفسه وموقفه من الله، الله كل حاجة، الله المطلق.

المتصوفة ؟

المتصوفة بيحاولوا أن يصلوا إلى ذوق، تذوق بوجود الله.

ما رأيك في التصوف ؟

دي أعلى مرتبة، على شرط إن الواحد مايتغطرسش، مايحسبش نفسه إنه وصل إلى آخر حاجة، ويعرف إن كل شيء نعمة بتيجي من عند الله. الصوفيين الحقيقيين بيعترفوا بهذا، بيقولوا: كل اللي عندي هذا جاي من عند الله. فالصوفي هو اللي بيعيش الدين بحالة الوجدان وبالعمق وبالتفاني، بيشعر إنه هو لاشيء وإن الله كل شيء.

الموقف الصوفي من الشريعة ؟ جدلية العلاقة بين الحقيقة والشريعة ؟

الصوفي يقول: مادمت قد وصلت إلى إتصالي بالله، يبقى الشريعة مش مهمة. كانت وسيلة بس. وهو قطع المرحلة دي. مع إنه أكترهم بيحتفظوا بالوسيلة دي. يقول لك: مادام الله بعت لنا العكاز ده عشان نمشي بيه يبقى نخليه، Pour ne pas scandaliser la masse.

علاقتك كعالم صيدلي، وفيلسوف، ورجل دين مسيحي بالفلسفة الإسلامية، من أين جاءت ؟ لماذا وكيف تخصصت فيها ؟ كان من الطبيعي أن تتخصص في المسيحية.

المسيحية عندي دين الحق، والله أرسل لنا المسيحية، إنما مانقدرش أنكر إنه فيه أديان أخرى، وهذه الأديان الأخرى لها طريقها. إنتو عندكم بتقولوا: لو شاء الله لآمن مَن في الأرض كلهم جميعاً. فنقول فيه جماعات، والله مهتم بالجميع. فعندنا في المسيحية، الإنسان اللي بيقول أنا بأحب الله، لكن مابيحبش الآخر، ده كذاب.

إذن، أنت تحب المسلمين لأنك تحب الله ؟

آه أمّال.

وهل اهتمامك بالفلسفة الإسلامية جاء لأنك مصري وتعيش في بيئة إسلامية ؟

زي ما قلت لك، أنا قرأت ماريتان و Sertillanges. همَّ كانوا بيتكلموا على نشر الحقيقة في العالم وإمكانية التفاهم مع الآخر. أنا نشأت في بيئة إسلامية. لو كنت نشأت في الصين كنت انتبهت للكونفوشيوسية والبوذية. دي مهمة ربنا كلفني بيها، هو حطني هنا في بلد إسلامية. ودول أقرب الناس إليّ. أنا عايش هنا. وغير كده فيه تقارب كبير بين الأديان. أنا باتكلم معاك أهُه وانت مسلم.

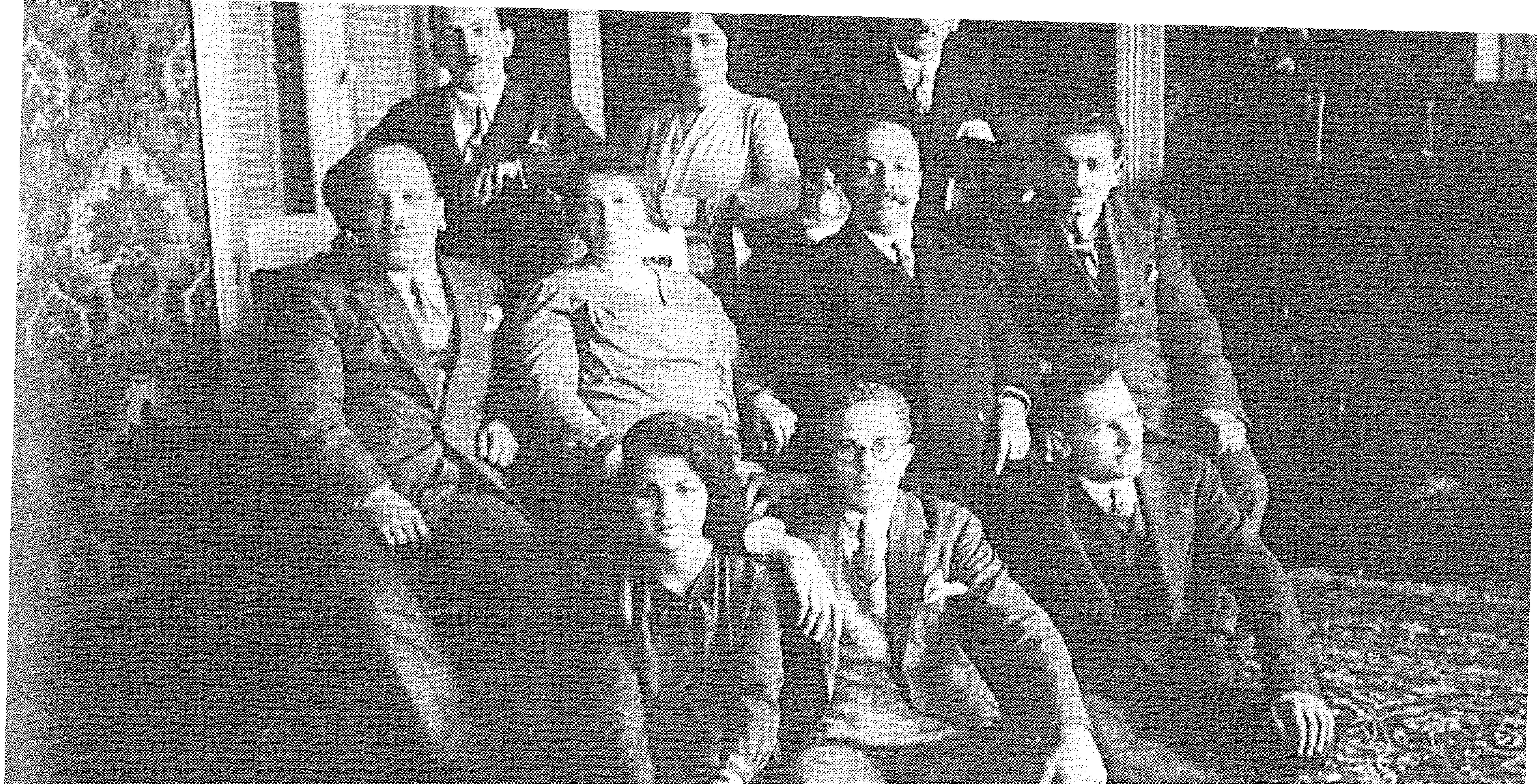
من أكثر من راقك من الفلاسفة المسلمين ؟

في الأوائل كان الغزالي، وبعدين بموجب تعليمي الصيدلي جاء ابن سينا. وابن رشد جه بعدين شوية، لأنه حارب الغزالي في «تهافت التهافت». الحاجة المهمة إنه فيه عظمة في الإسلام، الحضارة الإسلامية حضارة كبيرة، كونت حضارة وكونت روائع في كل الميادين، من جهة العلوم ومن جهة الحضارة. قَده دين ربّى أجيال، فأنا أهتم بهذا خصوصا وأنا عايش في وسط إسلامي. فأنا من واجبي إني أتنبه لهذا، ونتفاهم، لأن فيه حاجات جاية من عدم التفاهم. فأنا أساعد إنه يكون الدين صافي. يعني أنا موقفي من الإسلام إنه دين روحاني، وأوقات رجال الشريعة يتهمونا : Vous voulez christianiser l'Islam !! ، عاوزين إسلام مُسالم زي ما عاوزين مسيحية مُسالمة، وإن الأديان مش لازم تحارب بعضها.

ثم صمت عنا ... وصمته ذو شجون ...

ثالثاً : الصـــــــــور





1929 La famille Anawati à Alexandrie. (Georges en bas à droite).

١٩٢٩ الإسكندرية. أسرة الأب قنواتي. (الأب قنواتي جهة اليمين من أسفل).

1946 Au couvent du Caire, avec ses premiers compagnons : le Père Jomier, le Père de Beaurecueil et le Père Boulanger.

١٩٤٦ القاهرة. في الدير مع رفاقه الأوائل.

1952 Le chimiste à son laboratoire, installé dans un coin de son bureau.

١٩٥٢ القاهرة، في معمله الكيميائي الموجود في أحد أركان مكتبه بالدير.

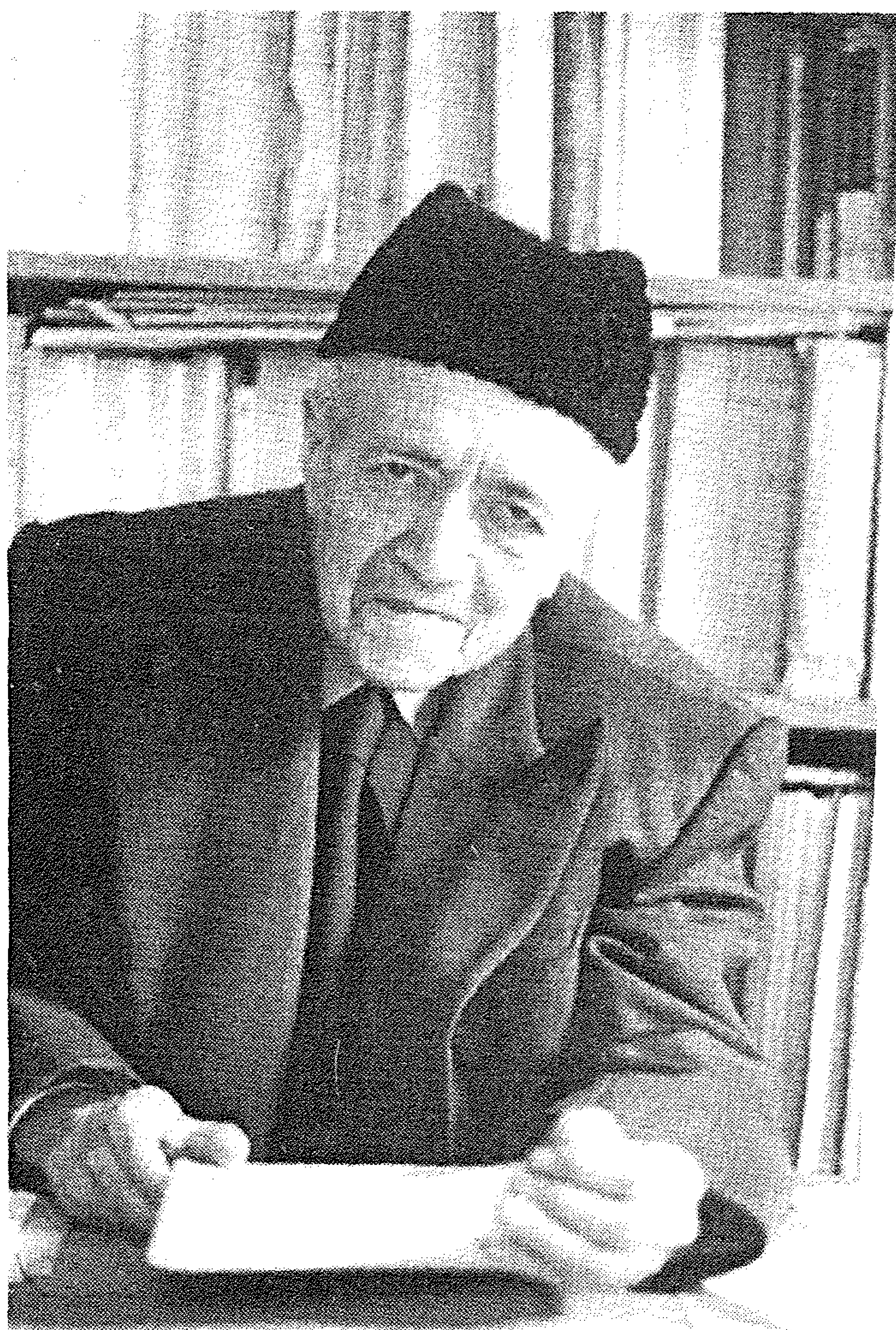
1953 Le Caire, congrès des pharmaciens, avec M. Moṭāwiʿ et son épouse.

١٩٥٣ القاهرة، مؤتمر الصيادلة.



1954 Congrès Ibn Sīna à Téhéran.

١٩٥٤ طهران . مؤتمر ابن سينا .



1960 Louis Gardet, son ami et collaborateur.

١٩٦٠ لويس جارديه، صديقه ورفيقه في العمل .

١٩٦٩ القاهرة، مع الرئيس الراحل جمال عبد الناصر بمناسة العيد الألفي لمدينة القاهرة.

1969 Avec le président Nasser, à l'occasion du Millénaire du Caire.

1969 Avec le Nonce, Mgr. Zanini, et le Sheikh Ḥassan Ma'mūn.

١٩٦٩ القاهرة، مع المندوب البابوي والشيخ حسن مأمون شيخ الأزهر.

1970 Jury de thèse à l'Université du Caire.

١٩٧٠ القاهرة، لجنة مناقشة، جامعة القاهرة.

1974 Colloque Ephrem Ḥunayn à Baghdad. (Abrohom Nouro ; P. McCamber, sj ; P. de Halleux, ofm ; Van der Plog ; P. Mérigoux, op ; Busta

١٩٧٤ بغداد، مؤتمر أفرام حُنين



1974 La communauté des Dominicains reçoit le Cardinal Pignedoli.

١٩٧٤ القاهرة. استقبال الكاردينال Pignedoli في الدير بالعباسية.



1978 Avec le Sheikh Chaʿraoui.

١٩٧٨ القاهرة. مع فضيلة الشيخ محمد متولي الشعراوي.

1978 Docteur Honoris Causa de l'Université de Louvain.

١٩٧٨ لوڤان، الدكتوراه الفخرية، جامعة لوڤان.

1978 Congrès d'Averroès. Alger.

١٩٧٨ الجزائر، مؤتمر ابن رشد.

١٩٨٣ روما. مع البابا يوحنا بولس الثاني في أحد اجتماعات المجلس البابوي للثقافة.

1983 Avec le Pape Jean-Paul II lors d'une réunion du Conseil de la Culture.



1984 Docteur Honoris Causa de l'Université Catholique de Washington. ١٩٨٤ واشنطون، الدكتوراه الفخرية، الجامعة الكاثوليكية.

1985 Congrès Islamo-Chrétien, Villanova University, Philadelphie. (Avec le P. Gulio Basetti-Sani et William Suleimān).

١٩٨٥ فيلاديلفيا، المؤتمر المسيحي/الإسلامي، جامعة ڤلانوڤا.



1985 Au Vatican. Conseil de la Culture.

١٩٨٥ الفاتيكان، مجلس الثقافة.

1985 À l'ambassade de France au Caire. (M. et Mme Hunt, Fatḥī Raḍwān, Yaḥyā Ḥaqqī. Père Lachèse).

١٩٨٥ القاهرة. سفارة فرنسا.

1986 Le Père dans son bureau avec le P. Laurence Fitzgerald, op.

١٩٨٦ القاهرة. في مكتبه في الدير بالعباسية.

1986 Récréation au couvent avec le P. Richard, op et le P. David Burrell.

١٩٨٦ القاهرة. وقت الراحة مع الآباء في الدير.

1986 Au milieu des Petites Sœurs de Jésus à Washington.

١٩٨٦ واشنطون. مع أخوات يسوع الصغيرات.



١٩٨٧ القاهرة، المجمع العلمى المصرى مع صالح حزين ومجدى وهبة.

1987 À l'Institut d'Egypte. (Sālih Huzayyin, Magdi Wahba).



١٩٨٨ توليدو، الحوار بين الأديان والسلام فى الشرق الأوسط.

1988 Tolède. Dialogue Interreligieux et paix au Moyen-Orient.



١٩٩١ القاهرة، إحدى إجتماعات الإخاء الدينى.

1991 Lors d'une réunion de la "Fraternité Religieuse " Ikhā' al-Dini"



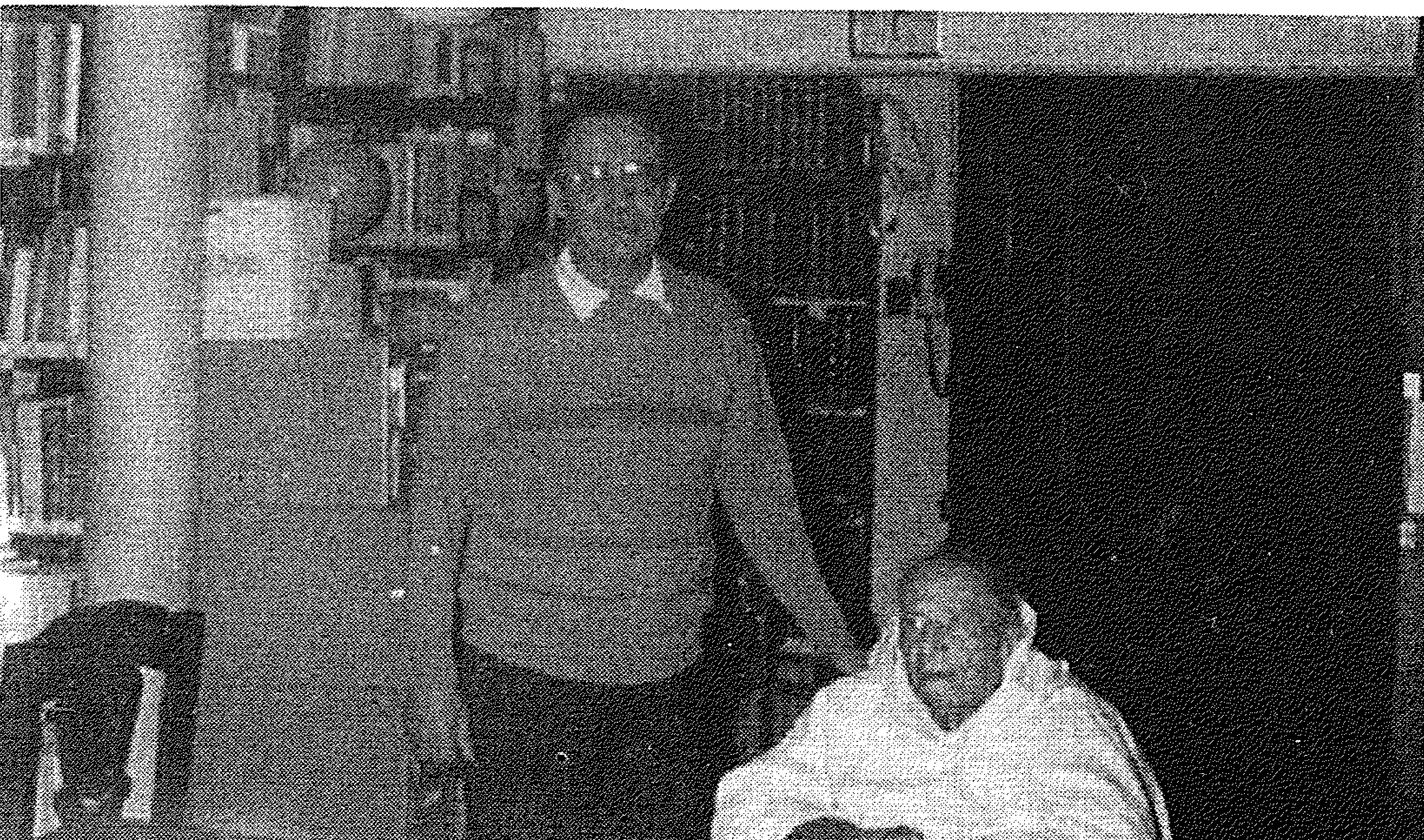
١٩٩١ القــاهرة، وادى النطرون، دير الأنبا بيشوى، مؤتمر « پرو أورينت »، مع الأب خليل كـوشـاسـرلى وعمـاد عزت.

1991 Wadi Natrun, Anba Bishoï. Symposium pro Oriente, avec le P. Khalîl Kochassarly et Emad Ezzat.



١٩٩١ القـاهرة، وادى النطرون، دير الأنبا بيشوى، مؤتمر «پرو أورينت»، مـع البــابا شنودة الثــالث.

1991 Wadi Natrun, Anba Bishoï. Symposium pro Oriente, avec le Pape Chenouda III.



١٩٩٣ القاهرة، الأب قنواتى مؤسس معهد الدراسات الشرقية مع مديره الجديد الأب ريچيس مورلون.

1993 Le fondateur de l'IDEO et son nouveau directeur, le P.Régis Morelon, op.



1993 Une de ses dernières photos à son bureau de travail.

١٩٩٣ القاهرة، احدى صوره الأخيرة في مكتبه في الدير بالعباسية.

الكتاب.. وصاحبه

- صاحب الكتاب هو الأب چورچ شحاته قنواتي (١٩٠٥ - ١٩٩٤) المصري الدومينيكاني الواسع الثقافة المتبحر في أمور الدين، الفلسفة، اللاهوت والعلوم.

- من مأثوراته:
  - أسس معهد الدراسات الشرقية للآباء الدومينيكان بالقاهرة وأداره حتى عام ١٩٨٤.
  - أسهم مع الرواد في توثيق الإخاء الديني بين الإسلام والمسيحية.

- يتكون الكتاب من جزئين أحدهما باللغة العربية والآخر بخمس لغات أوروبية. ويحتوي على دراسات عن أعمال العالم الجليل وعلى مختارات مما كُتب عنه في أنحاء العالم.

- تضمن الجزء العربي «الحوار الأخير» الذي سجله باللغة العامية د. محمود عزب ود. هدى عيسى.

- يعتبر الكتاب تسجيلاً وتأريخاً لمشوار العمر.

الناشران

